آثار الشيخ زيد الفياض رحمه الله (٢٠)

حقيقة الدروز

تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفياض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)






حقيقة الدروز

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ

الطبعة الثانية خاصة بدار الألوكة ١٤٣٧هـ

جميع الحقوق محفوظة



دار الألوكة للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٦٦٦٦٠ تحويلة ٣٣٣

ناسوخ: ٤٥٥٠٦٦٦ - ص . ب ٣٠٥٦٦٠ الرياض ١١٣٦١

dar@alukah.net

حقيقة الدروز

تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفياض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)





مقدِّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المرضيِّين، ومَن تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وبعد؛ فمنذ أن أشرقَت شمس الإسلام على هذه البَسيطة؛ لتُخرج الناس بضيائها من الظُّلمات إلى النُّور، احترقَت بِسَناها قلوبُ أعداء الإسلام كافَّة؛ فراحوا يَحيكون المؤامرات وينسِجون المكايِدَ ضدَّ هذا الدِّين؛ ليردُّوا أهلَه عنه، ويُعيدوهم من النُّور إلى الظُّلمات التي كانوا فيها سادِرين، وتكاتَفت الفِرَقُ المنحرفة، وتعاضَدت الجماعاتُ الضالَّة المضِلَّة على هدفٍ واحدٍ وضعوه نُصْبَ أعينهم؛ ألا وهو: **هدم هذا الدِّين وتقويض دعائمه**، واتَّخذت لها من الدِّين ستارًا تختفي وراءه؛ كما فعل ابنُ السَّوداء عبد الله ابن سَبأ اليهوديُّ الذي تتلمَذَت على يدَيه واتَّبعت نهجَه العديدُ من الفِرَق المنحرفة؛ فالكفر ملَّة واحدة.

ومن تلك الفرق فرقةُ (**الدُّروز**) التي ما زالت منتشرةً إلى وقتنا الحاضر تعيشُ بين أظهُرنا، مدَّعِيةً للإسلام، مبطِنَةً له ولأهله ما يجهلُه الكثيرون من المسلمين.

ولكشف عَوار تلك الفِرقة، وبيان ضلالها وانحراف عقيدتها؛ أردتُّ أن أجمعَ في هذا الكتاب ما يتعلَّق بها؛ من معرفة مُنشئها، وذكر أبرز دُعاتها،

وسرد شيءٍ من تعاليمها وآرائها واعتقاداتها المنحرفة؛ ليكون في ذلك بيانٌ للناس، فيتَّضحَ الأمرُ وينكشِفَ السِّتر.

وأسأل الله الكريمَ أن يجعلَ هذا العمل في ميزان حسناتي يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلَّا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

وأسأله أن ينفعَ به المسلمين؛ إنَّه سميع مجيب، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

زيد بن عبد العزيز الفيَّاض

حقيقة الدُّروز

مدخل:

قال الأستاذ محمَّد علي الزُّعبي[١] في مقدِّمة كتابه "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" (ص١):

«أخي القارئ، قد تعجَب بعد مطالعة هذا البحث من اجتماع الباطنيَّة والماسونيَّة بنقطةٍ واحدة، لا تعجَب؛ فإنَّهما ينهلانِ من مستنقعٍ واحد، خلقَه كعبُ الأحبار[٢] والماسونيَّة السَّبئيَّة بالتعاون مع مجوس وشُعوبيِّين.

خلقوه وحرَّكوه تارةً بيدِ الأحزاب التي أصبحت فِرَقًا دينيَّة؛ كالدُّرزِيَّة، والماخوسيَّة، والزَّيديَّة، والأغاخانيَّة، والشَّبَك وفروعها، والبهائيَّة التي أراها أشدَّ الجميع شرًّا... وتارةً بيد الجمعيَّات السريَّة؛ كالماسونيَّة وأخواتها من اللِّيونز، والرُّوتاري، والبناي بِرث، وشُهود يَهوَه التي خلعوا عليها ثوبًا دينيًّا.

خلقوها وأودعوا سمومها كتبًا ورسائلَ مخطوطة ممَّا تحدَّثنا عنه في هذا البحث، وما سنتحدَّث عنه في أبحاث أخرى - إن شاء الله - ونفثوها بكتب مطبوعة مستَتِرة بالفلسفة؛ كإخوان الصَّفا، أو بالتصوُّف؛ ككتب محيي الدِّين ابن عربي، وهو فيما أرى - بل أجزم - أشدُّ جميع مؤلِّفي التاريخ الماضي والآتي خطرًا على الإسلام.

وليت القارئ الكريم يُشاطرني المتعةَ بمقابلة التَّكريس الماسوني بتكريس

---

(١) انظر حاشية (ص ٣٤٦). (الألوكة)

(٢) كذا، وينظر كتاب "كعب الأحبار، وأثره في التفسير" لخليل إسماعيل؛ فقد توسَّع في نقل كلام العلماء في كعب الأحبار. (الألوكة).

إخوان الصَّفا والبكطاشيَّة والإسماعيليَّة».

ويرى للجميع درجاتٍ وأهدافًا ورموزًا لا تخدُم إلَّا اليهود، ولو اختلفت التعابير والاصطلاحات أحيانًا.

مثلاً: وضعَ كعب الأحبار الماسونيُّ اليمنيُّ السَّبئيُّ بذور الظاهر والباطن، وكتابَ السِّر، والتشكيك في قدرة العرب والإسلام على الاستمرار والبقاء، والتأويل الذي صالَ على أركان الإسلام وعقائده الجوهريَّة؛ كالقيامة، والجهاد، وأعاد الوَحدانيَّةَ المنزَّهة تجسُّدًا، والرسالةَ المطلقةَ محدودةً معطَّلة، ودرس خُرافة المهديِّ[(١)] مستعينًا بالحروف والأعداد، وَرِثَت الباطنيَّة الماسونيَّة هذا التوجيه، وأقامَت عليه من البنايات على الرِّمال ما أقامت.

أمَّا دِعامة هذا البحث العلميَّة فقد فرغنا منه مطمئنِّي البال؛ حيث إنَّا أقمنا على كلِّ كلمة دليلًا من فَمٍ أو كتبِ مَن حُمْنا حولَهم.

ويقول الشيخ محمَّد علي الزُّعبي[(٢)] في كتابه "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك"، وهو يذكر مصادرَ حمزةَ التي استقى منها مذهبَه، وكان ذكر أنَّه استقاها من الوثنيَّة والباطنيَّة، ثم قال في (ص٢٠):

«**٢- من اليهوديَّة الماسونيَّة:**

أمَّا التَّكتُّم ودرجات المعرفة والمواثيق، والأقسام ورموز التعارف، والمجازات والكنايات، والعزم على هدم الكعبة والمسجد الأقصى، والوعد لأتباعه بامتلاك العالم، والصَّولة على المسيح وأمِّه - إذ حشره حمزةُ بزمرة مَن دعاهم: حروفَ الكذب - أمَّا هذا كلُّه فقد استقاه حمزةُ من اليهوديَّة جدَّة الماسونيَّة، وهي مذ ذاك موجودةٌ منتشرة، وإن كان اسمُها القوَّة الخفيَّة».

---

(١) كذا، وينظر كتاب "المهدي" لمحمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم. (الألوكة).

(٢) انظر حاشية (ص٣٤٦). (الألوكة).

ويقول في هذا الكتاب أيضًا تحت عنوان (مدخل لمعرفة جهود حمزة) (ص**٢٢-٢٣**): «بذر الباطنيَّة التي غرسَها قدماءُ اليهود والمجوس؛ لتُثمر ألوهيَّةً مجسَّدة، وتُجهِزَ على الشريعة الإسلاميَّة بسيف التفاسير الملتوية المتكلَّفة، ما زالت تنمو في ثُغرةِ الانشقاق السياسيِّ حتى أعطَت ثمارها على يدِ القَدَّاح.

ثم تناولها إخوان الصَّفا بالصَّقْل والدَّهاء الأسود، والمنطق العاري عن المنطق، فغرسوا خرافةَ إمامة ثم نبوَّة ثم ألوهيَّة إسماعيل، وعرضوه ناطقًا سابقًا ناسخًا للشرائع، مُنهِيًا مهمَّة صاحب الشريعة الإسلاميَّة؛ أي: ناسخًا شريعتَه.

هذه النقطة هي المقصود البعيد الذي سعى لبلوغه مؤسِّسُو الباطنيَّة؛ تارةً بسيف القرامطة، وطورًا بأقلامهم الشُّعوبيَّة، وطورًا بـ"رسائل إخوان الصَّفا" ودرجات القدَّاح الماسونيَّة اليهوديَّة.

أمَّا حمزة فقد أخذ يُفشِي مجالس التأويل، ويضمُّ صوتَه لأصوات الكامنين بها - أي: بالقاهرة - من بقايا القرامطة وتلاميذ فرقة ابن كِلِّس اليهوديَّة، ويخرج على الناس بتفاسيرَ غريبةٍ باسم الاعتماد على العقل اعتمادًا غير محدود، معرضًا عن قواعد اللُّغة وتفسير القرآن بالقرآن، أو بالسُّنة القوليَّة والفعليَّة والتَّقريريَّة، فأصبح كما يقول عن نفسه: أجلَّ داعٍ بالباطن.

كيف شرع حمزةُ بتنفيذ مهمَّته؟

استعان حمزةُ بكبار الموظَّفين الذين فتحوا له قلوبَهم على إثر تبادل الإشارة واللَّمسة والكلمة، واتَّكأ على أموال فارس، فأعادَ الميثاق وأخذَ يُقنع المستجيبين بأنَّه هو الطريق الوحيد الذي يحفَظ العرش الفاطميَّ مستقبلًا عاريًا عن الأخطار».

ميثاق وليِّ الزمان (ص٢٤):

«والميثاق عند الدُّروز كالفاتحة عند المسلمين وهو: «توكلتُ على مولانا الحاكم الأحَد، الفردِ الصَّمد، المنزَّه عن الأزواج والعَدَد، أقرَّ فلان ابن فلان إقرارًا أوجبَه على نفسه، وأشهدَ به على رُوحه في صحَّةٍ من عقله وجواز أمر، طائعًا غيرَ مُكره ولا مجبور أنَّه قد تبرَّأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والمعتقدات كلِّها على اختلافاتها، وأنَّه لا يعرف شيئًا غيرَ طاعة مولانا الحاكم جلَّ ذِكرُه، والطاعة هي العبادة، وأنَّه لا يُشرك في عبادته أحدًا مضى أو حضر أو يُنتظَر.

وأنَّه قد سلَّم رُوحَه وجسمَه، ومالَه وولدَه، وجميع ما يملك، لمولانا الحاكم جلَّ ذِكرُه، ورضيَ بجميع أحكامه له أو عليه، غيرَ معترض ولا منكر لشيء من أفعاله، ساءه ذلك أم سرَّه.

ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جلَّ ذِكرُه الذي كتبَه على نفسه وأشهدَ به على رُوحه، أو أشارَ به، أو خالفَ شيئًا من أوامره، كان بريًّا من الباري العليِّ جلَّ ذِكرُه.

ومَن أقرَّ أن ليس في السماء إلهٌ معبودٌ ولا في الأرض إمامٌ موجودٌ إلَّا مولانا الحاكم جلَّ ذِكرُه - كان من الموحِّدين الفائزين» اهـ.

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" (ص٦٨-٧١): «تسعون بالمئة ممَّا في "الرسائل الحمزويَّة" لا يعني إلَّا نسخ الشرائع - وفي مقدِّمتها الإسلاميَّة - لتحُلَّ مكانها شريعة حمزة الرُّوحية، وقد حاولنا الاختصار، واكتفينا بنقل النصوص الآتية:

١- في "رسالة النقض الخفي": «فقد سمعتُم قبل هذه الرِّسالة نسخَ الشريعة بكاملها، وقد بيَّنت لكم في هذه الرِّسالة نقضَها دِعامةً دِعامة،

ظاهرِها وباطنِها.

٢- وفي "رسالة التنزيه" : «وأوَّل الدعوة - يعني: ألوهيَّة الحاكم - التبرِّي من زُخرف النواميس والشرائع الذي هو الكفر والنِّفاق والشِّرك».

٣- وفي "رسالة التوحيد لدعوة الحق" : «ومولانا الحاكم الباري العلَّام قد نسخَ شريعةَ محمَّد».

٤- وفي "رسالة البلاغ والنِّهاية" : «والمسلك الثالث الذي أشار إليه جميع النُّطَقاء والأُسس والأوصياء والأئمَّة واللَّواحق بهم هو: توحيد مولانا».

٥- وفي "رسالة السِّيرة المستقيمة" : «مَن وقفَ عن حدود الناموس، وما شرعاه العِجل والجاموس - لم يحصل له من الدِّين إلَّا الكُناسة».

٦- وفي "رسالة تقليد المقتني" : «إنَّ خير ما اقتُنيَ للمعاد، هو الثبات على ما كفرَت به الطوائفُ من جميع العباد».

٧- وفي "رسالة النقض الخفي" : «الحاكم أسقطَ التكليف عن معتقدي ألوهيَّته».

٨- وفي "رسالة ميثاق النِّساء" : «إنَّ اليهود هم المخالفون أهلَ الظاهر - يعني: المسلمين السُّنيِّين - وإنَّ النصارى هم أهل الباطن - يعني: الشِّيعة - الواقفين مع اللَّعين، صاحب الإمام الناطق - يعني: الإمامَ عليًّا».

٩- وفي "رسالة النقض الخفي" : «مولانا جلَّ ذِكرُه هدمَ الصَّوم، وقطعَ الحج، وأسقطَ الزكاة، ونسخَ الشريعة بكاملها».

١٠- وفيها: «جميع ما يعملون به من شروط الحجِّ ضربٌ من الجنون، وكشف الرأس، وتعرية الأبدان، والتلبية من غير أن يدعوَهم أحد».

١١- وفيها ثلاثون اسمًا تغني عن صيام رمضان هي: «سابق، تالي، جد، فتح، خيال، ناطق، أساس، تم، حجَّة، داعي، أئمَّة، سبعة، حج،

اثنا عشر...».

١٢- وفي "رسالة الشمعة": «فكلُّ مَن ذكرَ عن نفسه أنَّه موحِّد وهو متمسِّك بشيءٍ من الشرع، فقد أبطلَ وكذبَ في قوله، بل هو ملحدٌ كافر».

١٣- وفيها: «الناطق صاحب الظاهر، والأساس صاحب الباطن، والقائم بالحقِّ صاحب الرحمة».

١٤- وفي "رسالة البلاغ والنِّهاية": «وأجلُّ الأسماء عندهم في القرآن بإجماع أهل الشرائع والأديان اسمان هما: الله، والرحمن، وهما دليلان على داعي التنزيل وداعي التأويل، وهما اليومَ صامتان دليلٌ على نسخ الشريعتَين وإبطال الطائفتَين».

١٥- وفيها: «توحيد مولانا هو النِّهاية التي في جوازها فكُّ الرَّقَبة؛ أي: يتخلَّص بتوحيد مولانا من حشو الشريعتَين اللَّتَين هما: الظاهر والباطن».

١٦- وفي "السِّيرة المستقيمة": «فلم تزل شريعة محمَّد بن عبد الله في أيدي أمَّته حتى ظهرَ ناطقٌ غيره، وهو محمَّد بن إسماعيلَ الذي ختم الشرائعَ وأتمَّها».

١٧- وفيها: «ولم يكن في شريعته - يعني: حمزة - تكليف الناموس، ولا عبادة الجاموس، ولا رباط العابوس، ولا ترك الكابوس، بل شريعة توحيديَّة».

١٨- وفي "رسالة الدامغة": «لقد ظهر المستور، وبيَّنتُ لكم ما في الصُّدور، ونشرتُ لكم ما في القبور».

١٩- وفي "رسالة الغَيبة": «رسالة محمَّد ظاهرُها ديانة، وباطنُها خيانة».

٢٠- وفي رسالتي "التحذير والتنبيه"، و"الإعذار والإنذار": «أنا حمزة مُبيدُ الشريعتَين، وهادمُ القبلتَين، ومُدحِض الشَّهادتَين».

٢١- وفي "رسالة الشمعة" : «شريعة الكلمة - حمزة - عَلِمَت حدَّ الناطق والأساس، وسلكت المسلكَ الثالثَ وهو مسلك التوحيد».
٢٢- وفي "رسالة مناجاة وليِّ الحق" : «أنا مُفني الحجِّ والعمرة».
٢٣- وفي "رسالة النِّساء الكبيرة" : «إنَّ الأساس قد انقضَت مرتبته المستورة، وصارت منزلتُه كمنزلة الناطق».
٢٤- وفي "رسالة النقض الخفي" : «لا إله إلا الله محمَّد رسول الله دليلٌ على السابق والتالي».
٢٥- وفي "رسالة مناجاة وليِّ الحق" : «اقبَلوا ما أمرتُكم، وانتهوا عمَّا نهيتُكم، وارتقبوا ما وعدتُّكم».
٢٦- وفي "رسالة الدامغة" : «ولا تلتفِت واحدةٌ منكنَّ إلى ورائها؛ لا تتعلَّق بما مضى من الأدوار، ولا بما اندرسَ من الشرائع، ولا يلزمكنَّ إلَّا طاعةُ مولانا جلَّ ذِكرُه، وتوحيدُه».
٢٧- وفي رسالة النِّساء الكبيرة: «ذهب أمس بما فيه».
٢٨- وفي "رسالة النقض الخفي" : «الصلاة صلة قلوبكم بمولانا، والخمس أوقات؛ لأنَّها على يد خمسة حدود، وهذه هي الصلاة الحقيقيَّة».
٢٩- وفيها : «لقد أبطلَ مولانا صلاةَ العيد وصلاةَ الجمعة».
٣٠- وفي "رسالة النِّساء الكبيرة" : «إنَّ منزلةَ الأساس أصبحَت كمنزلة الناطق سيأتي بعدَ ذلك وقتٌ يصيرُ باطنكنَّ ظاهرًا، ويصير له باطنٌ وهو باطن الباطن، ويضمحلُّ الظاهرُ الذي في أيديكنَّ».



وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" (ص٧٣)، بعنوان (أدلَّة حمزويَّة متنوِّعة):

١- في "رسالة كشف الحقائق" ما نصُّه: «إنَّ هدم مسجد زيدان دليلٌ على هدم الشَّريعة الإسلاميَّة، وتجديدَه دليلٌ على سيادة الشَّريعة الرُّوحيَّة».
٢- «إنَّ نزول الحاكم عن ظهر الأَتان، ثم ركوبه مرَّةً أخرى محاذيًا بابَ المسجد وقتَ أذان الظُّهر - دليلٌ على نهاية الشَّريعة الإسلاميَّة وألوهيَّة الحاكم، ودليلٌ على الخروج من الظاهر والاعتماد على الباطن».
«وأكثر من هذا أنَّ حرقَ فروج الفتيات بيدِ الفتيان والعكس على مشهد من الحاكم في المواخير دليلٌ على حرقِ الشَّريعة الإسلاميَّة».
والحمير التي ركبَها الحاكم دليلٌ على النُّطقاء الستَّة: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمَّد...
وقد استعذبَ حمزة هذه الأدلَّة وأخذَ يتفنَّن ويخلق.
٣- «لا يلتفِت المصلِّي إلى يمينه ولا إلى يساره، ولا يرفع رأسَه للعلوِّ ولا يلتفت إلى الوراء؛ معناه: لا يلتفِت إلى شريعة محمَّد ولا إلى شريعة عليٍّ، ولا يعبد عدمًا، ولا يحترم الذين مرُّوا من الأنبياء والرُّسل».
٤- «نهى الحضرة - يعني: الحاكم - عن التختُّم باليمين والتختُّم بالشِّمال، وفسَّرها حمزة بقوله: نهى عن شريعةِ محمَّد وشريعةِ عليٍّ».
٥- «السجدتان في كلِّ ركعة من الصلاة دليلٌ على لاهوت وناسوت الحاكم».

وكأنَّ حمزة ملَّ من كثرة هذه الأدلَّة القديمة؛ فاختصرَها بقوله في "رسالة الإعذار والإنذار": «يجب الكفرُ بما آمَنَ به جميعُ العباد».

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" (ص٦٦) بعنوان (تفاسير حمزويَّة لآيات من القرآن الكريم): «نعم، شريعة حمزة هي سبع خِصال، يُضاف إليها حفظُ سبع جوارح، لكنَّ هذا ما يبدو لصغار المستجِيبين،

أمَّا الراسخون فيعلمون أنَّها طاعةٌ عمياءُ لمنهاج فارسيٍّ نظَّمه حمزة، وانقيادٌ كليٌّ، واستهزاءٌ بالأنبياء والرُّسل، وصَوْلةٌ على الرِّسالة الإسلاميَّة، وحَجَرٌ في طريق العرب، وكذبٌ على التاريخ، وقد حاول حمزةُ أن يدعمَ هذه المرقَّعةَ التي دعاها شريعة بكلِّ ما وصلَت له يدُه من أدلَّة؛ ففسَّر كثيرًا من آيات القرآن تفسيرًا يتَّفق مع آرائه.

لا بُدَّ لنا قبلَ نقلِ بعض التفاسير الحمزويَّة أن نرى موقفَ حمزةَ من القرآن؛ لقد حدَّد حمزة موقفه من القرآن قائلًا: «القرآن كلام الله، لكنَّ الله هو لاهوت الحاكم».

ولمَّا كان حمزةُ يتمتَّع بدرجة إمام أو نائب الحاكم أو نائب الله المتجلِّي بالحاكم، فقد أخذَ يتمتَّع بصلاحيةِ التفسير، وها هو ذا يمدُّنا بهذه التفاسير الثمينة:

أ- ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يُونس: ٢٥]: حمزة يدعو إلى ألوهيَّة الحاكم؛ إذ هي دار السلام وهي الجنَّة.

ب- ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النُّور: ٣٥]: الله هو قائم الزمان حمزة.

ج- ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ [الواقِعَة: ٨٩]؛ هم: حمزة، والتميمي، وألوهيَّة الحاكم.

د- ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ يعني: محمَّد بن عبد الله ﷺ ﴿كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحَاقَّة: ٣٣]: لا يُقِرُّ بألوهيَّة شطنيل.

هـ- ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [التّوبَة: ١١٩]: لاهوت الحاكم، ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبَة: ١١٩]: الموحِّدين الدُّروز.

و- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥]؛ هم: المرتدُّون عن عبادة الحاكم.

ز- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الإسراء: ٧٨]: إشارة لتوحيد الحاكم.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]: طهِّر قلبك لمولانا الحاكم.

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [لقمان: ١٧]: هو توحيد مولانا الحاكم.

﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]: شريعة محمَّد بن عبد الله.

ح- ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ [القَمَر: ١]: توحيد الحاكم.

ط- ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العَنكبوت: ٤٥]: إنَّ عليًّا ينهى عن محبَّة أبي بكر وعمر؛ إذ هما الفحشاء والمنكر (قبَّحهم الله!).

ي- ﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢﴾ [الصَّافات: ١٧٢]: الحاكم؛ حيث لقبه المنصور.

ك- ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحَديد: ٣]: حمزة.

ل- ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢]: توحيد الحاكم ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢].

م- ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [النَّاس: ١]: المقداد بن الأسود، ﴿ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ [النَّاس: ٤]: زخرف الناطق شريعة محمَّد، ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [النَّاس: ٥] الدُّعاة والمكاسرين والمأذونين، يوَسوِسُ لهم المخالفون؛ كي يردُّوهم عن عبادة الحاكم.



ألوهيَّة الحاكم عندَهم:

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" (من صفحة ٧ حتى ص٩):

كتب حمزة بن عليٍّ الزَّوزنيُّ رسائلَ كثيرةً يزعم فيها ألوهيَّة الحاكم، وصارَ يفتتحها بقوله: «توكَّلت على مولانا الحاكم المعبود وحدَه، المنجِزِ للإمام الهادي وعدَه»، وأخذَ يُرينا الحاكم يزورُ هذا العالم بمقامات ناسوتيَّة ما زالت الشُّروح والرِّوايات والتأويل تُباركها وتضخِّمها، حتى رأينا صاحب "النُّقط والدوائر" يقول ما نصُّه: «جاء الحاكم **٤٩٩** مرَّة إمامًا، و**٧٢** مرَّة متجرِّدًا (أي: إلهًا كاملًا)».

نعم؛ ألوهيَّة الحاكم ثوبٌ خلعَه عليه حمزة وزركشَه بنصوص كثيرة، نكتفي منها بهذا القدر اليسير:

١- في "رسالة الغَيبة": «أظهرَ لنا ناسوت صورته تأنيسًا للصُّور؛ فحارَ فيها الفكرُ حينَ فكَّر».

٢- في "رسالة البلاغ والنِّهاية": «الحذرَ من أن يقولَ واحدٌ منكم بأنَّ مولانا جلَّ ذِكرُه هو ابنُ العزيز وأبو علي؛ لأنَّ مولانا سبحانه هو هو في كلِّ عصر وزمان، يظهرُ في صورة بشريَّة كيف شاء ومتى شاء».

٣- في "رسالة كشف الحقائق": «لكنَّه سبحانه أظهر لنا حجابَه الذي هو محتجِبٌ فيه، ومقامَه الذي ينطق فيه؛ ليُعبدَ موجودًا ظاهرًا؛ رحمةً منه لهم، ورأفةً بهم».

٤- وفيها: «صاحب النصر الوكيد - كذا - والأمر الشديد، والقَصر المَشيد، والنُّور العَتيد، والقوَّة والتأييد والتمجيد، الظاهر في كلِّ عصر جديد».

٥- وفي "رسالة التنزيه": «المظهر ناسوتَه للعالم، المسمِّي مقامَه الحاكم».

٦- وفي "رسالة الصَّيحة الكائنة": «سبحان لاهوته المحجوبِ عنَّا، وعزَّ ناسوتُه الظاهرُ لنا، ظهر لخلقه كخلقه بخلقه، من حيثُ هو خلقه».

٧- وفي "رسالة الدامغة": «دعا الخلقَ بنفسه إلى نفسه، وباشَر العبيدَ بالصورة المرئيَّة، ومخاطبة البشريَّة».

٨- وفي "رسالة كشف الحقائق": «مَن وليَ على عدد رجال كان له عقل الكلِّ، وإنَّ لمولانا عقلَ الأُمَّة».

٩- وفي "رسالة تقسيم العلوم": «تقرَّبَ إلينا بنا، وآنسَ عقولنا بصورنا، وظهرَ لنا بجميع أفعالنا».

١٠- وفي "رسالة الزِّناد": «ظهر لخلقه كخلقه؛ امتِحانًا وامتِنانًا».

١١- وفي "رسالة البلاغ والنِّهاية": «ومَن قال: إنَّ مولانا نقَل عظمتَه للأمير عليٍّ فقد أشرَك».

١٢- وفي "رسالة كشف الحقائق": «والعبادة في كلِّ عصر وزمان لذاكَ المقام الذي نراه ونُشاهدُه ونسمعُ كلامَه».

١٣- وفي "رسالة مناجاة وليِّ الحق": «سبحانه شاء فأحدَثهم بلُطفه، وظهرَ لنا حقًّا وصدقًا، ثم تأنَّس إليهم فثبتت الحجَّة».

١٤- وفي "رسالة النِّساء الكبيرة": «الظاهر لنا بصورتنا؛ تأنيسًا لنا وطُمأنينةً لعقولنا، استترَ وقتَ شاء، وظهرَ كما يشاء، لا معارضةَ لحُكمه».

١٥- وفيها: «ظهر لنا الناسوت؛ رِفقًا بنا، وطُمأنينةً لقلوبنا؛ لأن ليس في طاقتنا مقابلةُ اللاهوت».

١٦- وفي "رسالة تقسيم العلوم": «لم تُوجب الحكمةُ من المولى جلَّ ذِكرُه أن يظهرَ بين أقوام مثلُهم كمثلِ الميِّت».

١٧- وفي "رسالة بدء التوحيد": «مولانا الحاكم سبحانه بين أيديكم ظاهرٌ مكشوف، قد أغنى ذوي العقول عن البحث».

١٨- وفي "رسالة تقسيم العلوم": «تنظرُ بعَين الطبيعة فتظنُّها - يعني: صورة الحاكم - كصورتك، فإذا دنَوتَ منها بعين العلم لم تجِدها صورة، ووجدتَّ الله عندَها».

١٩- وفيها: «كالناظر في المرآة؛ ينظر صورةً بغير لمس ولا إدراكِ كيفيَّة ولا تحديد».

٢٠- وفي "رسالة النُّقط والدوائر" (صفحة ١٥) من طبعة سَيبُولْد: «في الصورة البشريَّة ظهر سبحانه لخلقه كخلقه».

٢١- وفي (صفحة ٢٤) منه: «وتجلَّى الحاكم سبحانه بالوَحدانيَّة، وكشفَ توحيدَه عام ٤٠٨هـ، وظهرَ القائم المنتظَر حمزة بن عليٍّ بالإمامة الحقيقيَّة».

۞ ۞ ۞

«انطلقوا - يعني: الغُلاة - من نُقطة مُنهارة؛ فزعموا أنَّ رسول الله قال: «أنا صاحب التنزيل، وعليٌّ صاحب التأويل»، وأخذوا يسيرون بالدَّرجات اليهوديَّة الماسونيَّة سَيرًا عبَّر عنه صاحب كتاب "الحاكم المفترى عليه" في (صفحة ٨٤) بهذا النص: «وقد ترتَّب على العُمق في دراسة المذهب بظهور علم الباطن أنَّ الدعوةَ لم تَعُد محاضراتٍ أو دروسًا مبسَّطة علنيَّة، وإنَّما أصبحت عِدَّة دعوات - أي: درجات - متدرِّجة عددها سبعة أو تسعة، دعوة بعد دعوة، تتَّسم بالسرِّية؛ خوفًا من اختلاطها، أو التغيير فيها، ولم يكن المستجيبون لها يُنقلون إلى الدرجة السادسة فيها إلَّا إذا درسوا كلَّ نواحيها ومعانيها الباطنيَّة والفلسفيَّة» اهـ.

طبعًا الدرجة السادسة تشبه الدرجة **٣٢** من الماسونيَّة؛ أي: لا يوجد بعدَها إلَّا السِّرُّ العميق، وهو هنا:

١- ألوهيَّة إسماعيل.

٢- نسخ الشرائع، إنهاء مهمَّة الرِّسالة الإسلاميَّة.

ومَن وصل إلى السادسة اندفع إلى السابعة، وأقسم على الكتمان؛ إذ هذه الأسرار - كما يقولون - وديعة الله بين خلقه، ومَن عرفَها يجب ألَّا يتَّفقَ مع الذين لا يعتقدونها، ولا يستعينَ بهم، ولا يعايشَهم، وإذا لم يفعل ذلك فنساؤه طوالق وأملاكه وَقْف.

«ولم يكتَفِ الغُلاة الذين عاشوا أواخرَ عصره مكبوتين، وفي عهد ولده عليٍّ خائفين مشرَّدين، لم يكتفوا بالمزالق التي وضعوها في طريق امتدادِ دولته، بل ابتعدوا عن مصر، وأخذوا يزعمون أنَّهم مؤيَّدون بالحاكم، منصورون به، ممثِّلون إرادته، وأنَّه لم يُقتل؛ بل خرج ناسوتُه من الثِّياب وأنَّه اختفى وسيعود، وما إلى ذلك من الغلوِّ الذي عوَّدونا سماعَه بفلسفةِ عهد السِّتر التي تلقَّوها عن اليهود».



حقدهم على الإسلام

هاجمَ كمال جنبلاط الدُّرزيُّ التضامنَ الإسلاميَّ في مهرجان أُقيم يوم ٩ تَمُّوز احتفالًا بذكرى مولد النبيِّ في سعد نايل، فذكر أنَّ: الحلف الإسلاميَّ - والإسلام منه براء - يبرزُ في محاولةٍ لتحويل أنظار العرب إلى غير قضاياهم الوطنيَّة، وأنَّ الحلفَ لم يولد في مكَّة ولا في المدينة المنوَّرة ولا في أيِّ بلدٍ عربي، بل ولدَته أدمغةُ المخابرات الأميركيَّة والبريطانيَّة والرأسماليَّة المتطرِّفة في الخارج وفي الداخل»[١].

وكانت "جريدة الشرق" في بيروت - وهي يساريَّة - نشرت تصريحًا للأستاذ جنبلاط في معرض الكلام على اغتيال صاحب "الحياة" الأستاذ كامل مروة؛ قال فيه: «يتوجَّب علينا أن نلحظَ بكثير من الأسف المحاولةَ التي قام بها أرباب الرجعيَّة وأبواق الاستعمار والجماعة السوداء التي بدأت تتكوَّن باسم رابطة الحلف الإسلامي، والتي تغذِّيها الدولة النِّفطيَّة العربيَّة المعروفة، والدولة الأعجميَّة النِّفطيَّة المعروفة أيضًا»[٢].



(١) "جريدة الأنباء البيروتية" في ٩ تمُّوز ١٩٦٦.

(٢) "جريدة الشرق" العدد (٥٨٠٢) في ٢- ٣ حَزِيران ١٩٦٦.

نفوذ اليهود في الدَّولة الفاطميَّة

إنَّ الدُّروز يرونَ الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق وذرِّيته من بعده، ومنهم مؤسِّس الدَّولة الفاطميَّة، وإليك أخي القارئ بعضَ الأقوال التي تُلقي الضوء على ذلك:

١- تقول "دائرة المعارف اليهوديَّة" (الجزء الرابع/ من صفحة ١-١٤) ما ذكرته دائرة المعارف عن نفوذ اليهود في عهد الفاطميِّين باختصار: وبعد أن فتحَ جَوهرُ الصِّقِلِّي مصر، وجلس الخليفة المعزُّ على العرش أصبحَ لليهود أهميَّةٌ كبرى، وكان أحد اليهود - ويسمَّى: بالتيل - وزيرًا مقرَّبًا للمعزِّ ولابنه وخليفته العزيز، وقد أورد المؤرِّخ أهيماز أنَّ بالتيل هذا ساعدَ الفاطميِّين على فتح البلاد، وبذلك وجدَ اليهود حاميًا كبيرًا لهم في شخصه الموجود في البلاط.

وكان بالتيل أوَّل مَن تولَّى منصب النَّجِيد؛ أي: منصب رئاسة الطائفة اليهوديَّة في مصر، ومن الطريف أن نذكرَ أنَّ بعض الناس يرون أنَّ بالتيل هذا هو جَوهرُ الصِّقِلِّي نفسُه الذي أسَّس القاهرة - ولا يُعرف عن أصله إلَّا القليل - ويرى آخرون أنَّه ليس إلَّا يعقوب بن كِلِّس الذي أسلمَ فأصبحَ مسؤولًا كبيرًا في البلاط الفاطمي، وكان وزيرًا للعزيز بالله، وبقيَ كذلك حتى مات، وقد خلفَ بالتيل في منصبه ابنُه صموئيل، ثم ابنُ ابنه يوسف.

ثم تقول "دائرة المعارف اليهوديَّة": وقد تمتَّع اليهود برفاهية في مصر؛ لأنَّهم تعلَّموا اللغة العربيَّة، وكانت معاملة الخلفاء والوزراء الفاطميِّين لهم في غاية اللُّطف، وكان لليهود المصريِّين عَلاقات تجاريَّة ودينيَّة نشيطة مع إخوانهم يهود فلسطين والعراق.

وكانت لهم محكمةٌ عُليا توجد في الفُسطاط، وكان يرأسها ديَّان - وهو لقب لما يسمَّى الآن بقاضي القضاة - وكانت له سلطةٌ على المحاكم اليهوديَّة الإقليميَّة.

ومن كبار اليهود الذين وُجِدُوا في مصر أو وفدوا إليها في تلك الفترة: منسه بن إبراهيم القزاز، موسى بن إليعازر وابناه إسحاق وإسماعيل وحفيده يعقوب بن إسحاق، وابن سكرية بن سعدة، وكان كلٌّ هؤلاء أطبَّاء في قصر الخليفة المُعِز، بالإضافة إلى كلٍّ من: إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وإسحاق هاكوهين بن فرات، وسعدية بن يوسف، وهو العالم المعروف بـ(سعيد الفَيُّومي)، وقد استمرَّت الأحوال الطيِّبة في حقِّ اليهود طَوالَ العصر الفاطميِّ حتى السِّنين الأخيرة لحكم الحاكم بأمر الله الذي تسامح مع اليهود، وكان يستخدم عددًا كبيرًا منهم، ومنهم طبيبه الخاص: الحقير النافي.

إلَّا أنَّه لمِزاجه المتقلِّب اضطهد اليهود، فترك عددٌ كبير من اليهود دينَهم ودخلوا في الإسلام، وهاجر آخرون إلى اليمن والأقاليم البيزنطيَّة الأخرى.

وفي عهد الخليفة الظاهر انتهت هذه الاضطهادات، وسُمح لليهود والمسيحيِّين الذين دخلوا الإسلام أن يرجعوا إلى دينهم الأصلي.

وفي عهد المستنصر كان لتاجرَين يهوديَّين نفوذٌ كبير ومارَسا السُّلطة في الدَّولة؛ وهما: أبو سعد إبراهيم، وأخوه أبو نصر هارون.

وفي عهد المستعلي انتفع اليهود كثيرًا، واحتلَّ بعضُهم المناصِب الكبرى في الدَّولة، وكان أبو المنية سليمان رئيسًا للقسم الزِّراعي في الدَّولة، وقد اشتهر هذا كثيرًا؛ لأنَّه حفر قناةً من النِّيل، ولكنَّه سُجن فيما بعدُ؛ حيث اتَّضح أنَّه كان مسؤولًا عن تبديد أموال ضخمة في حفر هذه القناة، وكان

النَّجيد يهودا بن سعدية طبيبًا للبلاط، وقد خلَفه في منصب الطبيب الخاصِّ للخليفة الحافظ أبو منصور صموئيل بن حنانية.

ومن اليهود ذوي المراكز المهمَّة في هذه الفترة القرن الثاني عشر: أبو المعالي صموئيل بن يهودا، وأبو السرور ابن طريف، وداود بن إسحاق هاليفيي، وناتانيل بن إليعازر هاكوهين الذي كان يسمَّى: (أبو النقر)، أفراييم بن شماليا الذي كان من غَزَّة، وأصبح رئيس التجمُّع اليهوديِّ بالفُسطاط.

وحديثنا يطول عن نفوذ اليهود في الدَّولة الفاطميَّة، نكتفي بما ذكرناه وسنرجع له فيما بعدُ، وكان هذا النفوذ هو الذي جعل شاعر مصر في ذلك العهد والمعروف بـ(ابن البوَّاب) يقول:

يَهودُ هذا الزَّمانِ قَد بَلَغوا	مَرتَبَةً لا يَنالُها فَلَكُ
المُلكُ فِيهِمُ والمالُ عِندَهُمْ	ومِنهُمُ المُستَشارُ والمَلِكُ
يا مَعشَرَ النَّاسِ قَد نَصَحتُ لَكُمْ	تَهوَّدُوا قَد تَهوَّدَ الفَلَكُ

٢- أفتى بعض علماء القَيروان - وهو أبو الفضل عبَّاس المُمْسي - بوجوب الخروج على دولة بني عُبيد الفاطميَّة؛ لأنَّهم مجوسٌ زال عنهم اسم المسلمين، ثم قال: فلا تتوارَثوا معهم ولا تتناسَبوا.

ولم يقتصر أبو الفضل على الإفتاء؛ بل شارك بنفسه في حرب الفاطميِّين مع أبي يزيد الخارجي، ولقِيَ حتفَه بمعركة الوادي المالح مع خمسة وثمانين صالحًا من صُلحاء القَيروان.

٣- قال الشاعر سهل الورَّاق في هَجوِ بني عُبيد - وهو غير الشاعر سهل بن محمَّد الورَّاق الأندلسيِّ من شعراء القرن الثاني - الفاطميِّين في تائيَّته الطويلة؛ جاء في مطلعها:

هَل أنتَ بعدَ الشَّيبِ ذُو صَبَواتِ ... أَمْ مُرعَوٍ عَنها مُطِيعُ نَهاةِ

ثم يقول:

ما قَصَّ في التَّنزيلِ سَوْءَةَ أُمَّةٍ ... إلَّا وَفِيهِم ضِعفُها سَوْءاتِ
إن رُمتَ تُخبِرُهُمْ بِسِيرَةِ مَن مَضى ... قَالُوا: أَتُخبِرُنا بمُختَرَقاتِ؟!
الطَّاعِنينَ عَلى النبِيِّ مُحمَّدٍ ... والقائِلِينَ بأَسخَفِ القالاتِ
أَنَّ الإمامَ هُوَ النبِيُّ وأَنَّهُ ... رَبٌّ، تَعالى اللهُ ذُو العَظَماتِ
فُتِنُوا بِأَحمَقِ مَن عَلَيها كيفَ لَوْ ... عَلِقُوا بِذِي لُبٍّ وذِي إخباتِ
هَدَمَ المساجِدَ وابتَناها مَنزَهًا ... لِمَضارِبِ العِيدانِ والنَّاياتِ

٤- قال المالكي في "رياض النفوس":

قال بعض الشُّعراء في هَجوِ بني عُبيد:

النَّاكِثِينَ عُهودَ اللهِ كُلِّهِمُ ... قَومٍ إلى سَفَهٍ في النَّاسِ أَوْضاعِ
العَابِدِينَ إذا عِجلٌ يُخاطِبُهُمْ ... بسِحْرِ هارُوتَ مِن كُفرٍ وتَبْداعِ
لَو قِيلَ للرُّومِ أنتُمْ مِثلُهُمْ لَبَكَوا ... أوِ اليَهُودِ لَسَدُّوا صُمْخَ أَسْماعِ

٦- قال شاعر العربيَّة المتنبِّي مخاطبًا محمَّد بن طُغُجَّ الإخشِيديَّ التُّركي في أواخر سنة **٣٢٢** أو أوائل سنة **٣٤٧** بقوله:

وَقِيلَ: عَدَوتُ عَلَى العالَمِيـ ... ـنَ بَينَ وِلادِي وبَينَ القُعُودِ
فمالَكَ تَقبَلُ زُورَ الكَلامِ ... وقَدرُ الشَّهادَةِ قَدرُ الشُّهُودِ
فَلا تَسمَعَنَّ مِنَ الكاشِحِينَ ... ولا تَعبأَنَّ بِعِجلِ اليَهُودِ
وكُن فارِقًا بَينَ دَعْوى أَرَدتُّ ... ودَعْوى فَعَلتَ بِشَأْوٍ بَعِيدِ

قال أديب العربيَّة الكبير محمود محمَّد شاكر معلِّقًا على الأبيات السالفة في كتابه "المتنبي"، والذي أصدرته "المقتطَف" في ١/ ١/ ١٩٣٦م بمناسبة

انقضاء ألف سنة على وفاة المتنبِّي: «والبيت الثاني استثارةٌ لابن طُغج؛ إذ كان من أعداء العَلويِّين في غير عَلانية، وكان من أنصار العبَّاسيَّة، فهو يقول له: مالي أراكَ تقبَل فِيَّ قولَ أعدائك وأعداء مَواليك العبَّاسيِّين، وكان أَوْلى بكَ أن تَزِنَ أقوالهم بما تَزِنُهم به؛ (فقَدْرُ الشَّهادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ)؛ فلا تسمع لهؤلاء الذين يُضمِرون العداوةَ (الكاشِحين)، ثم وصلَ كلامَه عن العَلويِّين بذكر العَلويِّين الفاطِمِيِّين فقال: (ولا تَعبَأَنَّ بعِجلِ اليَهُودِ)؛ و(عجلُ اليهود) كنايةٌ عن أحد الدُّعاة الفاطميِّين الذين كانوا هناك بالشام.

وتأويل ذلك: أنَّ العبَّاسيِّين وكثيرًا غيرهم حتى من العلويِّين أنفسِهم كبني حَمْدان - كانوا لا يعترفون بنسبة الفاطميِّين، ويزعمون أنَّ جدَّهم كان يهوديًّا، وأسلمَ ليُدخل على الإسلام فاسدَ العقائد نكاية، وآسَدَهم على ذلك أنَّ الدَّعوة الفاطميَّة كانت دعوةً سريةً لها أصولٌ خاصَّة، ودرجات مرتَّبة، من درجة التَّلمذَة إلى درجة داعي الدُّعاة، ولكلِّ درجة من الدَّرجات تعليمٌ خاصٌّ، ومرتبةٌ معروفة مقيَّدة؛ فقول المتنبي: (عِجْلُ الْيَهُودِ) إشارة إلى ذلك.

ولا أنسى أن أعودَ بالقارئ إلى بيتٍ من أبيات المتنبِّي في ذكر التَّنوخِيِّين؛ يذكرهم بقوله:

أَلَيسَ عَجِيبًا أنَّ بَينَ بَني أَبٍ　　　لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدِبُّ العَقارِبُ؟!

يقول محمود محمَّد شاكر: «وقد تبيَّن لنا بعد البحث الطَّويل في تواريخ العَلويِّين أنَّ بعض الدُّعاة الفاطميِّين كان قد دخل اللاذِقِيَّةَ وهي من منازل تَنوخ، وأدخلَ قسمًا من التَّنوخِيِّين في الدَّعوة الفاطميَّة؛ وبذلك افترق التَّنوخِيُّون فرقتَين: فرقة العَلويِّين، وفرقة الفاطميِّين، وهذه الأخيرة هي التي خرج منها الدُّروزُ وهم تَنوخِيُّون.

وفريق الدُّروز يُتَّهمون من قديم بعبادة العِجل، وقد نفى ذلك كثيرٌ من الباحثين، والله أعلم بحقيقةِ أمرهم.

ولعلَّ هذا هو السرُّ في قول أبي الطيِّب المتنبِّي: (عجل اليهود)؛ يشير إلى الفاطميِّين.

وفي قوله: (نَجْل يَهُودِي) يريد: داعي الفاطميِّين الذي قسَّم التَّنوخِيِّين، وضربَ بعضَهم ببعض. اهـ.

ونكتفي بهذا القدر، ولعلَّه كان كافيًا أخي القارئ في إلقاء الضوء على الطائفة التي خرجت منها طائفة الدُّروز.



ادعاؤهم الصِّلة بالنَّسب الشريف زورًا وبهتانًا

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: وأمَّا الكذب على العِترَةِ النبويَّة فأكثر من أن يوصَف؛ فبنو عُبيد - الذين يسمَّون القَدَّاحيِّين - كانوا يقولون: إنَّهم فاطميُّون، وبنَوا القاهرة وبقُوا ملوكًا يدَّعون أنَّهم علويُّون نحو مئتي سنة، وغلبوا على نصف مملكة الإسلام حتى غلبوا في بعض الأوقات على بغداد، وكانوا كما قال فيهم أبو حامد الغزالي: ظاهر مذهبِهم الرَّفض، وباطنُه الكفر المَحْض، وقد صنَّف القاضي أبو بكر بن الطيِّب كتابه الذي سمَّاه "كشف الأسرار، وهتك الأستار" في كشف أحوالهم، وكذلك ما شاء الله من علماء المسلمين؛ كالقاضي أبي يَعلى، وأبي عبد الله محمَّد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتاني.

وأهل العلم كلُّهم يعلمون أنَّهم لم يكونوا من وَلَدِ فاطمة، بل كانوا من ذرِّية المَجوس، وقيل: من ذرِّية يهودي، وكانوا من أبعد الناس عن رسول الله ﷺ في سَنَنِه ودِينه، باطنُ دِينهم مركَّب من دين المجوس والصابئين، وما يُظهرون من دين المسلمين هو دين الرافضة، فخيارُ المتديِّنين منهم هم الرافضة، وهم جُهَّالهم وعوامُّهم، وكلُّ مَن دخلَ معهم يظنُّ أنَّه مسلم ويعتقد أنَّ دين الإسلام حق، وأمَّا خواصُّهم - من ملوكهم وعلمائهم - فيعلمون أنَّهم خارجون من دين المِلَل كلِّها؛ من دين المسلمين واليهود والنصارى.

وأقربُ الناس إليهم الفلاسفة - وإن لم يكونوا أيضًا على قاعدة فيلسوف معيَّن - ولهذا انتسَب إليهم طوائف المتفلسِفَة؛ فابنُ سينا وأهلُ بيته من أتباعهم، وابن الهَيثَم وأمثالُه من أتباعهم، وأصحاب "رسائل إخوان

الصَّفا" صنَّفوا الرسائل على نحوٍ من طريقتهم، ومنهم الإسماعيليَّة، وأهل دار الدعوة في بلاد الإسلام.

ووصفُ حالهم ليس هذا موضعَه، وإنَّما القصد أنَّهم كانوا من أكذب الناس وأعظمهم شركًا، وأنَّهم يكذبون في النَّسَب وغير النَّسَب؛ ولذلك تجدُ أكثرَ المشهَدِيَّة الذين يدَّعون النَّسَب العلويَّ كذَّابين، إمَّا أن يكون أحدهم مولًى لبني هاشم، أو لا يكون بينه وبينهم نَسَبٌ ولا وَلاء، ولكن يقول: أنا علويٌّ، وينوي علويَّ المذهب، ويجعل عليًّا رضي الله عنه، وعن أهل بيته الطاهرين - كأنَّ دينَه دينُ الرافضة، فلا يكفيه هذا الطعنُ في عليٍّ حتى يُظهر أنَّه من أهل بيته أيضًا.



الحاكم بأمر الله الفاطمي

ونُورد هنا ترجمةً للحاكم العُبيديِّ الذي يُؤلِّهه الدُّروز؛ وذلك إتمامًا للفائدة:

قال ابن خَلِّكان:

«تولَّى الحاكم المذكور عهدَ أبيه في حياته، وذلك في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة، ثم استقلَّ بالأمر يومَ وفاة والده.

وكان جوادًا بالمال سفَّاكًا للدِّماء، قتل عددًا كثيرًا من أماثل أهل دولته وغيرهم صَبرًا، وكانت سِيرتُه من أعجب السِّيَر، يخترعُ كلَّ وقت أحكامًا يحمل الناس على العمل بها؛ منها: أنَّه أمرَ الناس في سنة خمس وتسعين وثلاثمئة بكَتبِ سبِّ الصَّحابة - رضوان الله عليهم - في حِيطان المساجد والمقابر والشوارع، وكتب إلى سائر عمَّال الدِّيار المصريَّة يأمرهم بالسبِّ، ثم أمرَ بقلع ذلك ونهى عنه وعن فعله سنة سبع وتسعين، ثم تقدَّم بعد ذلك بمُدَّة يسيرة بضرب من يسبُّ الصَّحابة وتأديبه ثم يشهَّر.

ومنها: أنَّه أمر بقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلاثمئة، فلم يُرَ كلبٌ في الأسواق والأزِقَّة والشوراع إلَّا قُتِل، ومنها: أنَّه نهى عن بيع الفُقَّاع - شراب يُتَّخَذ من الشَّعير؛ سُمِّيَ بذلك لِما يعلوه من الزَّبَد والفُقَّاع - والملوخِيَّا والتُّرْمُس والجِرجِير والسَّمَك الذي لا قِشرَ له! وأمر بالتَّشديد في ذلك، والمبالغة في تأديب مَن يتعرَّض لشيء منه، وظهر على جماعة أنَّهم باعوا أشياءَ منه، فضربهم بالسِّياط وطِيفَ بهم، ثم ضُرِبت أعناقُهم.

ومنها: أنَّه في سنة اثنتين وأربعمئة نهى عن بيع الزَّبيبِ قليلِه وكثيرِه على

اختلاف أنواعه، ونهى التجَّار عن حمله إلى مصر، ثم جمع بعد ذلك منه جملةً كثيرةً وأحرق جميعَها، ويُقال: إنَّ مقدار النفقة التي غرِموها على إحراقه كانت خمسمئة دينار.

وفي هذه السنة منعَ من بَيع العِنَب، وأنفذَ الشهود إلى الجِيزَةِ حتى قطعوا كثيرًا من كُرُومها ورمَوها في الأرض وداسوها بالبقر، وجمعَ ما كان في مخازنها من جِرَار العَسَل فكانت خمسة آلاف جَرَّة، وحُملت إلى شاطئ النِّيل، وكُسرت وقُلِبت في النِّيل.

وفي هذه السنة أَمَر النصارى واليهود إلَّا الخَيابِرَة بلبس العمائم السُّود، وأن تحملَ النصارى في أعناقهم الصُّلبان ما يكون طُوله ذراعًا ووزنُه خمسة أرطال، وأن تحملَ اليهود في أعناقهم قرامي الخَشَب على وزن صُلبان النصارى، ولا يركبوا شيئًا من المراكب المحلَّاة، وأن تكونَ ركبهم من الخَشَب، ولا يستخدموا أحدًا من المسلمين، ولا يركبوا حمارًا لمُكارٍ مسلم ولا سفينةً نُوتِيُّها مسلم، وأن يكونَ في أعناق النَّصارى إذا دخلوا الحمَّام الصُّلبان، وفي أعناق اليهود الجلاجل؛ ليتميَّزوا عن المسلمين.

ثم أفردَ حمَّامات اليهود والنصارى من حمَّامات المسلمين، ووضع على حمَّامات النصارى الصُّلبان، وعلى حمَّامات اليهود صور القرامي، وذلك في سنة ثمان وأربعمئة.

وفيها أمرَ بهدم الكنيسة المعروفة بقُمامة وجميع الكنائس بالدِّيار المصريَّة، ووهبَ جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الأرياع والأحباس لجماعة من المسلمين، وتتابعَ إسلام جماعة من النصارى.

وفي هذه السنة نهى عن تقبيل الأرض له، وعن الدُّعاء والصلاة عليه في الخُطَب، وأن يُجعلَ عِوضَ ذلك السلامُ على أمير المؤمنين.

وفي سنة أربع وأربعمئة أمر ألَّا ينجِّم أحد ولا يتكلَّم في صناعة النجوم، وأن يُنفَى المنجِّمون من البلاد، فحضر جميعهم إلى القاضي مالك بن سعيد الحاكم بمصر وعقدَ عليهم توبةً وأُعفوا من النفي، وكذلك أصحاب الغناء.

وفي شعبان من هذه السنة منع النساء من الخروج إلى الطُّرقات ليلًا ونهارًا، ومنع الأساكفة من عمل الخِفَاف للنِّساء، ومُحيَت صورهنَّ من الحمَّامات، ولم يزلنَ ممنوعاتٍ عن الخروج إلى أيَّام ولده الظاهر، وكانت مُدَّة منعهنَّ سبع سنين وسبعة أشهر.

وفي شعبان سنة إحدى عشرة وأربعمئة تنصَّر جماعةٌ ممَّن كان أسلمَ من النصارى».

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمته:

«كان كثيرَ التلوُّن في أفعاله وأحكامه وأقواله، جائرًا، وقد كان يروم أن يدَّعي الألوهيَّة كما ادَّعاها فرعون، فكان قد أمرَ الرعيَّة إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمَه أن يقومَ الناس على أقدامهم صفوفًا؛ إعظامًا لذِكره، واحترامًا لاسمه، فعلَ ذلك في سائر ممالكه؛ حتى في الحرمَين الشريفَين! وكان قد أمرَ أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خَرُّوا سُجَّدًا له، حتى إنَّه ليسجدُ بسجودهم مَن في الأسواق من الرَّعاع وغيرهم ممَّن كان لا يصلِّي الجمعة، وكانوا يتركون السجودَ لله في يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم!

وأمرَ في وقتٍ لأهل الكتابَين بالدخول في دين الإسلام كَرهًا، ثم أذنَ لهم في العَود إلى دينهم، وخرَّب كنائسهم ثم عمَّرها، وخرَّب القُمامة ثم أعادها، وابتنى المدارس وجعلَ فيها الفقهاء والمشايخ ثم قتلهم وأخربها،

وألزمَ الناس بغلق الأسواق نهارًا وفتحها ليلًا فامتثلوا ذلك دهرًا طويلاً، حتى اجتازَ مرَّة برجل يعمل النِّجارة في أثناء النهار فوقف عليه فقال: ألم أنهكم؟

فقال: يا سيِّدي؛ لمَّا كان الناس يتعيَّشون بالنهار كانوا يسهرون بالليل، ولمَّا كانوا يتعيَّشون بالليل سهِروا بالنهار، فهذا من جُملة السَّهر.

فتبسَّم وتركه، وأعادَ الناس إلى أمرهم الأوَّل.

وكلُّ هذا تغيير للرُّسوم، واختبار لطاعة العامَّة له؛ ليرقى في ذلك إلى ما هو أشرُّ وأعظم منه، وقد كان يعمل الحِسبةَ بنفسه؛ فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمارٍ له - وكان لا يركب إلَّا حمارًا - فمَن وجدَه قد غشَّ في معيشته أمرَ عبدًا أسود معه يُقال له: مسعود أن يفعلَ به الفاحشةَ العظمى!».

وقال ابن العِماد في كتابه "شذرات الذهب، في أخبار مَن ذهب":

«وكان الحاكم شيطانًا مَريدًا، خبيثَ النفس، متلوِّن الاعتقاد، سمحًا جوادًا، سفَّاكًا للدِّماء»، ثم ذكرَ قريبًا ممَّا ذكرَه ابن خَلِّكان، ثم قال ابن العماد: «ويُقال: إنَّه أرادَ أن يدَّعيَ الإلهيَّة كفرعون، وشرعَ في ذلك؛ فخوَّفه خواصُّه من زوال دولته، فانتهى، وكان المسلمون والذمَّة في ويلٍ وبلاءٍ شديدٍ معه.

وكان الحاكم المذكور سيِّئَ الاعتقاد، كثيرَ التنقُّل من حالٍ إلى حال، ابتدأ أمره بالتزيِّي بزي آبائه وهو الثياب المُذَهَّبة والفاخرة، والعمائم المنظومة بالجواهر النفيسة، وركوب السُّروج الثقيلة المصوغة، ثم بدا له بعد ذلك وتركَه على تدريج بأن انتقلَ منه إلى المُعلَم غير المذهَّب، ثم زادَ الأمر به حتَّى لبسَ الصوف ورَكِبَ الحُمُر، وأكثرَ من طلب أخبار الناس والوقوف

على أحوالهم، وبعثَ المتجسِّسين من الرِّجال والنِّساء؛ فلم يكن يخفى عليه رجلٌ ولا امرأةٌ من حواشيه ورعيَّته.

وكان مؤاخِذًا بيسير الذنب، لا يملك نفسَه عند الغضب، فأفنى رجالًا، وأبادَ أجيالًا، وأقامَ هيبةً عظيمةً وناموسًا، وكان يقتل خاصَّته وأقرب الناس إليه، وربَّما أمرَ بإحراق بعضهم، وربَّما أمرَ بحمل بعضهم وتكفينه ودفنه وبناء تُربةٍ عليه، وألزمَ كافَّة الخواصِّ بملازمة قبره والمبيتِ عندَه، وأشياءَ من هذا الجنس؛ يموِّه بها على أصحاب العقول السخيفة؛ فيعتقدون أنَّ في ذلك أغراضًا صحيحة.

ومع هذا القتل العظيم والطُّغيان المستمرِّ يركب وحدَه منفردًا تارةً وفي الموكب أخرى، وفي المدينة طورًا وفي البَرِّيَّة آونة، والناس على غاية الهيبة والخوف منه، والوجل لرؤيته، وهو بينهم كالأسدِ الضاري.

فاستمرَّ أمره كذلك مدَّة ملكه نحو إحدى وعشرين سنة حتى عنَّ له أن يدَّعيَ الإلهيَّة، ويصرِّح بالحُلول والتناسُخ، ويحمل الناس عليه، وألزمَ الناس بالسجود مُدَّة إذا ذُكر، فلم يكن يُذكَر في محفِل ولا مسجد ولا على طريق إلَّا سجد مَن يسمع ذكرَه، وقبَّل الأرض إجلالًا له.

ثم لم يُرضِه ذلك حتى كان في شهر رجب سنة تسع وأربعمئة ظهرَ رجل يُقال له: حسين بن حيدرة الفَرْغاني الأخرم؛ يرى حلولَ الإله في الحاكم ويدعو إلى ذلك، ويتكلَّم في إبطال الثواب، وتأوَّل جميعَ ما وردَ في الشريعة، فاستدعاه الحاكم وقد كثُر تَبَعُه، وخلعَ عليه خِلَعًا سَنيَّة، وحملَه على فرس مسرَج في موكبه، وذلك في ثاني رمضان منها، فبينما هو يسير في بعض الأيَّام تقدَّم إليه رجلٌ من الكَرْخ على جسر طريق المِقياس وهو في الموكِب، فألقاه عن فرسه، ووالى العربُ عليه حتى قتله، فارتجَّ الموكب

وأُمسك الكرخيُّ فأُمر به فقُتل في وقته، ونهبَ الناس دار الأخرم بالقاهرة، وأُخذ جميعُ ما كان له، فكان بين الخلع عليه وقتله ثمانيةُ أيَّام».

وذكر الحافظ الذهبي في "تاريخه" أنَّ الحاكم لمَّا زاد ظلمُه عَنَّ له أن يدَّعيَ الربوبيَّة؛ فادَّعى علم المغيَّبات، فكان إذا صَعِدَ المنبر يقول: فلان فعلَ في بيته كذا وكذا، وأكلَ كذا وكذا؛ وكان ذلك باتِّفاقٍ اعتمدَه مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الأمراء وغيرِهم، فرُفعت إليه في أثناء ذلك ورقةٌ مكتوب فيها:

بِالجَورِ والظُّلمِ قَد رَضِينا ... ولَيسَ بِالكُفرِ والحَماقَهْ
إنْ كُنتَ أُوتِيتَ عِلمَ غَيبٍ ... بَيِّنْ لَنا صاحِبَ البِطاقَهْ!

من كتب الدُّروز

وفي كتاب "أخبار الدُّول، فيمَن تصرَّف في مصرَ من أرباب الدُّول"؛ تأليف: محمَّد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغني بن عليٍّ الإسحاقيِّ المنوفيِّ (ص١١٢):

«وصنَّف له - أي للحاكم - بعضُ الباطنيَّة كتابًا، وكتب فيه أنَّ رُوحَ آدم انتقلت إلى عليٍّ، وأنَّ رُوحَ عليٍّ انتقلت إلى الحاكم، وقُرئ هذا الكتاب في الجامع الأزهر بالقاهرة، فقصدَ الناس قتلَ مؤلِّفه، فسيَّره الحاكم إلى جبال الشام، واستمالَ الناس إليه؛ وأعطاهم المال، وأباحَ لهم الخمور والزِّنى، حتى إنَّ جماعةً إلى الآن يعتقدون رجوع الحاكم ولا بدَّ أن يعودَ ويمهِّد الأرض، وتلك خيالاتٌ كاذبة، وظنونٌ فاسدة، والكتاب بجبل الدُّروز إلى الآن».

وفي كتاب "الجمعيَّات السرِّية والحركات الهدَّامة"؛ للأستاذ محمَّد عبد الله عنان:

«وقد أسفرت تعاليمُ دار الحكمة - مدرسة أسَّسها الحاكم - عن ظهور طائفة سرِّية جديدة هي طائفة الدُّروز أتباع إسماعيل الدُّرزي، وهو تركيٌّ دعا سنة **١٠١٦**م في أحد مساجد القاهرة بألوهيَّة الحاكم وعبادته، وزعمَ الحاكم نفسُه في آخر عهده أنَّ الرُّوح القُدُس ماثلةٌ في شخصه، وادَّعى الألوهيَّة، ونظَّم وزيره الفارسي حمزة بن عليٍّ رسومَ هذا الدِّين الجديد، ثم قُتِل الحاكم بعد ذلك في كمين دبَّرته له أخته - على ما يُقال - وأُخفيت جثَّته؛ فازدادَ أتباعه فتنةً، وزعموا أنَّه لم يَمُت ولكنَّه رُفع إلى السماء ثم يعود ليعاقب الكَفَرة، وصار ذلك مذهب دروز الشام الذين حملهم إسماعيل الدُّرزي على اتِّباع تعاليمه.

وقد خرج الدُّروز في صَوغ مذهبهم عن تعاليم عبد الله ابن ميمون الأصليَّة؛ فهم دَهريَّة يقولون بالحُلول، وأنَّ الله حكمة عامَّة تمثَّل في آلهة عِدَّة، وأنَّ الحاكم بأمر الله آخر هؤلاء الآلهة، وأنَّه يعود إلى الظهور حينما يصل الظلم في العالم غايته، فيفتح العالم ويقضي على جميع الأديان الأخرى.

ومراتب الطائفة الدُّرزيَّة ثلاث هي: الجاهل، والجويد، والعاقل، ولهؤلاء تُكشف أسرار المذهب تدريجيًّا، ويلتجئ الدُّعاة في ذلك إلى الرموز والإشارات الخفيَّة؛ حرصًا على كتمان الأسرار والتعاليم، ويتَّبعون خُطَّة الإسماعيليَّة في نشر دعوتهم بين أبناء الأديان الأخرى؛ فيتظاهرون أمامَ المسلمين بأنَّهم يؤمنون بمحمَّد، وأمامَ النصارى بأنَّهم يؤمنون بالمسيح، ويبرِّرون هذا المسلك بأنَّه واجب ألَّا تُكشف أسرار مذهبهم إلى أسود أو كافر.

ومن عاداتهم أنَّهم يجتمعون نساء ورجالاً ليتحدَّثوا في الشؤون الدِّينيَّة والسِّياسيَّة، بَيْدَ أنَّه لا يجوز لعاقل أن يشتركَ في تقرير الأمور.

وتُشبه رموزهم وإشاراتهم في التعارف رموزَ البناء الحُر، والدُّروز طائفة صغيرة لم تلعب دورًا كبيرًا في الثورة على الإسلام كباقي الشُّعب الإسماعيليَّة.



مسألة في الدُّرزيَّة والنُّصيريَّة: ما حُكمهم؟

الجواب: هؤلاء الدُّرزيَّة والنُّصيريَّة كُفَّار باتِّفاق المسلمين، لا يحلُّ أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، بل ولا يُقَرُّون بالجِزية؛ فإنَّهم مرتدُّون عن دين الإسلام، ليسوا مسلمين ولا يهودًا ولا نصارى، ولا يُقِرُّون بوجوب الصلوات الخمس، ولا وجوب صوم شهر رمضان، ولا وجوب الحج، ولا تحريم ما حرَّمه الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما، وإن أظهروا الشهادتَين مع هذه العقائد فهم كُفَّار باتِّفاق المسلمين.

فأمَّا النُّصيريَّة فهم أتباع أبي شعيب محمَّد بن نُصير؛ وكان من الغُلاة الذين يقولون: إنَّ عليًّا إله؛ وهم ينشدون:

أَشــهَــدُ أَن لا إلــهَ إلَّا ... حَــيـدَرَةُ الأَنْـزَعُ الـبَـطِـيـنْ
ولا حِــجــابَ عَــلـيــهِ إلَّا ... مُـحـمَّـدُ الـصَّـادِقُ الأَمِـيـنْ
ولا طَــريــقَ إلــيــهِ إلَّا ... سَـلْـمـانُ ذُو الـقُـوَّةِ الـمَـتِـيـنْ



الدُّروز من هم؟

وأمَّا الدُّرزيَّة فهم أتباع أنوشتكين الدُّرزي؛ وكان من موالي الحاكم، أرسلَه إلى أهل وادي تَيْم الله بن ثَعْلَبَة، فدعاهم إلى إلهيَّة الحاكم، ويسمُّونه البارَّ العلَّام، ويحلفون به، وهم من الإسماعيليَّة القائلين بأنَّ محمَّد بن إسماعيل نسَخ شريعة محمَّد بن عبد الله، وهم أعظم كفرًا من الغالية، يقولون بقِدَم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الإسلام ومحرَّماته، وهم من القرامطة الباطنيَّة الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي

العرب، وغايتُهم أن يكونوا فلاسفةً على مذهب أرسطو وأمثاله، أو مجوسًا، وقولُهم مركَّب من قول الفلاسفة والمجوس، ويُظهرون التشيُّع نفاقًا، والله أعلم.

۞ ۞ ۞

وقد كتب الأستاذ خوميل لبيب في "مجلة المصور" عدد (١٨٩٨) في ٩/ ٩/ ١٣٨٠هـ تحقيقًا عن الدُّروز، أورد فيه قصَّةً كشاهد على قول الدُّروز بالتناسُخ نذكرها لطرافتها؛ فقد قُتل أحد أفراد قبيلة مناوئة لقبيلة الأطرش محمَّد الأطرش؛ «وإنَّما المهم أنَّ امرأة دُرزيَّة ولدت يوم مقتل محمَّد الأطرش ولدًا أسمته: يحيى، وكبِرَ يحيى وعاد مع أسرته من وادي السرحان إلى السُّوَيداء، ولكنَّه اتَّجه من فَوره إلى بيت عليٍّ الأطرش والد القتيل، وارتمى على صدر الأمِّ - أمِّ القتيل - وهفا قلب الأم وقالت: هذا ولدي محمَّد!

أمَّا الصبي فكان يقول: لست يحيى إنَّما أنا محمَّد، وقد قتلني العربيُّ من ظهري.

وكانت لمحمَّدٍ ناقة في ذمَّة أعرابي، وسألوا يحيى مرَّة عن هذا العربي: هل تعرفه؟

فقال: نعم؛ لي في ذمَّته ناقة.

هذا هو التقمُّص - تقمُّص الأرواح - الذي يُعتبر أحد الأعمدة الأساسيَّة في العقيدة الدُّرزية، فالرُّوح جوهرة لا تبلى؛ إنَّما تنتقل ممَّن يموت إلى من يُولد؛ لحظة الموت تُوافق لحظة الميلاد.

وما دامت الرُّوح خالدة، فلماذا الجُبن والإحجام؟!

من هنا جاءت شجاعة الدُّروز التي اشتهروا بها في ثورتهم العظمى على الفرنسيِّين، إنَّ الدُّروز يعتقدون أنَّهم يجدِّدون العمر بالموت».

ثم قال: «عندما كان يحكم مصرَ الحاكمُ بأمر الله كان الإمام حمزة بن عليٍّ يبشِّر بعقيدة باطنيَّة متفرِّعة عن الشِّيعة، يحثُّ فيها على الفضائل، ويفسِّر القرآن تفسيرًا يتعارض مع تفسيرات الأئمَّة الأربعة، وكان في مصر تَرزي اسمه: أنوشتكين الترزي، لمَعَ في الحرب حتى صار قائدًا، وأخلصَ للعقيدة الجديدة التي كان الحاكم بأمر الله يحتضِن الدَّعوة لها ويُباركها، فصارَ مبشِّرًا، وقد بلغ المَجْدَلَ فنشرَ فيها العقيدة، حتى صارَ كلُّ مَن ينتسِب إليها يسمَّى التَّرزي، ومع الزَّمَن تحوَّلت كلمة التَّرزي إلى الدُّرزي، وما الدُّروز إلَّا قبيلة بني معروف العربيَّة».

وفي كتاب "الدُّروز؛ وجودهم، ومذهبهم، وتوطُّنهم"؛ للأستاذ سليم أبو إسماعيل، يقول في مقدِّمة كتابه (ص،٣-٤):

«أمَّا لماذا لم يكتب كَتَبَةُ الدُّروز في تاريخهم؟ فلم يكُن لجف في القلم أو لعِيٍّ في اللِّسان؛ بل لأنَّهم - وهم ولا جدال - لا يُطلعون الفِرَق الإسماعيليَّة التي تدين بالإسلام على ما تتفهَّمه وأفهمته، يعتبرون أنفسهم الآن ولألف سنة خَلَت في دَور السِّتر الذي كان عليه أئمَّتهم قبل دَور الكَشف الذي انقضى بانقضاء العصر الفاطمي الذهبي، عصر الخمسة الأئمَّة الأول: عصر القائم، وعصر المنصور، وعصر المعز، وعصر العزيز، وعصر الحاكم».

ويقول في الكتاب نفسه (ص٤١-٤٥): «الدُّروز طائفة من متنصِّرة العرب تقبَّلت الإسلام دينًا، واتَّخذت الفاطميَّة الإسماعيليَّة السَّبعيَّة مذهبًا شيعيًّا؛ نسبةً إلى الإمام السابع إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمَّد الباقر

ابن عليٍّ زين العابدين بن الإمام الحسين، أخي الإمام الحسن ابن الإمام عليِّ بن أبي طالب من زوجته فاطمة الزهراء.

وهم من عرب سوريا والعراق، وُجِدوا فيهما منذ فجر التاريخ، ولبثوا قائمين على الدَّهر بمن اندمج فيهم، وانضمَّ إليهم من عرب اليمن والحجاز الذين قَدِموا هذه البلاد واستوطنوها، فامتزجت دماؤهم قبل النصرانيَّة والإسلام، وقبل بعث موسى وعيسى ومحمَّد الذين اعتنقوا دياناتهم على التعاقُب.

وتقطُن أكثريَّتهم اليوم قِمَم لبنان وسفوحه في قضاء الشُّوف والمَتْن، اللَّذين كانا معًا يُعرَفان قديمًا مع ما في شَماليِّهما باسم: كِسِروان، وعاصمتهم فيه آنذاك: بَسكِنتا، ومن مواطنهم: بِكفَيَّا؛ بلدة الدُّروز القديمة، ودَير القمر والبَترون حيث كانوا فيها غالبيَّةً حتى أوائل القرن الثامن عشر المسيحي، وقرى دَير الشرفة في كِسِروان، وأقضية: راشَيَّا وحاصبَيَّا البِقاع، والبُلدان التي كانت تعرف باسم: وادي التَّيم، وبقاع كلب المعروف بأرام صوبا وسوريا المجوفة.

ويقيم قسم منهم في أراضي القُنَيطرة ووادي العَجَم وغُوطَة دمشق، وحيث كان يُعرَف بعض هذه الأراضي باسم الجَولان والحيدور.

ويقيم قسمٌ منهم في جبال حَوران المعروف اليوم بجبل الدُّروز، الذي سمَّاه السوريُّون واللبنانيُّون بعد ثورة **١٩٢٥** و**١٩٢٦**م التي قادها أبطال ذلك الجبل ضد المستعمر بـ: جبل العرب، حيث كان أسلافهم من بني هلال بن عامر بن صَعْصَعَة الذين عُرف الجبل باسمهم: جبل بني هلال، وكانوا يدينون منذ فجر الدَّعوة الفاطميَّة بهذا المذهب الذي يدين به الدُّروز.

وتشمل هذه المنطقة بلادَ صَلخَد التي بنى فيها حسَّان بن مِسمار الكلبيُّ

القُضاعيُّ قلعتَها الشهيرة سنة **٤٦٦** هجريَّة، وكتب على بابها: (أمرَ بعمارة هذا الحصنِ المبارك الأمير الأجلُّ مقدَّم العرب، عزُّ الدِّين فخر الدَّولة، عدَّة أمير المؤمنين المستنصر بالله الفاطمي).

وتشمل أراضي البثنية مركز الدعوة الفاطميَّة زمن الإمام الحاكم بأمر الله - البلاد التي كان يُطلَق عليها قديمًا اسم: أورانتيس، وقبلها: باشان، كما يقطُن قسمٌ منهم اليوم في جبل السماق من أعمال ولاية حلَب في قضاء حارِم، حيث أنشأ الإسماعيليُّون - وهم منهم - أوَّلَ دولة عُرِفَت باسمهم، وذلك في كُورة قِنَّسرين ومعرَّة مَصْرِين ومعرَّة إخوان وسيرمين.

ومن قُرى هذه البُلدان: بنابل، وقلب لوزة، وبشندلاية، وحدعين، وعبريتا، وككو، وحلة، وكفر بالس، وتل فيتا.

وجميع سكَّان هذه القرى من الدُّروز، ومنهم جماعةٌ يسكنون مع المسلمين السُّنيِّين في كَفر كيلة ودير بلونة، ويعرف هذا الجبل باسم: الجبل الأعلى، وفيه وفي توابعه نحو خمسين قريةً أكثر سكَّانها دروز، تناقَص عددُهم عمَّا كان كثيرًا؛ لأنَّ عائلاتٍ عديدةً منهم رحلت إلى جبل لبنان من جرَّاء الاضطهادات المتوالية.

ومن قُرَاه أيضًا: كفتين؛ وهي سهلٌ إلى الغرب من موقع قِنَّسرين، وسهل كفتين خِصبٌ فيه كثيرٌ من شجر الزيتون، يمتدُّ جنوبًا إلى قُرب حَماة.

وإلى جنوب كفتين على نحو ستة أميال: معرَّة مَصْرِين؛ سكَّانها حوالي ثلاثة آلاف، كان لها قديمًا سور.

وفي الطَّريق الجنوبيَّة من قرية بشندلاية اختبأ المشايخ - بنو جنبلاط وبنو نكد - بعد موقعة حَماة بين إبراهيم باشا المصري صاحب مصر والجنود العثمانيَّة سنة ١٨٣٠.

وإلى الجنوب الغربي على بعد ثمانية عشر ميلًا: إدلِب، التي يقع في طرفها جِسرُ الشَّغور على سيف البادية المعروفة بالسَّماوَة على حدود العراق، وتُعرَف ببادية كلب؛ نسبةً إلى بني كلب القُضَاعيِّين قبيلة الأمير رافع ابن أبي الليل بطل الدُّروز في فجر القرن الخامس الهجري في حروبهم الشهيرة المعروفة بمحنة حلب.

وهناك يقعُ جِسر الشَّغور الذي تقول العرب فيه: «إذا أوردتَّ شَغورًا فقد أعرَقت»، كما تقول: «مَن رأى حَضَنًا فقد أنجَد»، وفي قضاء أنطاكية مركز الدعوة بعد غَيبة الحاكم بأمر الله بعضُ قرًى يُقال: إنَّ سكَّانها يتمذهبون بالفاطميَّة إحداها تعرف باسم: جندالي، يطلق عليها في التركية تخفيفًا اسم: جادلية، فيها أربعمئة بيت من الدُّروز.

وفي بلاد صَفَد وساحل عَكَّا وجبل الكَرْمَل وشفا عمرو وطَبَرِيَّة من أراضي فِلسطين، وفي أراضي الجَليل وفي عَكَّا والناصرة نفسِها كان يُقيم في القرن الخامسَ عشرَ عددٌ ليس بقليلٍ منهم.

ويقيم اليوم في بيروت بعد أن كادَت تخلو منهم فيما مضى رهطٌ غير قليل، جُلُّهم من المتعلِّمين المثقَّفين، والمُلَّاك والتجَّار، والمحامين والموظَّفين في الجمهوريَّة اللُّبنانية، من نوَّاب ووزراء، وقضاة وأمراء جيش.

وأقلُّ منهم في دمشق عاصمة الجمهوريَّة السوريَّة، وبين هؤلاء كثيرٌ من الوزراء والسُّفراء، وحمَلة الأقلام ومهندسين، ومحامين وكَتَبَة، وأُدباء وصحافيِّين، وأساتذة ومعلِّمين في الجامعات العُليا وأطبَّاء، إلى ما هناك من الأخصائيِّين في سائر فروع الآداب والرِّياضيَّات والصِّناعات والفنون الجميلة، هذه الفنون التي تفوَّقوا بها على سواهم، وليس جهدُ هؤلاء مقصورًا على أنفسهم فحسب، بل إنَّهم برعوا في ما تلقَّوه، وأتقنوا ما درسوه.

أمَّا أمَّهات قُراهم في قضاء الشُّوف فهي: بعقلين، ويبدو من اسمها أنَّ أوَّل مَن نزلها من العرب بنو عقلين الذين كانوا ينزلون أيضًا قرية الكنيسة من أعمال المناصف المقاطعة المجاورة، وقيل في كلمة بني عقلين: بعقلين؛ كما يُقال في بني الحارث: بَلحارث.

وبلدة نيحا وعماطور والشويفات، وفي وادي التَّيم: حاصبَيَّا وراشَيَّا، وفي جبل حَوران: السُّوَيداء وصَلخَد وعرمان، وفي الإقليم: مجدَل شمس، وفي الغُوطة: جَرامانا.

ولكلٍّ من هذه العواصم تاريخٌ حافلٌ بمآثر هؤلاء الدُّروز القاطِنين فيها سنأتي على تفصيله في مكانه المناسب».

وفي كتاب "الدُّروز" (ص٦٨):

«ومن سُلالته - أي: النبيِّ ﷺ - الحسن والحسين جدُّ الأئمَّة الفاطميِّين ملوك المغرب ومصر، والشام والحجاز، وسادة الناس أجمعين، وإلى هؤلاء يرجع الدُّروز في تسلسُلهم المذهبي».

وفي (ص٩٢): «وقد ذكرنا أنَّ الجَعفَريَّة انقسموا بعدَ زمانه إلى قسمَين: قسم يقول بإمامة ولده موسى الكاظم أُطلق عليهم - ولا يزال - اسم: مُوسَويَّة.

وقسم اتَّبع إسماعيل بن جعفر وأُطلق عليهم اسم إسماعيليَّة؛ نسبةً إلى الإمام إسماعيل المذكور، وأنَّ الدُّروز كانوا من هؤلاء الأخِيرين».

ويقول (ص٩٥): «سبق وذكرنا أنَّ الشِّيعة الجَعفريَّة انقسمت بعد موت الإمام الأكبر جعفر الصادق إلى أقسام؛ أهمُّها: الموسويَّة والإسماعيليَّة موضوع البحث، ويأخذ الدُّروز بإمامة إسماعيل بن جعفر التي اقتضَت

الكلمة جَريان سرِّ الحقيقة في عَقِبه.

ومع أنَّهم يوافقون على مقتله قبل أبيه جعفر فإنَّهم يؤكِّدون أنَّ الإمام كان قد نصَّ على إمامته، والنصُّ في الإمامة ملزِمٌ لا يمكن الرجوعُ فيه، وهو لا يرجع القَهْقَرى؛ لأنَّه منحة إلهيَّة، هبةٌ تمَّت بالتسليم، وما كان الحقُّ - سبحانه وتعالى - بمن يبتدي له فيعود عمَّا وَهَب، ويرجع عمَّا أعطى، ولا يجوز أن ينسب إليه تعالى عدمُ العلم بأنَّ إسماعيل سيُتَوَفَّى قبل أبيه؛ إذ إنَّ نفيَ العلم معناه الجهل، وحاشا للحقِّ أن يكونَ جاهلًا.

ويزيدون على هذا أنَّ المنحة صادَفت أهلَها وأُعطِيَت لصاحب الحقِّ فيها، وحاشا لله من عدم معرفة الخِيرَة، فإسماعيل كان الأكبر والأحبَّ للإمام جعفر، والأحبَّ إلى أتباع الإمام؛ فإنَّه كان فاطميَّ النَّبعتَين من جهة الأب والأمِّ معًا؛ فأبوه هو مَن عَرَفتَ جعفر الصادق، وأمُّه فاطمة بنت الحسين بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب تلتقي معه في الجدِّ الأعلى، بينما أمُّ موسى وإخوته أمُّ ولد».

وفي (ص٩٨): «وكان الإمام محمَّد بن إسماعيل سابع الأئمَّة والناطق السابع، وأوَّل الأئمَّة المستورين الذين انتهى سَترهم بإعلان عبد الله المهديِّ القدَّاحي المعروف بسعيد الخير إمامة القائم بالله محمَّد بن عليِّ بن الحسين ابن أحمد ابن محمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الذي يعودُ بنسبه إلى الرسول.

ويعتبر الإسماعيليُّون والدُّروز من صميمهم الإمامَ محمَّد ابن إسماعيل الناطِق السابع، وأنَّ إمامته بدايةُ دَورٍ جديد، حتى لقد فضَّله الإسماعيليُّون على أبيه خاتمة الأئمَّة، فالإمام محمَّد بن إسماعيل جمَع بين درجتَي النُّطق والإمامة، وكان آخرَ الدَّور الأوَّل وأوَّلَ أئمَّة السِّتر، ورفعَ التكاليف الظاهريَّة

للشريعة؛ لمناداته بالتأويل، وجُنوحِه إلى المعنى الباطن، وغضِّه من شأن المعنى الظاهر».

وفي (ص١٠٤، ١٠٥): «وفي زمن الإمام المستَنصِر بالله الفاطميِّ عُرِف الدُّروز باسمهم هذا نسبةً إلى قائده الأمير أنوشتكين؛ ففي زمنه قَدِمَ الأمير عضُد الدَّولة أبو منصور زنجويه الدُّرزي، ربيبُ الحاكم وسجين الظاهر، وقائد جيش المستنصر، الملقَّب بأنوشتكين الدُّرزيِّ - قائدًا وواليًا على الشام، وجمَع الأولياء تحتَ قيادته فنُسِبوا إليه؛ كما نُسبت الجيوش الإخشيديَّة إلى الإخشيد، والكافوريَّة إلى كافور.

وانتشبت المعركة مع بني مِرداس الذين قَدِموا من حلب محاربين إلى رَمْلَةِ فلسطين، وعلى الأُقْحُوانة فتَكوا بصالح بن مِرداس، وكُتِب لهم الظَّفَر.

حتى إذا كانت سنة ٤٣٠هـ توفِّي الأمير أنوشتكين في حلب، ووقفت الدَّعوة الفاطميَّة عن الانتشار في الشام وغلب عليهم اسم الدُّروز».

وفي (ص١٢١): «ومن الثابت أنَّ إخوان الصَّفا - الذين لا يزال اسمُهم يرِنُّ في المجالس الدِّينيَّة الدُّرزيَّة والمحافل الفلسفيَّة القدسيَّة - كانوا يشرحون شرحًا يستمدُّونه من الإمام أحمد بن محمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق».

وفي (ص١٣٠): «التعاقُب الدوري ودين التوحيد: ولمَّا كان نور الله هو الذي أسبغَ على كلٍّ من النُّطقاء الذين سبقَ ظهورُهم نزولَ القرآن، وكان نور الله هو الذي أنطقَ بالحقِّ كلًّا من آدم ونوح وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمَّد، فكان كلٌّ منهم ذلك النور - اعتبر الإسماعيليُّون والدُّروز منهم كلَّ نبيٍّ ذاتًا للآخر، واعتبروا نور الله - لا الله الذي يجِلُّ عن الصِّفات - صفة، وعلى هذا كان ما صدر عنهم بما يعدُّه الناس أديانًا متفرِّقة دينًا واحدًا.

هذا ما نحا إليه الذين تفرَّعوا عن الإسماعيليَّة الأُولى، وكان منهم بعضُ القَرامِطَة الذين أُطلق على الموالين منهم لبني فاطمة اسم: العقدانيِّين؛ ولهذا أُطلق عليهم اسمُ: الموحِّدين؛ إذ قالوا بهذه الوَحدة في الدِّين.

وقد كَثُرت كلمة التوحيد والموحِّدين في رسائل الدُّروز الدِّينية؛ فإنَّك تكاد لا تقرأ في رسائلهم نداء لهم إلَّا وسُبق باسم: معشر الموحِّدين، وقد عرفوا هذا أو عرفَه الناس عنهم، وعلى هذا الاعتبار يكون دينُهم دينَ التوحيد الذي يوحِّد سائر الأديان ويقرِّبها بعضها إلى البعض الآخر، ويصبغها ويسبكها وَحدةً تامَّة بزعمهم.

ومن مفاخرهم أن يتقرَّبوا إلى أبناء الإنسانيَّة كافَّة بما يقرُّونهم عليه من دينٍ ومعتقد؛ باعتبار أنَّ مجموع الأديان دينٌ واحدٌ تجمعهم وَحدة الإنسانيَّة والدِّين والحب، ولا يضيرهم قول الحاسدين: إنَّهم يتظاهرون بما ليس فيهم ويتقرَّبون إلى الناس بغير ما يعتقدون؛ فإنَّ هذا شأن المصلحين.

فالدُّروز يقولون بوَحدة الأديان والأنبياء وحبِّ الإنسانيَّة جمعاء، قال محيي الدِّين بن عربي؛ أحد دُعاة المستنصِر الفاطمي:

لقَد كنتُ قبلَ اليَومِ أُنكِرُ صاحِبي ... إذا لم يَكُن دِيني إلى دِينِهِ دانِي
وقَد صارَ قَلبِي قابِلًا كُلَّ صُورَةٍ ... فَمَرْعًى لغِزلانٍ ودَيرٌ لرُهبانِ
وبَيتٌ لنِيرانٍ ومَعبَدُ طائِفٍ ... وأَلواحُ تَوراةٍ ومُصحَفُ قُرآنِ
أَدِينُ بدِينِ الحُبِّ أَنَّى تَوجَّهَت ... رَكائِبُه فالحُبُّ دِيني وإِيماني

ويقول الدُّروز: إنَّ هذه الأديانَ تعاقَبت دينًا بعد آخر، كلٌّ منها يؤيِّد ما سبقَه، وجرى هذا التعاقُب على الأنبياء والنُّطَقاء والأسُس وسائِر الخَلق أجمعين؛ ويُروى عن الرسول قولُه: «لم أزَل أنا وأنت يا عليُّ من نور واحد، ننتقِل في الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيَّة، كلَّما ضمَّنا صُلبٌ

ورَحمٌ ظهرت قدرةٌ وعِلم، حتَّى انتهَينا إلى الجدِّ الأفضل والأبِ الأكمل عبد المطَّلب، فانقسمَ النور نصفَين في عبد الله وأبي طالب، فقال الله تعالى: كن يا هذا محمَّدًا، وكن يا هذا عليًّا».

هذا ما يقوله الدُّروز بهذا الشأن، وهو نفس ما كتبه المعزُّ لدين الله يهدِّد المارق القِرمِطيَّ بقوله: إنَّ الله إذا أرادَ أمرًا قضاه» اهـ.

۞ ۞ ۞

وقال الشيخ محمَّد بن أحمد السَّفَّاريني في كتابه "لوائح الأنوار البهيَّة، شرح الدرَّة المُضيَّة" (١/ ٣٣٤):

«الدُّروز من الحمزاويَّة؛ أتباع حمزة المدعوُّ عندَهم بهادي المستجيبين، والبرذعي والدُّرزي وغيرهم من الحاكميِّين القائلين بإلهيَّة الحاكم العُبيدي، وكان أخصَّهم بالحاكم وأعجبَهم إليه حمزة المدعو بهادي المستجيبين وهو حمزة البادِ، وكان أعجميًّا، فأظهر الدُّعاء إلى عبادة الحاكم، وزعمَ أنَّ الإله حلَّ فيه، واجتمع إليه جماعة غُلاة الإسماعيليَّة، وكثُر جمعه ومَن دخلَ في دعوته، وشاع ذلك فظهر.

وكان الحاكم إذا ركبَ إلى تلك الجهة التي هو بها - فإنَّه كان مقيمًا في المسجد الذي عندَ ساقية زيدان بظاهر باب النصر من مصر - خرج إليه من المسجد وانفردَ به، ويقف الحاكم له راكبًا فيُحادثه ويُفاوضه.

وارتفعَ شأن هذا الملعون، واتَّخذ لنفسه خواصَّ لقَّبهم بألقاب، منهم رجل لقَّبه بسفير القدرة وجعلَه رسولًا؛ فكان يرسله لأخذ البَيعة على ما يعتقده الحاكم، ثم نبغَ شابٌّ من موالي الأتراك اسمه أنوشتكين البخاري، ويعرف بالدُّرزي، فسلك طريق الزوزني، فكثُر أتباعُه والمنتسبون إليه، وإليه تُنسب طائفة الدُّروز، وكان أيضًا يقف للحاكم ويخلو به ويقرِّر معه ما يفعله،

وسمَّى نفسه سيِّد الهادين وحياة المستجيرين، وهؤلاء وأتباعهم ومن نحا نحوهم هم الطائفة الموسومة بالإسماعيليَّة.

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيميَّة - قدَّس الله روحه -: الإسماعيليَّة كانوا ملوكَ مصر القاهرة، وكانوا يزعمون أنَّهم خلفاء علويُّون فاطميُّون، وهم عند أهل العلم من ذرِّية عبيد الله القدَّاح، وقال فيهم الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه الذي صنَّفه عليهم: ظاهر مذهبهم الرَّفض، وباطنه الكفر المَحض، وقد جزم شيخ الإسلام بكفر الإسماعيليَّة في محلَّات متعدِّدة من مصنَّفاته، وأنَّهم من القرامطة النُّصَيرية، وأنَّهم أشدُّ كفرًا من الغالية الذين يقولون بإلهيَّة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ﵁ ونبوَّته.

وعُبيد الله هو الملقَّب بالمهدي أوَّل العُبيديين، والمحقِّقون ينكرون دعواه في نسبته لآل البيت، ويقولون: إنَّ اسمه سعيد ولقبه عبد الله، وزوج أمِّه الحسين بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله بن ميمون القَدَّاح، وسمِّي قَدَّاحًا لأنَّه كان كحَّالًا يقدَح العينَ التي ينزل فيها الماء.

وسمُّوا بالإسماعيليَّة نسبةً إلى عُبيد الله بن محمَّد بن إسماعيل بن جعفر، وهو أبو طاهر المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقيَّة، وهم أهل هذه البدعة، ويُقال: إنَّ جدَّهم كان يهوديًّا، ولا مزيدَ على ما هم عليه من الكفر والإلحاد، والزندقة والفساد.

وقد فشَت نِحلتهم وانتشرت بدعتهم وكثُرت، وعظُم ضررها، واستفحل كفرها وشرُّها، ولا سيَّما في شُوف ابن معن ونواحي كِسِروان وفي الكَرمَل ونواحي عَكَّا وتلك البُلدان، والله المستعان.

❀ ❀ ❀

وقال في (الصفحة ١٣٤)[١]: «وهكذا حاول الموحِّدون أصحاب هذه الفكرة جمعَ الأديان كلِّها بدين واحد، فأُطلق عليهم اسم الموحِّدين، وكان من جملة هؤلاء من اتَّخذ بعد ذلك اسم الدُّرزية؛ نسبةً لفرقتهم التي ليست إلَّا إحدى الفِرَق التوحيديَّة، وظنَّ بعض الجهلة أنَّ الدُّرزيَّة شيء والتَّوحيديَّة شيء آخر».

ويقول في الصفحة نفسها: «فكان أن وضعوا على أنفسهم واجباتٍ أخلاقيةً تجاهَ مَن يحيط بهم من الناس، جعلوها فوقَ الفرائض الشكليَّة، وكان لهذا الاجتهاد أثرٌ خلُقيٌّ عظيم، أدَّى إلى عدم الاعتداد بالفرائض التكليفيَّة العمليَّة، وإلى الاستعاضة عنها بموجبات أدبيَّة؛ من وَلاية وطاعة، وصدق لسان، وحفظ إخوان، وقالوا بأنَّ ترك الفرائض لا يضير الإسلام؛ لأنَّ الإسلام هو الإيمان، والإيمان عقدٌ بالقلب لا نطقٌ باللِّسان».

وذلك على ما كان عليه المرجئة من قبلُ، واتِّباع لرأي بعض الفِرَق الصوفيَّة التي ترى أنَّ الشعائر الظاهرة ليست إلَّا وسيلة لغاية؛ يبطُل عملُها عند الوصول إلى الغاية نفسها.

❀ ❀ ❀

وفي كتاب "دائرة معارف القرن الرابع عشر"؛ تأليف: محمَّد فريد وجدي (٤/ ٢٦-٢٨): «الدُّرزي: واحد الدُّروز، وهم فرقةٌ من الباطنيَّة لهم عقائدُ سريَّة، وهم متفرِّقون بين جبال لبنان وحَوران والجبل الأعلى من أعمال حلَب، لم يُكتَب عن الدُّروز شيء يصحُّ الاعتماد عليه، ولا هم من الطوائف العاملة على بثِّ عقائدها؛ حتى يجدَ الباحث ما يعتمد عليه من

(١) الظاهر أن المؤلف يقصد صاحب كتاب "الدُّروز؛ وجودهم، ومذهبهم، وتوطُّنهم"، الذي سبق النقل عنه. (الألوكة).

مذهبها، فليس أمامَنا إلَّا مصادر أجنبيَّة عنهم، وربَّما لا تخلو تلك المصادر من شيء من التحامل أو الخطأ؛ فلذلك نحن ننقُل شيئًا من مذهبهم مع التحفُّظ:

ظهر مذهب الدُّروز في مصر في القرن الحادي عشر الميلادي على عهد الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، ظهر به رجل اسمه محمَّد بن إسماعيل الدُّرزي؛ قَدِم مصر من بلاد فارس فوافقَ الحاكم في دعواه الألوهيَّة، ودعا الناس للإيمان به، وأضافَ إلى هذا الدِّين طائفةً من العقائد القديمة وعقائد غُلاة الشِّيعة، فلم تُصادف هذه الدعوة قَبولًا في مصر؛ ففرَّ صاحبها إلى الشام، فوجدَ هناك آذانًا مُصغِية، ولكنَّ الدُّروز يلعنون هذا الرجل ولا يحترمونه، وينتسبون إلى حمزة بن عليٍّ العجمي الملقَّب بالهادي، وكان من خاصَّة الحاكم بأمر الله.

ظلَّت معتقدات الدُّروز في طيِّ الخفاء حتى استولى إبراهيم باشا بن محمَّد علي على معابدهم في جبل حاصبَيَّا، ووجدَ في كتبهم كُنْهَ مذهبهم تفصيلًا؛ منها كلمة الشهادة عندهم: ليس في السماء إله موجود، ولا على الأرض ربٌّ معبود، إلَّا الحاكم بأمره.

ومن معتقداتهم أنَّ الحاكم بأمر الله هو الله نفسُه، وقد ظهر على الأرض عشر مرَّات؛ أولاها في العالي، ثم في الباري، إلى أن ظهر عاشر مرَّة في الحاكم بأمر الله، وأنَّ الحاكم لم يمُت بل اختفى، حتى إذا خرجَ يأجوج ومأجوج - ويسمُّونهم القوم الكرام - تجلَّى الحاكم على الرُّكن اليماني من البيت بمكَّة، ودفع إلى حمزةَ سيفَه المذهَّب فقتل به إبليس والشيطان، ثم يهدمون الكعبة ويفتكون بالنصارى والمسلمين، ويملكون الأرض كلَّها إلى الأبد.

ويعتقدون أن إبليس ظهرَ في جسد آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمَّد، وأنَّ الشيطان ظهرَ في جسم ابن آدم، ثمَّ في جسم سام، ثم في إسماعيل، ثم في شمعون، ثم في عليٍّ بن أبي طالب، ثم في قداح صاحب الدَّعوة القِرمطيَّة، ويعتقدون بأنَّ عدد الأرواح محدود، فالرُّوح التي تخرج من جسَد الميت تعود إلى الدُّنيا في جسد طفل جديد.

وهم يسبُّون جميعَ الأنبياء، فيقولون: إنَّ الفحشاء والمنكر هما أبو بكر وعمر، ويقولون: إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المَائدة: ٩٠]، يُراد به الأئمَّة الأربعة وأنَّهم من عمل محمَّد.

ويعتقدون بالإنجيل والقرآن؛ فيختارون منهما ما يستطيعون تأويلَه ويتركون ما عداه، ويقولون: إنَّ القرآن أُوحِي إلى سلمان الفارسيِّ فأخذه محمَّد ونسبَه لنفسه، ويسمُّونه في كتبهم المسطور المبين، ويعتقدون أنَّ الحاكم بأمر الله تجلَّى لهم في أوَّل سنة ٤٠٨هـ، فأسقطَ عنهم التكاليف من صلاة وصيام وزكاة وحج، وجهاد ووَلاية وشَهادة.

لدى الدُّروز طبقةٌ تُعرَف بالمنزَّهين، وهم عُبَّادٌ أهل ورع وزهد، ومنهم مَن لا يتزوَّج، ومَن يصوم الدهر، ومَن لا يذوق اللحم ولا يشرب الخمر.

هذا ما استطعنا الوقوفَ عليه ممَّا ينسب إليهم، والله أعلم».

وفي المجلَّد التاسع من "دائرة المعارف الإسلاميَّة" (ص١٩٣):

«دُرزي: هو منشئ عقيدة الدُّروز، وهو الذي نُسبت إليه هذه الفِرقة - وإن لم يكن أهمَّ منشئيها - والظاهر أنَّ حمزة هو أهمُّ هؤلاء، وقد كتبَ عن درزي عِدَّة مؤرِّخين مسلمين ونصارى - كما أُشير إليه في كتب الدُّروز - وممَّا يدعو للأسف أنَّ هذه المصادر المختلفة لا تتَّفق فيما بينها، ومن المحقَّق فيما يبدو أنَّ دُرزي بدأ حياته داعيًا باطنيًّا (انظر مادَّة: داعي).

ويقول المؤرِّخان النَّصرانيان يوحنَّا الأنطاكي والمكين وأوَّلهما من معاصري درزي: إنَّ اسم المترجَم هو: محمَّد ابن إسماعيل، وإنَّه كان فارسيَّ الأصل.

وجاء في كتب الدُّروز: أنَّه لقِّب بلقب (أنوشتكين) وهو لقبٌ تركي، وقد وردَ النطق (درزي) أيضًا في كتب الدُّروز، ووَفَدَ درزي على مصر عام **٤٠٨**هـ: **١٠١٧**م؛ ذلك أنَّ حمزة قال في رسائله: «إنَّ درزي قد انحازَ إلى مذهب التوحيد بفضل المؤذِّن عليِّ بن أحمد حبَّال».

وخدمَ درزي في القاهرة الخليفةَ الحاكم بأمر الله، ونالَ في أوَّل الأمر رضاه، وعندئذٍ سعى إلى خلع حمزة والحلول محلَّه، وما وافى عام **٤٠٩**هـ: **١٠١٨**م حتى التفَّ حولَه أنصارٌ اضطهدَهم حمزة، وعُرِفوا بالدُّروز نسبة إليه، وكان أبرز هؤلاء الأنصار هو برذائيل.

وما زال بين أيدينا كتاباتٌ لحمزة ينعَت فيها درزي بأنَّه وَقِح شيطان، ويصفه بأنَّه عدوُّ الإمام؛ أي: عدوُّه هو نفسه، ويشكو من أنَّه تسرَّب من تحت جبَّة الإمام، واتَّخذ لنفسه لقب سيف الإسلام **٤٠٩**هـ: **١٠١٨**م.

وكان درزي أوَّل من جهر بالاعتراف بألوهيَّة الخليفة الحاكم، وهو يقول بأنَّ العقل الكلِّي قد تجسَّد في آدم في بَدء العالم، ثم انتقلَ منه إلى الأنبياء، ثم إلى علي، ثم إلى خلفاء الفاطميِّين.

وقد كتب درزي كتابًا يبسُط فيه هذا المذهب الذي لا يعدو أن يكونَ تطبيقًا لمذهب الباطنيَّة السابق له في النشأة، وأخذَ يقرأ هذا الكتاب في أهمِّ مسجد في القاهرة، وقد أثارَ هذا المذهب فضيحة، ولو أنَّ الحاكم لم يعترض عليه.

ويقال أيضًا: إنَّ مذهب درزي أباح الخمر، والزواج بمن حرَّم الله، وقال بتناسخ الأرواح، ويروي أبو المحاسن أنَّ درزي اضطُرَّ إلى الاتِّجاه إلى الشَّام بسبب هذه الفضيحة، وأنَّه بشَّر فيها بمذهبه بين أهل الجبال - وخاصَّة في وادي تيم الله - وفي إقليم بانياس (انظر هذه المادَّة)، وتشاحَن مع التُّرك، وخرَّ صريعًا في وَقعةٍ نشبَت بينهم وبينه.

على أنَّ يوحنَّا الأنطاكي لم يذكر خبرَ مصرعه على هذا النحو، ويتبعُه في ذلك المكين؛ فهما يقولان: إنَّه قُتل على يد الغلمان التُّرك في القاهرة وهو في مركب الحاكم؛ بسبب الفضيحة التي أثارها مذهبه، وقد نُهب بيته بعد مقتله، وقام شغَبٌ في المدينة ثلاثة أيَّام؛ ممَّا دعا إلى إغلاق أبوابها، واعتُقل قاتلُه ثم قُتل بذريعة أخرى، وقد تحمِلُ مراجع الدُّروز المرءَ على القول بأنَّ اغتيال درزي كان بإيماء من حمزة، ولقيَ نفس المصير عددٌ من أتباعه ومن بينهم: برذائيل (٤١٠هـ: ١٠١٩م).



قول شيخ الإسلام ابن تيميَّة فيهم

ويقول شيخ الإسلام في كتابه "الردِّ على النُّصيريَّة" ردًّا على سؤال سائل:

«هؤلاء القوم المسمَّون بالنُّصيريَّة هم وسائر أصناف القرامطة الباطنيَّة أكفرُ من اليهود والنصارى، بل وأكفرُ من كثير من المشركين، وضررُهم على أمَّة محمَّد أعظم من ضرر الكفَّار المحارِبين؛ مثل: كفار التتار، والفَرنج، وغيرهم؛ فإنَّ هؤلاء يتظاهرون عند جهَّال المسلمين بالتشيُّع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنَّة ولا نار، ولا بأحد من المسلمين قبل محمَّد ﷺ، ولا بملَّة من الملل السالفة؛ بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأوَّلونه على أمور يفترونها، يدَّعون أنَّها علم الباطن؛ من جنس ما ذكرَه السائل ومن غير هذا الجنس؛ فإنَّهم ليس لهم حدٌّ محدود فيما يدَّعون من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته، وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه.

إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكلِّ طريق، مع التَّظاهُر بأنَّ لهذه الأمور حقائقَ يعرفونها؛ من جنس ما ذكره السائل، ومن جنس قولهم: إنَّ الصلوات الخمس معرفةُ أسرارهم، أو الصِّيام المفروض كتمانُ أسرارهم، وحج البيت العتيق زيارةُ شيوخهم، وأنَّ (يدا أبي لهب) هما أبو بكر وعمر، وأنَّ النَّبأ العظيم والإمام المتين هو عليُّ بن أبي طالب.

ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائعُ مشهورة وكتبٌ مصنَّفة، فإذا كانت لهم مُكنَةٌ سفكوا دماء المسلمين؛ كما قتلوا مرَّة الحُجَّاج وألقَوهم في بئر

زمزم، وأخذوا مرَّة الحجرَ الأسودَ وبقيَ عندهم مدَّة، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وأمرائهم وجندهم ما لا يحصي عددَه إلَّا الله تعالى.

وصنَّفوا كتبًا كثيرة ممَّا ذكره السائل وغيره، وصنَّف علماء المسلمين كتبًا في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبيَّنوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد، الذين هم به أكفرُ من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام.

وما ذكره السائل قليلٌ من كثير في وصفهم، ومن المعلوم عندنا أنَّ السواحل الشاميَّة إنَّما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائمًا مع كلِّ عدوٍّ للمسلمين؛ فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندَهم انتصارُ المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله تعالى - النصارى على ثغور المسلمين، وما زالت بأيدي المسلمين، حتى جزيرة قبرص - يسَّر الله فتحَها عن قريب - وفتحَها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فتحَها معاوية بن أبي سفيان إلى أثناء المئة الرابعة.

فهؤلاء المحادُّون لله ورسوله كثُروا بالسواحل وغيرها، فاستولى النصارى على السَّاحل، ثم بسببهم استولَوا على القدس الشريف وغيره، فإنَّ أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك.

ثم لمَّا أقامَ الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى؛ كنور الدِّين الشهيد وصلاح الدِّين وأتباعهما، وفتحوا السواحل من النصارى، كان بها منهم، وفتحوا أيضًا أرض مصر فإنَّهم كانوا مستولين عليها نحو مئتي سنة، واتَّفقوا هم والنصارى؛ فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد.

ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالدِّيار المصريَّة والشاميَّة،

ثم إنَّ التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفةَ بغداد وغيرَه من ملوك المسلمين إلَّا بمعاوَنتهم ومؤازَرتهم؛ فإنَّ مُنجِّمَ هُولاكُو الذي كان وزيرَهم وهو النَّصير الطُّوسي كان وزيرًا لهم، وهو الذي أمرَ بقتل الخليفة بوَلاية هؤلاء.

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين؛ تارةً يسمَّون الملاحدة، وتارةً يسمَّون القرامطة، وتارةً يسمَّون الباطنيَّة، وتارةً يسمَّون الإسماعيليَّة، وتارةً يسمَّون النُّصيريَّة، وتارةً يسمَّون الخُرَّمِيَّة، وتارةً يسمَّون المحمِّرة، وهذه الأسماء منها ما يعمُّهم ومنها ما يخصُّ بعضَ أصنافهم؛ كما أنَّ الإسلام والإيمان يعمُّ المسلمين، ولبعضهم اسم يخصُّه؛ إمَّا لنسب، وإمَّا لمذهب، وإمَّا لبلد، وإمَّا لغير ذلك.

وشرحُ مقاصدهم يطول، كما قال العلماء فيهم: ظاهرُ مذهبهم الرَّفض، وباطنُه الكُفر المَحض.

وحقيقة أمرهم أنَّهم لا يؤمنون بنبيٍّ من الأنبياء والمرسلين؛ لا بنوح، ولا إبراهيم، ولا موسى، ولا عيسى، ولا محمَّد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ولا بشيءٍ من كتب الله المنزَّلة؛ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن، ولا يقرُّون بأنَّ للعالم خالقًا خلقَه، ولا بأنَّ له دينًا أمرَ به، ولا أنَّ له دارًا يجزي الناس فيها على أعمالهم غيرَ هذه الدار.

وهم مَكَرَة يبنون قولهَم على مذاهب الفلاسفة الطاعنين والإلهيِّين، وتارةً يلبِّسونه على قول الفلاسفة وقول المجوس الذين يعبدون النُّور، ويضمُّون إلى ذلك الرفض، ويحتجُّون لذلك من كلام النبوَّات؛ إمَّا بقولٍ مكذوب ينقُلونه؛ كما ينقُلون عن النبيِّ أنَّه قال: «أوَّل ما خلق الله العقل»، والحديث موضوع باتِّفاق أهل العلم بالحديث، ولفظه: «إنَّ الله لمَّا خلقَ العقل قالَ

له: أقبل، فأقبل، فقالَ له: أدبِر، فأدبَر»، فيحرِّفون لفظه ويقولون: «أوَّل ما خلقَ الله العقل»؛ ليوافِقوا قولَ المتفلسِفة أتباع أرسطو في أنَّ أوَّل الصادرات عن واجب الوجود هو العقل؛ إمَّا بلفظ ثابت عن النبيِّ ﷺ فيحرِّفونه عن مواضعه كما يصنعُ أصحاب "رسائل إخوان الصَّفا" ونحوهم، فإنَّهم من أئمَّتهم.

وقد دخلَ كثيرٌ من باطلهم على كثير من المسلمين وراجَ عليهم، حتى صارَ ذلك في كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدِّين - وإن كانوا لا يوافقونهم على أصول الدَّعوة النهائيَّة - وهي درجات متعدِّدة، ويسمُّون النهاية البلاغَ الأكبرَ والناموسَ الأعظم.

ومضمونُ البلاغ الأكبر جحدُ الخالق تعالى والاستهزاءُ به وبمَن يُقِرُّ به؛ حتى قد يكتبُ أحدهم اسمَ الله في أسفل رجله، وفيه أيضًا: جَحدُ شرائعه ودينه وما جاءَ به الأنبياء، ودعوى أنَّهم من جنس طالبي الرِّئاسة فمنهم من أحسنَ في طلبها، ومنهم من أساءَ في طلبها حتى قُتل، ويجعلون محمَّدًا وموسى من القسم الأوَّل، ويجعلون المسيحَ من القسم الثاني.

وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصَّوم والحج، ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش - ما يطولُ وصفُه، ولهم إشاراتٌ ومخاطباتٌ يعرف بها بعضهم بعضًا، وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثُر فيها أهل الإيمان فقد يَخفَون على من لا يعرفهم، وأمَّا إذا كثُروا فإنَّه يعرفهم عامَّة الناس فضلًا عن خاصَّتهم.

وقد اتَّفق علماء المسلمين على أنَّ هؤلاء لا يجوزُ مُناكحتهم، ولا يجوز أن يُنكِح الرجل موَليَّته منهم، ولا يتزوَّج منهم امرأة، ولا تُباح ذبائحهم».

إلى أن قال: «ولا يجوز دفنُهم في مقابر المسلمين، ولا يصلَّى على مَن مات منهم؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى نهى نبيَّه ﷺ عن الصلاة على المنافقين؛ كعبدالله بن أُبَيٍّ، ونحوه، وكانوا يتظاهَرون بالصلاة والزكاة والصِّيام والجهاد مع المسلمين، ولا يُظهرون مقالةً تُخالف دين الإسلام لكن يسرُّون ذلك؛ فقال الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤]؛ فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزَّندقة والنِّفاق يظهرون الكفر والإلحاد؟!

أمَّا استخدام هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنَّه من الكبائر، وهو بمنزلة مَن يستخدم الذئاب لرَعي الغنم؛ فإنَّهم من أغشِّ الناس للمسلمين ولولاة أُمورهم، وهم أحرصُ الناس على فساد المملكة والدَّولة، وهم شرٌّ من المُخامِر الذي يكون في العسكر؛ فإنَّ المُخامرَ قد يكون له غَرَضٌ إمَّا مع أمير العسكر وإمَّا مع العدو، وهؤلاء مع المِلَّة ودينها وملوكها وعلمائها وعامَّتها وخاصَّتها.

وهم أحرصُ الناس على تسليم الحصون إلى عدوِّ المسلمين، وعلى إفساد الجند على وليِّ الأمر وإخراجهم عن طاعته، ويحلُّ لولاة الأُمور قطعُهم من دواوين المُقاتِلة، فلا يُترَكون في ثَغر ولا في غير ثَغر؛ فإنَّ ضررَهم في الثَّغر أشدُّ، وأن يستخدمَ بدلَهم مَن يحتاج إلى استخدامه من الرِّجال المأمونين على دين الإسلام، وعلى النُّصح لله ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم، بل إذا كان وليُّ الأمر لا يستخدم مَن يغشُّه وإن كان مسلمًا، فكيف بمَن يغشُّ المسلمين كلَّهم؟!

ولا يجوز له تأخيرُ هذا الواجب مع القدرة عليه، بل أيَّ وقت قدَرَ على الاستبدال بهم وجبَ عليه ذلك».

إلى أن قال: «لكنَّ دماءهم وأموالهم مباحة، وإذا أظهروا التوبة ففي قَبولها نزاعٌ بين العلماء؛ لكنَّ هؤلاء إذا أُخِذُوا فإنَّهم يظهرون التوبة؛ لأنَّ أصل مذهبهم التَّقيَّة وكتمان أمرهم، وفيهم من يعرف وفيهم من قد لا يعرف، فالطَّريق في ذلك أن يُحتاطَ في أمرهم فلا يُترَكون مجتمعين، ولا يُمَكَّنون من حمل السلاح، وأن يكونوا من المقاتلة، ويُلزمون شرائع الإسلام؛ من الصلوات الخمس وقراءة القرآن، ويُترك فيهم من يعلِّمهم دين الإسلام، ويُحال بينهم وبين معلِّمهم.

ولا ريبَ أنَّ جهاد هؤلاء وإقامةَ الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد مَن لا يُقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب؛ فإنَّ جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدِّين، والصدِّيق وسائر الصحابة بدؤوا بجهاد المرتدِّين قبل جهاد الكفَّار من أهل الكتاب؛ فإنَّ جهاد هؤلاء حفظٌ لما فُتِح من بلاد المسلمين وأن يدخلَ فيه مَن أرادَ الخروجَ عنه، وجهاد مَن لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدِّين؛ وحفظ رأس المال مقدَّم على الرِّبح.

وأيضًا فضررُ هؤلاء على المسلمين أعظمُ من ضرر أولئك، بل ضررُ هؤلاء من جنس ضرر مَن يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، وضررهم في الدِّين على كثير من الناس أشدُّ من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب.

ويجب على كلِّ مسلم أن يقومَ في ذلك بحسَب ما يقدر عليه من الواجب، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يكتُمَ ما يعرفه من أخبارهم، بل يُفشِيها ويظهرها؛ ليعرف المسلمون حقيقةَ حالهم، ولا يحلُّ لأحد أن ينهى عن القيام بما أمرَ الله به ورسوله؛ فإنَّ هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى؛ وقد قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [التحريم: ٩].

والمعاوِن على كفِّ شرِّهم وهدايتهم بحسَب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلَّا الله تعالى؛ فإنَّ المقصودَ بالقصد الأوَّل هو هدايتُهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠]؛ قال أبو هريرة: كنتم خيرَ الناس للناس؛ تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تُدخلوهم الإسلام.

فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هدايةُ العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسَب الإمكان، فمَن هداه الله منهم سَعِد في الدُّنيا والآخرة، ومَن لم يهتدِ كفَّ الله ضررَه عن غيره.

وفي "مختصر الفتاوى المصريَّة" (ص٥١٣): «فإنَّ القاهرة قد ملكَها العُبيديُّون الذين اتَّفق المسلمون على أنَّهم خارجون عن الشريعة، وأنَّهم كانوا إسماعيليَّة كما قال الغزالي: ظاهرُ مذهبهم الرَّفْض، وباطنُه الكُفر المَحْض، واتَّفقوا على أنَّ قتلهم كان جائزًا، وهم الذين أحدثوا للنصارى هذه الكنائس.

وصنَّف العلماء في كفرهم وزندقتهم؛ مثل: القُدُوري، والشيخ أبي حامد الأَسْفَرائيني، والقاضي أبي يَعلى، وأبي محمد بن أبي زيد، وأبي بكر ابن الطيِّب الباقلَّاني.

والذين يوجدون في بلاد الإسلام من الإسماعيليَّة والنُّصيريَّة والدُّرزيَّة هم من أتباعهم، وكان وزيرهم بالقاهرة مرَّة يهوديًّا فقَوِيَت اليهوديَّة بسببه، ومرَّة نصرانيًّا أرمنيًّا وقَوِيَت النصارى بسبب ذلك النصراني الأرمني، وبَنَوا كنائس كثيرةً بأرض مصر في دولة أولئك الرافضة المنافقين.

وكانوا يُنادون بين القصرَين: (مَن لعنَ وسَب، فله دينارٌ وإرْدَب).

وفي أيَّامهم أخذ النصارى ساحل الشام من المسلمين حتى فتحَه نور الدِّين محمود بن زنكي وصلاح الدِّين الأَيُّوبي».



مبادئهم وتعاليمهم

وفي كتب الرحَّالة حنَّا أبي راشد كلامٌ عنهم؛ ففي كتابه "حَوران الدامية" في (ص ٢٣٨-٢٤١) من كتابه المذكور ما يلي: «من مبادئ الموحِّدين بالله - ونعني بهم: الدُّروز - أنَّنا من الآن اصطلحنا على أن نعبِّرَ عن الدُّروزيِّين بالموحِّدين؛ لما علمناه بعد البحث والتحقيق من عقائدهم، فليكن معلومًا للمؤرِّخين أنَّه متى أُطلق لفظ الموحِّدين فإنَّما المراد منه هم الدُّروز بالمعنى المصطلح عليه، والآن نشرع في بعض مبادئ من مبادئهم الدِّينيَّة؛ تثبيتًا لما أطلقناه عليهم من هذا اللقب الجديد، وها هي مستخلَصةً من أهمِّ المصادر الموثوق بها:

١- إنَّ رموز وإشارات كتبهم لا تُفهَم حقيقتُها، ولا تُحلُّ رموزها، إلَّا بعد قيام مظهر أمر الله المعروف بالقائم المجدِّد، ووزيره حمزة.

٢- الأخذ في كلِّ شيء بالبحث والبرهان، لا بالتقليد عن علمائهم ورؤسائهم، فالحقُّ أكبر من كلِّ عظيم عندَهم مهما كانت درجته ومنزلته العلميَّة، فلا يسوغ أخذُ قضيَّة من القضايا، ولا اعتناق عقيدة من العقائد، إلَّا بعدَ درسها وفهمها فهمًا خاصًّا بكلِّ ناظر؛ حتى تكون عقيدته عقيدةً صحيحةً مبرهَنةً، منسوبةً إليه لا إلى غيره.

٣- الحرص على عقائدهم بعدم إفشائها أو إخبار أحدٍ بها حتى يأتيَ موعودهم، اكتفاءً بما عندهم من العدد القليل؛ لأنَّهم هم الذين تطهَّروا من دَنَسِ الاختلافات المذهبيَّة، فهم خلاصة العقيدة الصحيحة، وجوهرة الأُمم النقيَّة، التي لا يجوز ابتذالُها، ولا إلقاؤها في مزابل الأوهام، وتقاليد الأنام، فكذا حصروا عقيدتهم على المؤمنين من أبناء

طائفتهم؛ لأنَّهم هم الذين سيقودون الأُمم جميعًا بعد قيام موعودهم إلى دعوتهم، وأنَّها ستكون هي العقيدةَ الوحيدةَ في جميع العالم إذ ذاك، فتنتفي المخالفات، وتتوحَّد العقيدة، ويكون العالم جميعه أمَّةً واحدةً ودينًا واحدًا وشريعةً واحدة.

٤- الوَحدة؛ بمعنى: أنَّ العالم كلَّه مرتبط مع خالقه بواحد لا تعدُّد فيه، وإن تعدَّدت أسماؤه وجهاته، فهو واحدٌ بذاته في كلِّ زمان ومكان، ولا يُعرف الله الواحد إلَّا بعد معرفة مظهره الذي سيسوق العالم كلَّه إلى أمره والاعتقاد به، وهو الموعود المنتظر لكلِّ أمَّة وكلِّ دين.

٥- المظهر الواحد بذاته يتجلَّى بأسماء متعدِّدة في جهات مختلفة؛ فهو يتجلَّى أوَّلًا بنَيِّر أعظم وشمس مشرقة، ثم يبدو بخمسة مظاهر كبرى في الكُرة الأرضيَّة؛ في الشرق وفي الغرب، وفي الجنوب وفي الشمال، ففي الكُرة الأرضيَّة يظهر باسم الحاكم بأمر الله الذي يكون وسيطًا بين الله وبين وزرائه الأربعة، وهؤلاء الوزراء يكونون وسطاء بين الله وبين عموم البشر، وفي الشَّرق يتجلَّى باسم (هادي المستجيبين) - المعروف بحمزة - ويرأس الثلاثة الوزراء، ويتميَّز عنهم بأن يكون علمُه لَدُنِّيًّا غير مكتسَب، وقوَّته فائقةً على جميع الخلق، غالبةً لكلِّ من يعارضها.

وفي الغرب يتجلَّى باسم (الكلمة)، وفي الشمال يتجلَّى باسم (المختار)، وفي الجنوب يتجلَّى باسم (روح الله).

أمَّا المظاهر العشر التي تُلقَّب بالمعلِّمين فتتجلَّى في كلِّ زمان ومكان؛ بحسَب استعدادات الأُمم وقابليَّتها، ولهم في كلِّ دور من أدوارهم شأنٌ معيَّن وتشريع خاصٌّ؛ بمناسبة حال الأُمم رِفعةً وضَعَة، ولا يُفقدون من العالم وإن تخالفت أسماؤهم بحسَب الجهات، ولهم

سُفَراء يعبِّرون عن مبادئهم في كلِّ مكان بلُغَتِهم وجنسيَّتهم، ويلاحظون في كلِّ أمَّة معتقداتهم وعاداتهم، أمَّا الجهات الرئيسة لهؤلاء المعلمين فهي: الهند، الصِّين، العجم، اليابان، البادية، مصر، سوريا، أمريكا الشماليَّة، أوربَّا، روسيا.

٦- بما أنَّهم أمَّة لهم مِيزة خاصَّة بهم وتشريع معيَّن، وأنَّ كلَّ أمَّة من الأُمم الراقية لها تاريخ خاصٌّ بها يعتبر مبدأً لتكوينها وتاريخًا لإيجادها - فقد ناسَب أن نبيِّن لهذه الأمَّة التي تُعَدُّ ضمن الأمم الراقية مبدأ تاريخها وتكوين نشأتها؛ فنقول: يبتدئ وجود هذه الأمَّة الموحِّدة من سنة **١٠٢٠** ميلاديَّة **٤١٠** هجريَّة، وهي السنة التي بُويعَ فيها الحاكم بأمر الله بمصر؛ بواسطة حمزة والوفد الذي آمن به من مختلِط الأُمم على ما بيَّناه آنفًا في السجل المعلق.

٧- اعتقادهم أنَّهم مبدأ العالم؛ بمعنى: أنَّ العالم منذ بدايته وجد لِأَن يكون نتيجةَ ظهورهم، فما زال يتقلَّب في أدواره وتطوُّراته حتى ابتدأ تكوينُ وجودهم في السنة المذكورة التي بُويع فيها الحاكم، فهم جوهرة محجوبة عن نظر العالم، وكنزٌ دفين تحت حنايا الأُمم، لا تظهر إلَّا بمجيء موعودهم، وهو الوحيد الذي يمكنه أن يكشفَ النقاب عن تلك الجوهرة الثمينة.

٨- تميُّز الرجل عن المرأة وأفضليَّته عليها؛ لأنَّ مظاهر الألوهيَّة لم تكن ولن تكون في المرأة؛ فلذا كان الرجل مقدَّسًا مفضَّلًا عليها، ومن ذلك يعتقدون أنَّها لا تَصِل إلى مستوى الرجل في كلِّ أدوارها.

٩- يثبتون أنَّ العالم منذ نشأته خُلِق بحَدٍّ مخصوص لا يزيد ولا ينقص، فرجل الخير يتوارثه الخير، ولا يزال يترقَّى في خيراته ومبرَّاته إلى ما لا نهاية حتى يجيء اليوم الموعود؛ لأنَّ الجميع كلَّه نوعُ خيِّر، لا فرق في

هذا بين الرجل والمرأة حينئذ.

هذه هي خلاصة مبادئهم التي قلَّما يعرفها إلَّا خاصَّتهم الذين لا يتجاوز عددهم عدد الأصابع، وهم الذين بيدهم سرُّ الأمر؛ حيث يرونه مكتومًا لا يصلح إباحتُه لمن سواهم، ولا يجوز دخول غيرهم معهم من الجُهلاء البعيدين عن هذا السرِّ ولو كانوا من أعلم العلماء.

وخلاصة هذا المذهب أنَّ القائم الموعود لإصلاح البشر يجب أن يكونَ دُرزيًّا عمليًّا، وإن لم يكن في ظاهره ونسبته المعروفة منهم؛ لأنَّهم لا يعتبرون إلَّا الرُّوحانيَّات، فمتى كانت الرُّوح روحًا طاهرة متشرِّبة بالعقيدة الدُّرزيَّة - ولو كان مظهرها شرقيًّا أو غربيًّا - جازَ أن تكونَ هي الإمامَ المنتظر، والخليفةَ المتَّبع، والمربِّيَ الوحيد للعالم الإنساني.



ترجمة الحاكم عند ابن كثير

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١/ ٣٢٠) في ترجمة العزيز صاحب مصر:

«وقام بالأمر من بعده ولدُه الحاكم - قبَّحه الله - والحاكم هذا هو الذي يُنسب إليه الفرقة الضالَّة المضلَّة والزنادقة الحاكميَّة، وإليه يُنسب أهل وادي التَّيم من الدُّرزيَّة؛ أتباع هشتكين غلام الحاكم الذي بعثَه إليهم يدعوهم إلى الكفر المحض فأجابوه - لعنه الله وإيَّاهم أجمعين - أمَّا العزيز هذا فإنَّه كان قد استوزرَ رجلًا نصرانيًّا يُقال له: عيسى بن نسطور، وآخر يهوديًّا اسمه ميشا؛ فعزَّ بسببهما أهلُ هاتين الملَّتين في ذلك الزمان على المسلمين، حتى كتبت إليه امرأةٌ قِصَّة في حاجة لها تقول فيها: «بالذي أعزَّ النصارى بعيسى بن نسطور واليهود بميشا، وأذلَّ المسلمين بهما، لما كشفتَ ظُلامتي»، فعندَ ذلك أمرَ بالقبض على هذين الرجلين، وأخذَ من النصارى ثلاثمئة ألف دينار».

وقال في **(١١/ ٣٤٥،٣٤٦)** في حوادث سنة **٤٠٢**هـ: «ذكر الطَّعن من أئمَّة بغداد وعلمائهم وغيرهم من الأئمَّة في نَسَبِ الفاطميِّين وأنَّهم أدعياء كَذَبَة:

وفي ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضرَ تتضمَّن الطعن والقدح في نَسَبِ الفاطميِّين - وهم ملوك مصر - وليسوا كذلك، وإنَّما نَسَبُهم إلى عُبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعةٌ من العلماء والقضاة والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدِّثين، وشهدوا جميعًا أنَّ الحاكمَ بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم - حكمَ الله عليه بالبوار،

والخزي والدَّمار - ابن مَعَدِّ بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد - لا أسعده الله - فإنَّه لمَّا صارَ إلى بلاد المغرب تسمَّى بعُبيد الله وتلقَّب بالمهدي، وأنَّ من تقدَّم من سَلَفِه أدعياء خوارج لا نَسَبَ لهم في ولد عليٍّ بن أبي طالب، ولا يتعلَّقون به بسَبَب، وأنَّه منزَّه عن باطلهم، وأنَّ الذي ادَّعوه إليه باطل وزُور، وأنَّهم لا يعلمون أحدًا من أهل بيوتات عليٍّ بن أبي طالب توقَّف عن إطلاق القول في أنَّهم خوارج كَذَبة.

وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعًا في الحرمَين، وفي أوَّل أمرهم بالمغرب منتشرًا انتشارًا يمنع أن يدلِّسَ أمرهم على أحد، ويذهبَ وَهَمٌ إلى تصديقهم فيما ادَّعوه، وأنَّ هذا الحاكم بمصر هو وسَلَفُه كُفَّارٌ فُسَّاقٌ فُجَّارٌ مُلحِدون، زنادقة معطِّلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسيَّة والثَّنَوِيَّة معتقدون، قد عطَّلوا الحدود، وأباحوا الفُروج، وأحلُّوا الخمر، وسفكوا الدِّماء، وسبُّوا الأنبياء، ولعنوا السَّلَف، وادَّعوا الرُّبوبيَّة، وكُتب في سنة اثنتين وأربعمئة.

وقد كتبَ خطَّه في المحضر خلقٌ كثير؛ فمن العلويِّين: المرتضى، والرِّضا، وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيِّب، ومحمَّد بن عمر ابن أبي يعلى، ومن القُضاة: أبو محمَّد بن الأكفاني، وأبو القاسم الجزري، وأبو العبَّاس ابن السيوري، ومن الفقهاء: أبو حامد الأسفراييني، وأبو محمَّد بن الكَشْفُلي، وأبو الحسن القُدُوري، وأبو عبد الله الصَّيْمَري، وأبو عبد الله البَيضاوي، وأبو عليٍّ بن حَمَكان، ومن الشهود: أبو القاسم التَّنُوخي في كثير منهم، وكتب فيه خلقٌ كثير؛ هذه عبارة أبي الفرج بن الجوزي.

وقد صنَّف القاضي الباقلَّاني كتابًا في الردِّ على هؤلاء، وسمَّاه "كشف الأسرار، وهتك الأستار"؛ بيَّن فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضَّح أمرَهم لكلِّ أحد.

ووضوح أمرهم ينبئ عن مطاوي أفعالهم وأقوالهم، وقد كان الباقلَّاني يقول في عبارته عنهم: «قوم يُظهِرون الرَّفْض، ويُبطِنون الكُفرَ المَحْض».



قرار بمنح صفة المواطن الإسرائيليِّ للدُّروز، مضاعفة عدد المستوطنين حتى يبلغَ (١٠,٠٠٠)

أفاد نبأٌ للإذاعة الإسرائيليَّة أمس أنَّ إسرائيل تتَّجه نحو تعزيز الاستيطان اليهوديِّ في هَضْبةِ الجَوْلان السوريَّة المحتلَّة، في وقت تَواصلَ فيه توسيع العمليَّات الاستيطانيَّة في منطقة عربيَّة أخرى محتلَّة؛ هي الضَّفَّة الغربيَّة.

وقال النبأ الذي التقطته (كونا): إنَّ الحكومة الإسرائيليَّة بحثت أمس مشروع قرار يقضي بمضاعفة عدد المستوطنين اليهود في الجَولان حتى يبلغ (١٠,٠٠٠) نسمة.

وأضاف: إنَّ المشروع الذي تقدَّم به وزير الزراعة الإسرائيليُّ ورئيس اللجنة الوزاريَّة للاستيطان أرييل شارون يدعو كذلك إلى دعم المستوطنين في الجَولان حتى عام **١٩٨٢**م في عِدَّة مجالات، كما يقضي بزيادة عدد السكَّان اليهود في قرية قِنَّسْرِين في الجَولان بأربعة أضعاف؛ لاستكمال انتشار القرى والمستوطنات في وسط المنطقة وشمالها.

وتقول حكومة إسرائيل: إنَّها لن تعيدَ هَضْبةَ الجَولان التي احتلَّتها مع الضَّفة الغربيَّة وقطاع غزَّة في عام **١٩٦٧**م إلى سوريا؛ لأنَّها تهدِّد أمنَها.

أمَّا بالنسبة للضَّفة فإنَّها تعتبرها جزءًا من أرض إسرائيل؛ بموجب المفاهيم التوراتيَّة.

وتقول وكالة (ا. ف. ب): إنَّ الحكومة الإسرائيليَّة طلبت من جميع الوزارات المعنيَّة أن تتَّخذَ إجراءً من شأنه أن يمنحَ صفة المواطن الإسرائيليِّ إلى المواطنين الدُّروز في الجَولان، الذين يطلبون ذلك اعتبارًا من الآن وحتى بضعة

أسابيع قادمة.

وقد اتُّخِذ هذا القرار أمس في القدس خلال اجتماع مجلس الوزراء، وبالرغم من معارضة الدكتور يوسف بورغ وزير الداخليَّة ورئيس الوفد الإسرائيليِّ في مفاوضات الحكم الذاتيِّ في الضَّفة الغربيَّة لنهر الأردن وقطاع غزَّة، ويرى الدكتور بورغ في الواقع أنَّ مثل هذا القرار يمكن أن يعطيَ الانطباعَ أنَّ الجَولان لها أهميَّة كبرى لدى إسرائيل عن الضَّفة الغربيَّة لنهر الأردن وأرض غزَّة.



عقائد الدُّروز

قال الدكتور محمَّد كامل حسين في كتابه "طائفة الدُّروز؛ تاريخها وعقائدها" (ص١١٣-١١٥): وهكذا أصبح للدُّروز حدود دينيَّة نستطيع ترتيبَهم حسَب ما ورد في "رسالة معرفة الإمام" إلى:

أولًا: العقل الكُلِّي وهو ذو معه، عِلَّة العِلَل والآمر، قائم الزمان، وهو الإرادة، وهو الإمام الأعظم حمزة بن عليٍّ بن أحمد هادي المستجيبين.

ثانيًا: النفس وهو ذو معه، وهو المشيئة، إدريس زمانه، وأخنوخ أوانه، هرمس الهرامسة، الشيخ المجتبى، الحجَّة الصفيَّة الرضيَّة، وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن محمَّد بن حامد التميمي، صهر حمزة بن علي.

ثالثًا: الكلمة وهو سفير القدرة، الشيخ الرضي، فخر الموحِّدين، وبشير المؤمنين، وعماد المستجيبين، أبو عبد الله محمَّد بن وهب القرشي.

رابعًا: الجناح الأيمن - أي: السابق - نظام المستجيبين، وعزُّ الموحدين، أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري.

خامسًا: الجناح الأيسر - أي: التالي - الشيخ المقتني، لسان المؤمنين، وسند الموحِّدين، ومعدن العلوم، الذي له يقوم بالأفعال الصحيحة المعلومة، بينما تكون قوَّة حدِّ السابق مستورة مكتومة، بهاء الدين أبو الحسن عليُّ بن أحمد السموفي، المعروف بالضيف.

هؤلاء هم الحدود النوارنيُّون النفسيُّون الرُّوحانيُّون الجرمانيُّون الجسمانيُّون، والحدود الأربعة الذين يتلون العقل الكليَّ هم الأربعة الحُرُم، وهم أيضًا الحجج الأربعة، وهؤلاء الحدود يظهرون في كلِّ عصر في صور

مختلفة وأسماء متباينة، فقد يحتجبون ويتَّخذون السِّتر تقيَّةً عندما تشتدُّ الظلمة؛ أي: عدم اعتقاد توحيد الحاكم المعبود، فمثلًا عندما ظهر المعبود في صورة أبي زكريا وظهر حمزة ابن علي في صورة قارون - ظهر أبو إسماعيل التميمي - الصواب أبو إبراهيم إسماعيل التميمي - النفس الكليَّة في صورة أبي سعيد الملطي وهكذا، على أنَّ التالي - أي بهاء الدِّين الضيف - له ثلاثة حدود هم:

١- الجد: وهو أيوب بن علي.
٢- الفتح: وهو رفاعة بن عبد الوارث.
٣- الخيال: وهو محسن بن علي.

وهؤلاء الثلاثة يتلقَّون أوامرهم من بهاء الدِّين، وليس لهم المكانة التي للحدود الحُرُم أو المرتبة التي خُصِّصت لهم في العقيدة الفاطميَّة.

ثم جعلوا حدود الإمامة والتوحيد سبعين درجة على النحو التالي:

١- النفس الكلِّية: وله اثنتا عشرة حجَّة في الجزائر، وسبعة دعاة للأقاليم.
٢- الكلمة: وله اثنتا عشرة حجَّة وسبعة دعاة.
٣- السابق: وله اثنتا عشرة حجَّة فقط.
٤- التالي: وله اثنتا عشرة حجَّة فقط.
٥- الداعي المطلق: وله مأذون واحد ومكالبان (أو مكاسران).

ومن هؤلاء الحدود السبعين تفرَّعت الحدود جميعًا بين دُعاة ومأذونين ومكاسرين، وجميع الحدود الحُرُم منهم، وغير الحرم كلُّهم من قِبَلِ العقل الكلي؛ يُسقط منهم مَن يريد، ويرفع درجةَ من يشاء.

والحدود السبعون هم الذين ذكروا في القرآن الكريم على ما أوَّله حمزة ابن علي: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٢]، ودرجة

المكاسر أو المكالب هي أقلُّ درجة من درجات الدَّعوة الدُّرزيَّة؛ كما هو الحال في الدَّعوة الفاطميَّة، تعلوها درجة المأذون، ثم الداعي، ثم الحجة، فترتيب الدُّعاة إذن هو نفس ترتيب دُعاة الدعوة الفاطميَّة.

ولم ينسَ حمزة أن يخصَّ نفسَه بعدَّة ألقاب وصفات، لم يُسبغها نبيٌّ من الأنبياء على نفسه! فهو الآية الكبرى، وآية التوحيد، وآية الكشف، والعقل الكلي والإرادة، وعلَّة العِلل، وذو معه، وهو الأربعة الحُرُم، والجد، والفتح، والخيال، وهم الثمانية الذين يحملون العرش، ولكنَّ حمزة جمعَ في نفسه علومَهم جميعًا؛ لأنَّ العرش هو علم توحيد المعبود، وهو علمٌ لا يحمله في الحقيقة إلَّا المَلَك المقرَّب إلى المعبود الذي يكون معه دائمًا - أي: ذو معه - وهو حمزة.

وقد ظهر حمزة في الأدوار الكبرى والأدوار الصغرى بأسماء مختلطة؛ فهو شطنيل في دور آدم، وفيثاغورس في دور نوح، وإليعازر في دور عيسى، وإنَّه - أي: حمزة - هو المسيح الحقيقي الحيُّ الأبدي، وسلمان الفارسي في دور محمَّد، وهكذا.

ووصف نفسَه في رسالة "التحذير والتنبيه" بأنَّه أصل المبدَعات، وأنَّه سَوط المولى المعبود والعارف بأمره، وأنَّه الطُّور والكتاب المسطور والبيت المعمور، وأنَّه صاحب البعث والنشور والنافخ في الصور، وأنَّه ناسخ الشرائع ومهلِك العالمين، والنار الموقَدة التي تطَّلع على الأفئدة، وأنَّه هو الذي أملى القرآن على محمَّد، إلى غير ذلك من النُّعوت التي أسبغَها على نفسه وزخرَت رسائله بها، دونَ أن يفطِنَ حمزة للتناقض الشديد فيها.

فالناطق عند الفاطميِّين هو النبي، والأساس هو وصيُّ النبي ومستودَع علمه وصاحب التأويل، وفي دور آدم الحالي ظهر النُّطقاء والأُسس وهم:

آدم وأساسُه شَيث، ثم نوح وأساسُه سام، ثم إبراهيم وأساسُه إسماعيل، ثم موسى وأساسُه هارون، ثم عيسى وأساسُه شمعون الصفا، ثم محمَّد وأساسُه عليُّ بن أبي طالب، وهؤلاء جميعًا حدود جسمانيَّة مثلًا للحدود العلويَّة.

قال حمزة بن علي في رسالته المسمَّاة "رسالة السِّيرة المستقيمة" عن الحاكم: «وهو القسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، هو الحاكم - جلَّ ذِكرُه - نطق بأنَّ مولانا - جلَّ ذِكرُه - هو القائم على كلِّ نفس بما كسبَت، وهو المعزُّ وهو العزيز، وهو الحاكم - جلَّ ذِكرُه - يظهر لنا في أيِّ صورة شاء كيف شاء، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٩]؛ أي: سلَّموا أمورَهم إلى المولى سبحانه، ورضوا بقضائه فهم المسلمون له حقًّا والمؤمنون به والموحِّدون له تأليهًا وصدقًا.

وتسمَّى مولانا - جلَّ ذِكرُه - بالقائم؛ لأنَّ أوَّل ما ظهر للعالم بالملك والبشريَّة في أيَّام النُّطقاء الناموسيَّة والشِّركيَّة، فقام على العالمين بالقوَّة والقدرة، فتغيير صور ناسوته إنَّما كان لصلاح شأن الناس؛ لأنَّ ناسوته لا يُفارق لاهوتَه طرفةَ عين؛ لذلك ظهر في مقام القائم باسمه ووصفه، وظهر في مقام المنصور جلَّت قدرتُه، وهو في مقام المُعِز جلَّت عظمتُه، وفي مقام العزيز أيضًا جلَّ جلالُه، وكلُّ هؤلاء واحد، لا يشغله شأن عن شأن»؛ يعني: لا يشغله ظهوره في صورة عن ظهوره في صورة أخرى».

قال إسماعيل بن محمَّد التَّميمي يمدح الحاكمَ ويغلو فيه:

إلى غايَةِ الغاياتِ قَصْدِي وبُغيَتِي	إلى الحاكِم العالِي على كُلِّ حاكِمِ
إلى الحاكِم المَنصُورِ عُوجُوا ويَمِّمُوا	فليسَ فَتى التَّوحِيدِ فيهِ بِنادِمِ
هُوَ الحاكِمُ الفَردُ الذي جَلَّ إسمُهُ	وليسَ لَهُ شِبهٌ يُقاسُ بِحاكِمِ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ قادِرٌ مالِكُ الوَرى	يُؤانِسُ بالإسْمِ المُشاعِ بِحاكِمِ

هُوَ الحاكِمُ المَولى بِناسُوتِهِ يُرَى ولاهُوتُهُ يَأتي بِكُلِّ العَظائِمِ
تَسَمَّى إماماً والإمامُ بِعَبدِهِ تَغَطَّى ولا يُصغي إلى كُلِّ نائِمِ
وقَد ظَهَرَ المَولى فَآنَسْ عَبِيدَهُ بأَفعالِهِمْ أُنسًا بِحُكمٍ وحاكِمِ
ظُهُورًا بِأَفعالِ العِبادِ وشَكلِهِمْ ويُؤنِسُهُمْ والخَلقُ شِبهُ بَهائِمِ



ارتباطهم بالإسماعيليّة والقَرامطة

وبعد أن ذكرنا ما سلفَ عن الدُّروز فسنذكر شيئًا عن الإسماعيليَّة والباطنيَّة والقَرامطة؛ ليكون في ذلك تكميلٌ للبحث:

قال ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" في حوادث سنة ٢٧٨: «وفيها تحرَّكت القَرامطة وهم فرقةٌ من الزنادقة الملاحدة، أتباع الفلاسفة من الفُرس الذين يعتقدون نبوَّة زَرادُشْت ومَزْدَك، وكانا يبيحان المحرَّمات، ثم هم بعد ذلك أتباعُ كلِّ ناعق إلى باطل، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة، ويدخلون إلى الباطل من جهتهم؛ لأنَّهم أقلُّ الناس عقولًا، ويُقال لهم: الإسماعيليَّة؛ لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق، ويُقال لهم: القَرامطة؛ قيل: نسبةً إلى قِرمِط بن الأشعث البقار، وقيل: إنَّ رئيسهم كان في أوَّل دعوته يأمر من اتَّبعه بخمسين صلاة في كلِّ يوم وليلة؛ ليشغَلهم بذلك عمَّا يريد تدبيره من المكيدة، ثم اتَّخذ نقباء اثني عشر، وأسَّس لأتباعه دعوة ومسلكًا يسلكونه، ودعا إلى إمام أهل البيت، ويُقال لهم: الباطنيَّة؛ لأنَّهم يظهرون الرَّفْض، ويُبطنون الكفر المَحْض، والخُرَّمِيَّة والبابَكِيَّة؛ نسبةً إلى بابَك الخُرَّمِي الذي ظهر في أيَّام المعتصم وقُتل كما تقدَّم، ويُقال لهم: المُحَمِّرة؛ نسبةً إلى صبغ الحُمرة شعارًا مضاهاةً لبني العبَّاس ومخالفةً لهم؛ لأنَّ بني العبَّاس يلبَسون السواد، ويُقال لهم: التعليميَّة؛ نسبةً إلى التعلُّم من الإمام المعصوم، وترك الرأي بمقتضى العقل، ويُقال لهم: السَّبعيَّة؛ نسبةً إلى القول بأنَّ الكواكب السبعة المتحيِّزة السائرة المدبِّرة لهذا العالم فيما يزعمون - لعنهم الله - وهي: القمر في الأولى، وعُطارد في الثانية، والزُّهَرَة في الثالثة، والشَّمس في الرابعة، والمِرِّيخ في الخامسة، والمُشتري في السادسة، وزُحَل في السابعة».

قال ابن الجوزي: «وقد بقيَ من البابَكِيَّة جماعةٌ يُقال: إنَّهم يجتمعون في كلِّ سنة ليلةً هم ونساؤهم، ثم يطفئون المصباح وينتهبون النِّساء؛ فَمَن وقعَت في يده امرأةٌ حلَّت له، ويقولون: هذا اصطيادٌ مباح، لعنهم الله».

قال ابن كثير: «وقد ذكر ابن الجوزيِّ تفصيلَ قولهم وبَسَطه، وقد سبقَه إلى ذلك أبو بكر الباقلَّاني المتكلِّم المشهور في كتابه "هتك الأستار، وكشف الأسرار" في الردِّ على الباطنيَّة، وردَّ على كتابهم الذي جمعَه بعضُ قضاتهم بديار مصر في أيَّام الفاطميِّين الذي سمَّاه "البلاغ الأعظم، والناموس الأكبر"، وجعلَه ستَّ عشرةَ درجة، أوَّل درجة أن يدعوَ مَن يجتمع به أوَّلًا إن كان من أهل السنَّة إلى القول بتفضيل عليٍّ على عثمان بن عفَّان، ثم ينتقل به - إذا وافقَه على ذلك - إلى تفضيل عليٍّ على الشيخَين أبي بكر وعمر، ثم يترقَّى به إلى سبِّهما؛ لأنَّهما ظلما عليًّا وأهلَ البيت، ثم يترقَّى به إلى تجهيل الأمَّة وتخطئتها في موافقة أكثرهم على ذلك، ثم يشرع في القدح في دين الإسلام من حيث هو، وقد ذكر لمخاطبته لمَن يريد أن يخاطبَه بذلك شُبَهًا وضلالاتٍ لا تروج إلَّا على كلِّ غبي شقي.

ثم هم بعد ذلك لهم مقاماتٌ في الكفر والزندقة والسخافة ممَّا ينبغي لضعيف العقل والدِّين أن ينزِّه نفسه عنه إذا تصوَّره، وهو ما فتحَه إبليس عليهم من أنواع الكفر وأنواع الجهالات.

والمقصود أنَّ هذه الطائفة تحرَّكت في هذه السنة، ثم استفحلَ أمرُهم وتفاقَم الحال بهم كما سنذكره، حتى آلَ بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دمَ الحجيج في وسطِ المسجد حولَ الكعبة، وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه، وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمئة، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة؛ فمكثَ غائبًا

عن موضعه من البيت ثنتين وعشرين سنة، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وكلُّ ذلك من ضعف الخليفة، وتلاعُب التُّرك بمنصب الخلافة، واستيلائهم على البلاد، وتشتُّت الأمر».

وقال الشَّهْرَسْتاني في كتاب "المِلل والنِّحل" (١/ ٣٣٠): «الإسماعيليَّة:

قد ذكرنا أنَّ الإسماعيليَّة امتازَت عن الموسويَّة وعن الاثني عشريَّة بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر؛ وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر، قالوا: ولم يتزوَّج الصادق على أمِّه بواحدة من النساء، ولا اشترى جاريةً؛ كسُنَّة رسول الله في حقِّ خديجة، وكسنَّة عليٍّ في حقِّ فاطمة.

وذكرنا اختلافَهم في موته في حياة أبيه؛ فمنهم مَن قال: إنَّه مات وإنَّما فائدة النصِّ عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصَّة؛ كما نصَّ موسى على هارون عليه السلام ثم مات هارون في حال حياة أخيه، وإنَّما فائدة النصِّ انتقالُ الإمامة منه إلى أولاده؛ فإنَّ النصَّ لا يرجع القهقرى، والقولُ بالبدء محالٌ، ولا ينصُّ الإمام على واحد من ولده إلَّا بعد السماع من آبائه، والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة.

ومنهم مَن قال: إنَّه لم يمُت لكن أظهرَ موته تقيَّة عليه؛ حتى لا يُقصدَ بالقتل، ولهذا القول دلالات: منها أنَّ محمَّدًا كان صغيرًا - وهو أخوه لأمِّه - مضى إلى السَّرير الذي كان إسماعيل نائمًا عليه ورفعَ المُلاءةَ فأبصرَه وهو قد فتحَ عينه، وعدا إلى أبيه مفزَّعًا وقال: عاش أخي! عاش أخي! قال والده: إنَّ أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة.

قالوا: وما السبب في الإشهادِ على موته وكتبِ المحضر عليه؟ ولم نعهَد ميتًا سجِّل على موته، وعند هذا لمَّا رُفع إلى المنصور أنَّ إسماعيل بن جعفر رؤي بالبصرة ومرَّ على مُقعَد فدعا له فبرئ بإذن الله، بعثَ المنصور

إلى الصادق أنَّ إسماعيل في الأحياء، وأنَّه رُؤي بالبصرة وأنفذَ السِّجِلَّ إليه، وعليه شهادة عامله بالمدينة.

قالوا: وبعد إسماعيل محمَّد بن إسماعيل السابع التامُّ، وإنَّما تمَّ دَور السَّبعة به، ثم ابتدأ به بالأئمَّة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سرًّا ويُظهرون الدُّعاة جهرًا، قالوا: ولن تخلوَ الأرض قطُّ عن إمام حيٍّ قائم؛ إمَّا ظاهر مكشوف، وإمَّا باطن مستور، فإذا كان الإمام يجوز أن تكونَ حجَّته مستورة، وإذا كان الإمام مستورًا فلا بُدَّ أن تكونَ حجَّته ودُعاته ظاهرين.

وقالوا: إنَّ الأئمَّة تدور أحكامهم على سبعةٍ؛ كأيَّام الأسبوع، والسماوات السبع، والكواكب السبع، والنُّقَباء تدور أحكامهم على اثني عشر، قالوا: وعن هذا وقعَت الشُّبهة للإماميَّة القطعيَّة؛ حيث قرَّروا عدد النُّقَباء للأئمَّة، ثم بعد الأئمَّة المستورين كان ظهور المهدي والفاتح بأمر الله وأولادهم؛ نصًّا بعد نصٍّ على إمام بعد إمام، ومذهبهم أنَّه مَن مات ولم يعرف إمامَ زمانه مات مِيتَةً جاهليَّة، وكانت لهم دعوة في كلِّ زمان، ومقالةٌ جديدة بكلِّ لسان، فنذكر مقالاتهم القديمة، ونذكر بعدها دعوةَ صاحب الدَّعوة الجديدة، وأشهر ألقابهم: الباطنيَّة.

وإنَّما لزمَهم هذا اللقب؛ لحكمهم بأنَّ لكلِّ ظاهر باطنًا، ولكلِّ تنزيل تأويلًا، ولهم ألقابٌ كثيرةٌ سوى هذه على لسان قوم؛ فبالعراق يسمَّون: الباطنيَّة والقَرامطة والمَزْدَكِيَّة، وبخُراسان: التعليميَّة والملحدة، وهم يقولون: نحن إسماعيليَّة؛ لأنَّا تميَّزنا عن فِرَق الشِّيعة بهذا الاسم وهذا الشخص.

ثم إنَّ الباطنيَّة القديمة قد خلطوا كلامَهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنَّفوا كتبَهم على ذلك المنهاج؛ فقالوا في الباري تعالى: إنَّا لا نقول: هو موجود

ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز.

وكذلك في جميع الصِّفات؛ فإنَّ الإثبات الحقيقيَّ يقتضي شركةً بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه، وذلك تشبيه، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إلهُ المتقابلَين، وخالصُ الخَصمَين والحاكم بين المتضادَّين... إلخ.

وقد نشأ مذهبُ الباطنيَّة في منتصف القرن الثالث؛ وضعَه قومٌ أُشرِب في قلوبهم بغضُ الدِّين وكراهية النبيِّ الكريم، من الفلاسفة والملاحدة والمجوس واليهود؛ ليصرفوا الناسَ عن دين الله، وكانوا يبعثون دُعاتهم إلى الآفاق؛ لدعوة الناس إلى مذهبهم المشؤوم؛ لعلَّهم أن تعودَ دولتهم، ويأبى الله إلَّا أن يتمَّ نوره، ومن دعاتهم: ميمون بن دَيْصَان القدَّاح الثَّنَوي.

وظاهر مذهبهم فروع الشِّيعة، ولكنَّ عقيدتهم عقيدة الفلاسفة والملاحدة، وعرفَ الناس أنَّهم برآء من الشِّيعة؛ فظاهر مذهبهم الرَّفْض، وباطنه الكفر المَحْض.

وكان أصلُ دعوتهم ظهور ميمون في الكوفة سنة **٢٧٦**، فنصبَ للمسلمين الحَبائل، وبغى بهم الغَوائل، ولبَسَ الحقَّ بالباطل، ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر: ١٠]، وجعلَ لكلِّ آية تفسيرًا، ولكلِّ حديث تأويلًا، وذهبَ إلى أنَّ الفرائضَ والسُّننَ رموزٌ وإشارات ومَثُلات، وأمرَ بالاعتصام بالغائب المفقود، والإعراض عن الحاضر الموجود من العِتْرَة الزكيَّة، وكان عارفًا بالنجوم، فجعلَ أصل دعوته اختصاص عليٍّ بإمامته؛ ليسترَ بجلال الإسلام وبجاهِ عليٍّ وآله كفرَه وزندقتَه، وأطلقَ لسانه في الطعن على الصَّحابة، وكان يُسِرُّ اليهوديَّة ويُظهر الإسلام، وكان يخدُم إسماعيل بن جعفر، وظهرَ أيَّام قِرْمِط فاجتمعا وأخذا ناموسًا يدعوان إليه؛ فسُمُّوا

بالقَرامطة، واجتمع عليهم جماعةٌ يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون.

وألقابهم: الإسماعيليَّة، الباطنيَّة، القَرامطة، القِرمطيَّة، المباركيَّة، السَّبعيَّة، التَّعليميَّة، الإباحيَّة، الملاحدة، الزنادقة، المَزْدَكِيَّة، البابَكِيَّة، الخُرَّمِيَّة، المُحمِّرة، الحرمدينية.

ولهم حِيَل وأساليب ينصبونها ليصلوا إلى ما يريدون، وذهبوا في التوحيد إلى القول بإلهَين قديمين: العقل، والنفس، والباري لا يوصف بموجود ولا بمعدوم، ولا هو بمعلوم ولا بمجهول، إلى آخر الصِّفات، ويقولون بالطبع وبتأثير الكواكب؛ وُصلةً إلى نفي الصانع، وينكرون الوحيَ ونزول الملائكة ووقوع المعجزات، ويذهبون إلى أنَّها رموز وإشارات ومَثُلات؛ فعصا موسى غَلَبَتُه، وإظلالُ الغَمام إمرَتُه، والقرآن كلام محمَّد ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ [الحاقَّة: ٤٠]، ونبعُ الماء كثرةُ علمه، وطلوعُ الشَّمس من مغربها بخروج الإمام، فتأوَّلوا المعجزات؛ ليُزحزحوا الناس عن عقائدهم.

وذهبوا إلى أنَّه لا بُدَّ من إمام معصوم يُرجع إليه، وهو كالنبيِّ في عِصمته واطِّلاعه، لا ينزل عليه وحيٌ وإنَّما يتلقَّى ذلك من النبي؛ لأنَّه خليفته، ومُدَّة شريعة كلِّ نبي سبعة أعمار منهم: الناطق والصامت وهو القائم.

وأنكروا القيامة، والبعث والنشور، والجنَّة والنار، وجعلوا لكلٍّ رمزًا وإشارة، وكما أنَّهم احتالوا في أصول الدِّين احتالوا في خداع أتباعهم واستمالة قلوبهم؛ فأباحوا لهم جُملةَ اللَّذات والشَّهوات، وأباحوا لهم نكاحَ البنات والأخوات، وأسقطوا عنهم فرائض العبادات.

وتأوَّلوا أركان الشريعة؛ فمعنى الفرائض: موالاة زعمائهم وأئمَّتهم، ومعنى المحرَّمات: تحريم موالاة أبي بكر وعمر وكلِّ من خالف مذهب الباطنيَّة، ويؤوِّلون الملائكة على دُعاتهم، والشياطين لمخالفيهم، ويسمُّون موافقيهم: المؤمنين، ومخالفيهم: الحمير والظاهرية، وقد قال شاعرهم في أيَّام عليِّ بن فضل إذ ادَّعى النبوَّة، وأظهرَ مذهبه في الكفر واستحلال المحرَّمات وتزويج الأخوات:

خُـذِي الـدُّفَّ يـا هـذهِ والـعَـبـي ... وغَـنِّـي هَـزارَيـكِ ثُـمَّ اطْـرَبـي
تَـولَّـى نَـبـيٌّ بَـنـي هـاشِـم ... وهـذا نَـبـيٌّ بَـنـي يَـعـرُبِ
لِـكُـلِّ نَـبـيٍّ مَـضـى شِـرعَـةٌ ... وهَـذِي شَـرائِـعُ هـذا الـنَّـبـي
فـقَـد حَـطَّ عـنَّـا فُـرُوضَ الـصَّـلاةِ ... وحَـطَّ الـصِّـيـامَ فَـلَـم يُـتـعِـبِ
إذا الـنَّـاسُ صَـلَّـوا فَـلا تَـنـهَـضـي ... وإن هُـمُ صـامُـوا كُـلـي واشـرَبـي
ولا تَـطـلُـبي الـسَّـعيَ عِـنـدَ الـصَّـفـا ... ولا زَوْرَةَ الـقَـبـرِ فـي يَـثـرِبِ
ولا تَـمـنَـعِـي نَـفـسَـكِ الـمُـعـرِسِـيـنَ ... مِـنَ الأقـرَبـيـنَ ومِـن أَجـنَـبِـي
فـكَـيـفَ حَـلَـلـتِ لـهـذا الـغَـريـبِ ... وصِـرتِ مُـحـرَّمَـةً لِـلأَبِ؟!
ألـيـسَ الـغِـراسُ لـمَـنْ رَبَّـهُ ... ورَوَّاهُ فـي الـزَّمَـنِ الـمُـجـدِبِ؟!
ومـا الـخَـمـرُ إلَّا كَـمـاءِ الـسَّـمـاءِ ... مُـحَـلٌّ، فَـقُـدِّسـتَ مِـن مَـذهَـبِ

وقد كان لهم المشهد الأعظم، لا يشهده إلَّا من دفع للداعي قربانه، فإذا جنَّ الليل ودارت الكؤوس وطابت النفوس، وقد أحضر جميع أهل الدعوة نساءَهم وحريمهم، فيدخلن عليهم وقد أطفؤوا السُّرُج، فيأخذ كل واحد من تقع في يده ويقع عليها، فتنطلق بشكر الدَّاعي على ما أفاءه من فضل، فيقول: ليس إلا من فضل أمير المؤمنين؛ فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم، ووضع عنكم أوزاركم، وأحلَّ لكم بعض الذي

حرَّم عليكم جهالُكم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٥]، وكانوا يخاطِبون النَّاس بحسب عقولهم وأهوائهم وعقائدهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٠٩﴾ [النحل: ١٠٨-١٠٩][1].

❀ ❀ ❀

وقال ابن خَلِّكان في كتابه "وَفَيات الأعيان" (٣/ ٤٥٩): «والقَرامطة: نسبتهم إلى رجل من سَواد الكوفة يُقال له: قِرْمِط بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدَها طاء مهملة، ولهم مذهبٌ مذموم، وكانوا قد ظهروا في سنة إحدى وثمانين ومئتين في خلافة المعتضِد بالله، وطالت أيَّامهم، وعَظُمت شوكتهم، وأخافوا السبيل، واستولوا على بلاد كثيرة، وأخبارهم مُستقصاة في التواريخ.

وقيل: كان أوَّل ظهورهم في سنة ثمان وسبعين ومئتين، وأوَّلهم أبو سعيد الجَنَّابي؛ كان بناحية البحرَين وهَجَر، قُتِل في سنة إحدى وثلاثمئة؛ قَتَلَه خادم له، والجَنَّابي بفتح الجيم والنون المشدَّدة وبعد الألف باء موحَّدة؛ هذه النِّسبة إلى جَنَّابة وهي بلدةٌ بالبحرَين بالقرب من سِيراف على البحر» اهـ.

وقال ابن الجوزي في حوادث سنة ٢٧٨ (ص١١٠/ القسم الثاني من الجزء الخامس): «وفيها وردت الأخبارُ بحركة قوم يُعرفون بالقَرامطة وهم الباطنيَّة، وهؤلاء قوم تَبِعوا طريقَ الملحدين وجحدوا الشرائع، وأنا أُشير

(١) ينظر: "عقائد آل محمد" (ص٣-٨٢)، و"التبصير" (ص٨٦)، و"كشف أسرار الباطنيَّة وأخبار القرامطة" (ص١٦-٣١).

إلى البدايات التي بنَوا عليها، ثم إلى الباعث لهم على ما فعلوا من نصب دعوتهم، ثم إلى ألقابهم، ثم إلى مذاهبهم وعلومهم.

فأمَّا البدايات التي بنَوا عليها: فإنَّه لمَّا كان مقصودهم الإلحاد تعلَّقوا بمذاهب الملحدين مثل زَرادُشْت ومَزْدَك؛ فإنَّهما كانا ينتحلان المحظورات، وقد سبقَ في أوائل هذا الكتاب شرحُ حالهما، وما زال أكثر الناس على إعراضهم لا يدخلون في حَجْرٍ يمنعهم إيَّاها.

فلمَّا جاء نبيُّنا ﷺ فَقَهَر الملك ومنعَ الإلحاد، أجمعَ جماعة من الثنويَّة والمجوس والملحدين ومَن دان بدين الفلاسفة المتقدِّمين فأعملوا آراءهم، وقالوا: قد ثبتَ عندنا أنَّ جميع الأنبياء كذبوا وتخرَّقوا على أُممهم، وأعظمُ حمل بليَّة علينا محمَّد؛ فإنَّه تَبِعَه من العرب الطَّغام فخدعهم بناموسه، فبذلوا أموالهم وأنفسَهم ونصروه وأخذوا ممالِكَنا، وقد طالت مُدَّتهم، والآن قد تشاغل أتباعه؛ فمنهم مقبل على كسب الأموال، ومنهم على تشييد البُنيان، ومنهم على الملاهي، وعلماؤهم يتلاعبون ويكفِّر بعضهم بعضًا، وقد ضعُفت بصائرهم؛ فنحن نطمع في إبطال دينهم، إلَّا أنَّا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم، فليس الطريق إلَّا إنشاءَ دعوة في الدِّين والانتماء إلى فرقة منهم، وليس فيهم فرقةٌ أضعف عقولًا من الرافضة، فندخل عليهم نذكر ظلمَ سَلَفِهم الأشراف من آل نبيِّهم ودفعهم عن حقِّهم وقتلهم وما جَرَى عليهم من الذُّلِّ؛ لنستعين بها على إبطال دينهم.

فتناصَروا وتكاتَفوا وتوافَقوا وانتسبوا إلى إسماعيل بن جعفر بن محمَّد الصادق، وكان لجعفر أولادٌ منهم إسماعيل هذا، وكان يُقال له: إسماعيل الأعرج، ثم سوَّل لهم الشيطان آراء ومذاهب أخذوا بعضها من المجوس، وأخذوا بعضها من الفلاسفة، وتخرَّقوا على أتباعهم، وإنَّما قصدُهم الجحد المطلق، لكنَّهم لمَّا لم يمكنهم توسَّلوا إليه.

فقد بان لك بما ذكرتُ ومن البدايات التي بنَوا عليها، والباعث لهم على ما فعلوا من نصب الدعوة.

وأمَّا ألقابهم فإنَّهم يسمَّون الإسماعيليَّة والباطنيَّة والقرامطة والخُرَّمِيَّة والبابَكِيَّة والمحمِّرة والسَّبعِيَّة والتَّعليمية؛ فأمَّا تسميتهم بالإسماعيليَّة فانتسابهم إلى إسماعيلَ بن جعفر على ما ذكرناه، وأمَّا تسميتهم بالباطنيَّة فإنَّهم ادَّعوا أنَّ لظواهر القرآن والأخبار بواطنَ تجري مجرى اللُّب من القِشر، وإنَّما توهَّم الأغبياء صورًا وتفهَّم الفُطناء رموزًا وإشارات إلى حقائق خفيَّة، وأنَّ مَن تقاعد عن العرض على الخفايا والبواطن متعثِّر، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحطَّ عنه التكليف واستراحَ من أعبائه، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، قالوا: والجُهَّال هم المرادون بقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحديد: ١٣]، وغرضُهم فيما وضعوا من ذلك إبطال الشرائع؛ لأنَّهم إذا صرفوا العقائد عن موجَب الظاهر، فحكموا بدعوى الباطن على ما يوجب الانسلاخ من الدِّين.

وأمَّا تسميتهم بالقرامطة فسبب ذلك ستَّة أقوال؛ **أحدها**: أنَّهم سمُّوا بذلك لأنَّ أوَّل من أشهر لهم ذلك محمَّد الورَّاق المقرمط وكان كوفيًّا، **والثاني**: أنَّ لهم رئيسًا من السواد من الأنباط يلقَّب بقرمطويه، فنُسبوا إليه، **والثالث**: أنَّ قرمطًا كان غلامًا لإسماعيل بن جعفر فنُسبوا إليه لأنَّه أحدثَ لهم مقالاتهم، **والرابع**: أنَّ بعض دُعاتهم نزل برجل يُقال له: كرمية، فلمَّا رحل تسمَّى قرمطَ بن الأشعث، ثم أدخلَه في مذهبه، **الخامس**: أنَّ بعض دُعاتهم رجل يُقال له: كرمية، ثم تسمَّى باسم ذلك الرجل، ثم خفِّف الاسم، فقيل: قرمط.

قال أهل السِّير: كان ذلك الرجل الداعي من ناحية خوزستان وكان

يُظهِر الزُّهد والتقشُّف، ويَسفُّ الخوص، ويأكل من كسبه، ويحفظ القوم ما صَرموا من نخلهم في حظيرته، ويصلِّي أكثرَ الناس، ويصوم ويأخذ عند إفطاره من البقَّال رِطلًا من التمر؛ فيفطر عليه ويجمع نَواه فيدفعه إلى البقَّال، ثم يحاسبه على ما أخذَ منه ويحطُّ من ذلك ثمنَ النوى، فسمعَ التجَّار الذين صرموا نخلهم فوثبوا عليه وضربوه وقالوا: لم ترضَ بأن أكلتَ التمر حتى بعتَ النوى! فأخبرهم البقَّال في الحال، فندموا على ضربه، وسألوه الإحلال فازدادَ بذلك نُبلًا عند أهل القرية.

وكان إذا قعدَ إليه إنسانٌ ذاكره أمرَ الدِّين وزهَّده في الدُّنيا، وأعلمَه أنَّ الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كلِّ يوم وليلة، ثم أعلمَ الناس أنَّه يدعو إلى إمامٍ من أهل بيت رسول الله ﷺ ثم مَرِض ومكثَ مطروحًا على الطريق، وكان في القرية رجلٌ يحمل على أثوار له، وكان أحمرَ العينين، وكان أهل القرية يسمُّونه كرمية؛ لحمرة عينيه، وهو بالنَّبَطِيَّة: حارُّ العين، فكلَّم البقَّال كرمية في أن يحملَ هذا العليل إلى منزله، ويوصيَ أهلَه الإشراف عليه والعناية به، ففعل، فأقام عندَه حتى برئ، ثم كان يأوي إلى منزله ودعا أهلَ القرية إلى أمره فأجابوه، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه دينارًا».

قال ابن خَلدون في "تاريخه" (٤/ ٣٠-٣١): «وأمَّا الإسماعيليَّة فزعموا أنَّ الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل، وتوفِّي قبل أبيه، وكان أبو جعفر المنصور طلبه فشهد له عامل المدينة بأنَّه مات، وفائدة النصِّ عندهم على إسماعيل وإن كان مات قبل أبيه بقاءُ الإمامة في ولده؛ كما نصَّ موسى على هارون - صلوات الله عليهما - وماتَ قبله، والنصُّ عندهم لا مرجعَ وراءه؛ لأنَّ البَداءةَ على الله مُحال، ويقولون في ابنه محمَّد: إنَّه السابع التامُّ من الأئمَّة الظاهرين، وهو أوَّل المستورين عندهم الذين يستترون ويُظهرون

الدُّعاة وعددهم ثلاثة، ولن تخلوَ الأرض منهم عن إمام؛ إمَّا ظاهر بذاته، أو مستور، فلا بُدَّ من ظهور حجَّته ودُعاته.

والأئمَّة يدور عددها عندَهم على سبعة؛ عددَ الأسبوع والسماوات والكواكب، والنُّقَباء تدور عندهم على اثني عَشَر وهم يغلطون الأئمَّة؛ حيث جعلوا عدد النُّقَباء للأئمَّة.

وأوَّل الأئمَّة المستورين عندهم محمَّد بن إسماعيل وهو محمَّد المكتوم، ثم ابنه جعفر المصدَّق، ثم ابنه محمد الحبيب، ثم ابنه عبد الله المهدي صاحب الدولة بإفريقيَّة والمغرب التي قام بها أبو عبد الله الشِّيعي بكُتامَة.

وكان من هؤلاء الإسماعيليَّة: القرامطة؛ واستقرَّت لهم دولةٌ بالبحرين في زمن أبي سعيد الجَنَّابي وبنيه أبي القاسم الحسين بن فرُّوخ بن حَوْشَب الكوفي داعي اليمن لمحمَّد الحبيب، ثم ابنه عبد الله ويسمَّى بالمنصور، وكان من الاثني عشريَّة أوَّلًا، فلمَّا بطَلَ ما في أيديهم رجعَ إلى رأي الإسماعيليَّة، وبعثَ محمَّد الحبيب أبو عبد الله إلى اليمن داعيةً له، فلمَّا بلغَه عن محمَّد بن يعفر ملك صنعاء أنَّه أظهر التوبة والنُّسُك وتخلَّى عن المُلك، فقَدِمَ اليمن ووجدَ بها شيعةً يعرفون ببني موسى في عدن.

وكان عليُّ بن الفضل من أهل اليمن ومن كبار التَّبابِعَة، وظاهر ابن حوشب على أمره، وكتب له الإمام محمَّد بالعهد لعبد الله ابنه، وأذنَ له في الحرب؛ فقامَ بدعوته وبثَّها في اليمن، وجيَّش الجيوش وفتح المدائن، وملكَ صنعاء وأخرج منها بني يبعن، وفرَّق الدُّعاة في اليمن واليمامة والبحرَين، والسِّند والهند، ومصر والمغرب، وكان يُظهِر الدَّعوة للرِّضا من آل محمَّد، ويُبطن محمَّدًا الحبيب تستُّرًا، إلى أن استولى على اليمن.

وكان من دُعاته: أبو عبد الله الشِّيعي صاحب كُتامَة، ومن عندِه سارَ

إلى إفريقيَّة، فوجدَ في كُتامة من الباطنيَّة خلقًا كثيرًا، وكان هذا المذهب هنالك من لدُن الدُّعاة الذين بعثَهم جعفر الصادق إلى المغرب، أقاموا بإفريقيَّة وبثُّوا فيها الدَّعوة، وتناقَله في البَرابرة أُمم، وكان أكثرُهم من كُتامة، فلمَّا جاء أبو عبد الله الشِّيعي داعية المهدي، ووجدَ هذا المذهب في كُتامة، قامَ على تعليمه وبثِّه وإحيائه حتى تمَّ الأمر، وبُويع لعبد الله كما نذكر الآن في أخبارهم» اهـ.

❀ ❀ ❀

وقال الدكتور فيليب حِتِّي أيضًا في كتابه "تاريخ سورية ولبنان وفلسطين" (٢/ ٢١٧): «**الدُّروز**: نشأت على يد الحاكم بأمره (**٩٩٦ - ١٠٢١**) ملَّةٌ جديدة في الإسلام هي الطائفة الدُّرزية، جاءها هذا الاسم من اسم داعٍ فارسيٍّ من دُعاة الباطنيَّة هو محمَّد بن إسماعيل الدُّرزي - الخيَّاط بالفارسيَّة - وكان أوَّلَ من جهرَ بتقديس الخليفة المذكور، والجدير بالذِّكر أنَّ المبدأ القائل بتجسُّد مولانا بصورة إنسان، وأنَّ الحاكم بأمره هو أهمُّ مراحل هذا التجسُّد ومنتهى غايته - إنَّما هو من التعليم الدُّرزي في الأساس، أمَّا الأنبياء فهم نسبيًّا أقلُّ خطرًا.

وإذ لم يلقَ الدُّرزي في تعليمه أذنًا صاغيةً بين المصريِّين رحلَ إلى وادي التَّيم عند سفح جبل الشيخ في لبنان؛ فاستجابَ له أبناء ذلك الرِّيف الذين عُرفوا بالشجاعة وحبِّ الحرية؛ إذ كانت بعض الآراء الشِّيعيَّة المتطرِّفة قد غشيَت أوساطهم، لكنَّه قُتل ههنا سنة **١٠١٩** في بعض المعارك، فخلفَه منافسُه: حمزة بن عليٍّ الملقَّب بالهادي، وهو الآخر أحد الدُّعاة الفرس.

وعندما اغتِيل الحاكم بأمره أنكرَ الهادي وفاته، وأشاعَ أنَّه تحوَّل إلى غَيبةٍ مؤقَّتة، وأنَّه من الواجب بالتالي ترقُّب رجعته المظفَّرة، وقد كتبَ بهاء

الدِّين المقتني المساعد الأول لحمزة في نشر الملَّة الجديدة رسائلَ دعاوى بلغَت حتى الهند والقُسْطَنطِينيَّة، لكنَّه عمدَ بعد ذلك إلى تدبيرٍ جديد هو عدم السماح بإفشاء أيِّ جانب من جوانب هذا المذهب في غضون غَيبةِ الحاكم بأمره، وهو تدبيرٌ ربَّما أملَته رغبةُ الفئة القليلة في سلامة البقاء، ومنذ ذلك الحين أُقفل الباب وحُظر على أيِّ أحد كان الدخول إلى الملَّة أو الخروج منها، أمَّا فكرة الإمام الغائب فكان قد قال بها قبل الدُّروز جماعاتٌ من غُلاة الشِّيعة، في مقدِّمتهم الإسماعيليَّة.

وقد جمع بهاء الدِّين في "الرِّسالة المسيحيَّة" بين شخصيَّتي حمزة والمسيح، وخاطَب المسيحيِّين في رسائل أخرى وجَّهها إليهم بالقدِّيسين وبمجامع القدِّيسين؛ راجيًا أن يحملَهم بذلك على اعتناق تعاليمه، وكان يضرب من الأمثال ما هو من قبيل الوارد في العهد الجديد من الكتاب المقدَّس، وفي ذلك ما قد يشير إلى سابق صلةٍ له بالتعليم المسيحي.

وقد أقدمَ حمزة بالنيابة عن الحاكم بأمره على حلِّ أتباعه من فرائض الإسلام الكبرى؛ ومنها: الصوم، والحج، وسنَّ مكانها شرائع أوجبَ بها: الصِّدقَ في القول، والعَونَ المتبادل بين أبناء الملَّة، ونبذَ العقائد الباطلة في جميع أشكالها، والخضوعَ التامَّ للإرادة الإلهيَّة، وقد أصبحت هذه القاعدة الأخيرة المشتملة على عقيدة القضاء والقدر عاملًا فعَّالًا في التعليم الدُّرزي، كما كانت في مذهب أهل السنَّة في الإسلام.

ومبدأٌ آخر ممَّا تميَّزت به هذه الملَّة هو: تناسُخ الأرواح؛ وكان هذا المبدأ قد وردَ على الإسلام من مصدرٍ هندي، فأُضيفت إليه عناصر أخرى من الفلسفة الأفلاطونيَّة، ثم إنَّ المعتزلة - وكذلك الباطنيَّة - كانت قبلَ الحاكم بأمره بزمنٍ طويل قد أقرَّت بضربٍ من تناسُخ الأرواح، لا يزال عليه

بعض متصوِّفة الفُرس المعاصرين، وأعلام البهائيَّة في الوقت الحاضر.

أمَّا العمل بالمبدأ الثاني الذي وضعَه حمزة والذي يوجب العَونَ المتبادل فقد جعلَ من الدُّروز جماعةً شديدة التماسك مفرِطة الانكماش، حتى لتكاد تبدو أقربَ إلى المنظَّمة الأخويَّة الدِّينيَّة منها إلى الملَّة المذهبيَّة الدِّينيَّة.

والجماعة مع ذلك مقسومة إلى طبقتين متمايزتَين: العُقَّال والجُهَّال، وكتبهم المقدَّسة متاحة لفئة العُقَّال القليلة العدد لا غير، وجميعها مخطوطة غير مطبوعة، وهم يعقِدون اجتماعاتهم مساء كلِّ خميس في خلوات قائمة على التلال خارج القرى.

وعندما حاول الدُّروز أن يوثِّقوا أمرهم ويثبِّتوا أقدامهم في جنوبي لبنان نشبَ نزاعٌ بينهم وبين جماعة أخرى هناك، كانت قد انحرفت عن الإسلام، هم النُّصيريَّة، وكان من نتيجة هذا النِّزاع أن دُفع هؤلاء إلى شمالي سورية؛ حيث لا يزال موطنهم حتى اليوم، ولقد كان على الدُّروز أن يناضلوا غير هؤلاء من المجاورين؛ بعضهم من الشِّيعة والبعض من أهل السنَّة، ثم أخذوا في الانتشار من موطنهم في جنوبي لبنان إلى منطقة الشُّوف إلى الشرق من مدينة بيروت؛ حيث أصابهم الصليبيُّون، وحيث ما زالوا مزدهرين إلى اليوم، على أنَّهم لم يتسنَّ لهم الفلاح في مدينة ما، وأوَّل ذِكر للدُّروز في المدوَّنات الأوربيَّة وردَ في رِحْلات بنيامين التودلي (حوالي ١١٦٩م) وهم بعدُ في وادي التَّيم.

على أنَّ جماعاتٍ منهم هاجرت على إثر المنازعات القبليَّة الدامية ما بين القَيسيَّة واليَمنيَّة في مطلع القرن الثامنَ عشرَ من الشُّوف إلى حَوران في سورية، وقد ارتفعَ معدَّل هذه الهجرة في القرن التاسعَ عشرَ في أعقاب

المضايقات الكثيرة في لبنان، ويبلغ عددهم الآن في حَوران نحوًا من تسعة وثمانين ألفًا في مقابل تسعة وسبعين ألفًا في لبنان، ولقد أظهروا في جميع مراحل تاريخهم عزيمةً حَرِيَّةً بالإعجاب، وكان لهم في الشؤون القوميَّة العامَّة في لبنان وسورية من النفوذ ما يفوق نسبتهم العددِيَّة.



مصادر الدُّروز ورسائلهم

وفي كتاب "دائرة المعارف" للبستاني (٧/ ٦٧١): «**دروز**: طائفة منحصِرة بحسَب الظاهر في سورية أكثرها في لبنان، ثم حَوران، ثم وادي التَّيم الأعلى والأسفل، ثم بلاد صَفَد ومرجعيون ودمشق والجبل الأعلى في جهة حلب، وقليلٌ منهم في بعض المدن، ويقولون: إنَّ في الغرب قومًا منهم غير متظاهرين بدينهم، وربَّما صحَّ ذلك؛ لأنَّ دعاة دينهم أُرسلوا إليهم، أمَّا عددهم فغير محقَّق، ويظنُّ أنَّهم ليسوا بأقلَّ من ثمانين ألف نفس، ولا أكثر من مئة ألف في سوريَّة، وقال بعضهم: إنَّهم مئة وأربعون ألفًا؛ منهم في لبنان بين الأربعين والخمسين ألفًا، وفي حَوران بين العشرين والخمسة والعشرين ألفًا، والباقي في سائر الأماكن.

أكثرهم حرَّاثون، وأهل الحِرَف والتِّجارة منهم قليلون جدًّا، ويسمَّون دروزًا والواحد: دُرزي، قيل: إنَّها في الأصل نسبة إلى طروز من العجم فوقع تحريف، وأمَّا القول: إنَّه نسبة إلى محمَّد بن إسماعيل الدُّرزي فالراجح عدم صحَّته، قيل: إنَّه فارسي الأصل من الباطنيِّين، وقيل: بل هو تركي بدليل اسمه أنوشتكين، والمشهور كرههم له؛ لإذاعته ما يُنافي قواعد دينهم والتقيَّة، وقيل: إنَّهم جماعة حمزة، وقد وردَ ذكر الدُّروز في كتب كثيرة عربيَّة وإفرَنجيَّة، ونُدِّد في بعضها بهم تنديدًا لم نقِف له على أسبابٍ عادلة».

إلى أن يقول: «أمَّا علومهم الدِّينيَّة ففي كتب غير مطبوعة لا يُطالعها إلَّا العُقَّال منهم».

ثم يقول: «وهم ينقسمون إلى: عُقَّال وأجاويد؛ أي: الذين يعرفون

الأمور الدِّينيَّة، وجُهَّال؛ أي: الذين يجهلونها، والعُقَّال درجات بحسَب التقوى والمعرفة والإدراك، ويشترك النِّساء في العقل الدِّيني مع الرِّجال، ولا يُقبل بانتظام جاهل في سلك العُقَّال إلَّا بعد تَكرار الطلب وتأكُّد شيخ العَقل في القرية أو الناحية أنَّه مستحق، فإذا كان ذا أهليَّة يرتقي من درجة إلى درجة، ويُقال: إنَّ أعلاها مطالعة كتاب ذي شأن من كتبهم.

ويجتمعون في الليل مرَّة كلَّ جمعة في خَلواتهم؛ ليسمعوا قراءة كتبهم الدِّينيَّة، فمنهم مَن ينصرف باكرًا، ومنهم في وسَط السَّهرة، ومنهم في آخرها؛ بحسَب الدرجة، وربَّما وقعَ هذا التفاضل في كلِّ اجتماع أو في بعض الاجتماعات.

والجهَّال - أي: الذين لا يعرفون نصوص الدِّين وقواعدَه - لا يشتركون في الاجتماعات الدِّينيَّة إلَّا في عيدهم، وليس لهم غيرُ عيد واحد يقع في عيد الضحيَّة.

أمَّا الجهَّال فلا يتعلَّمون من الأمور الدِّينيَّة إلَّا العامَّة، ولا يؤاخَذون على ما يؤاخَذ العقَّال عليه، على أنَّهم كالعقَّال لا يجمعون بين الزوجتين ولا يردُّون طالقًا لأيَّة علَّة كانت.

وهاجرَ كثيرون من نصارى شمال لبنان إلى جنوبه لحراثةِ الأراضي المحيطة بأعيان الدُّروز، فكانوا يبنون لهم الكنائس ويعاونونهم في الأمور المتعلِّقة بعباداتهم.

أمَّا ديانتهم فقد اختلفت فيها الأقوال، وفي الكتب العربيَّة نصٌّ صريحٌ يُستفاد منه أنَّها ليست الإسلام، وثبتَ تاريخيًّا أنَّهم في بادئ أمرهم عُومِلوا كخوارج، فوقعت عليهم مقاومات يضيق المقام دونَ تفصيلها، وكان أوَّل ظهور الدُّروز سنة **٩٩٦** ميلاديَّة في أيَّام الحاكم، ويعتقدون أنَّهم موجودون

منذ قديم الزمان، وكانوا يسمَّون موحِّدين، ويكرهون أن يسمَّوا دروزًا.

وقد تقدَّم أنَّ دينهم مكتومٌ، وأنَّهم كانوا ينكرون ما يُنسب إليهم من أنَّهم طائفة من الباطنيَّة كالإسماعيليَّة، أو من القرامطة أو من أتباع الحاكم أو أتباع حمزة، ولم نتعرَّض لأمورهم الدِّينيَّة في هذا الباب، وأخبار كلِّ طائفة من الطوائف المذكورة تأتي في بابها.

ويكرهون جدًّا عبادة الأصنام ويعتقدون التناسُخ، ونسبة عبادة العجل إليهم خطأ فاحش؛ فإنَّهم يؤمنون بالباري - عز وجل - وربَّما اعتقدوا بظهوره في الناسوت... إلخ.

راجع: **حاكم**.

ومن رسائل الدُّروز المعتبَرة لديهم في كتاب مخطوط فيه رسائلُ لأئمَّة الدُّروز الذين يسمُّونهم بالحدود؛ كحمزة، وإسماعيل، والمقتني، ومَن اتَّخذوه إلهًا وهو الحاكم، ويسمُّون الرسائل: الحكمة.

فمن الرسائل الموسومة بـ"رسالة الإيقاظ والبِشارة، لأهل الغفلة وآل الحقِّ والطهارة": «توكَّلتُ على مولانا الحاكم المنزَّه عن مُوهِمات العدم الملبوس، وتوسَّلت إليه بوليِّه قائم الدِّين المطَّلع على سرائر العقول والنفوس، من العبد المقتَني الخاضع المطيع، إلى أهل النَّكث والتبديل والتضييع؛ من أهل العراقَين الزَّوراء وما والاها، وجميع الأُمم السالفة والآنفَة، أولي الأسماء المتباينة والمترادفَة، تذكرةً لأهل الوعي والسماع، وإيقاظًا لأهل النقل النفيسَة في الانخفاض والارتفاع، والحلول والارتجاع، الغافلة نفوسهم عن بعث المعاقبة العاصية وتكرارها، اللاهية عن ثواب المطيعة الموحِّدة وإقرارها، المتلبِّدة غدًا عند العرض والحساب، المؤاخَذة عند ظهور الوليِّ بمقدِّمات الاحتقاب، أمَّا بعد:

فالإجلال والعزَّة والمجد، والتقديس والآلاء والحمد، للمولى الحاكم الفَرد، المنزَّه من حيثُ هو عن الصِّفة والنَّعت والحد، التنزيه له من حيثُ الخليقة تحديدًا وإنكارًا، والوقوف عمَّا لا سلوك للنفوس إلى تصوُّره توحيدًا وتأليهًا وإقرارًا، المؤقِّت بأمره، الهادي لآجال النواميس المضلَّة بالعدم، ومُعنِّي دول الأبالسة ومحيي الرِّمم، الهادم بأمره نواجم الشَّرع من معالم القِمم.

وسلامه على هادي الأُمم ودافع آراء الضَّلالات، وناسخ النِّحل والمذاهب والمقالات، وفاضح البِدع ومبيِّن الآيات المحكَمات، الفاتح على النفوس بما احتقَبَته بعد عدل التسحير في الأزمان الخاليات، صاحب الرَّجعة والإياب، ومالك العَرض والحساب، والجزاء والثواب والعقاب.

فتنبَّهوا يا أصحاب الأجسام الخالية من الأرواح، والهياكل القائمة كظلال الأشباح؛ كفاكم تعاميًا عن اليوم الموعود لجميع الأنام، وجحدًا لظهور السيِّد القائم الهادي الإمام، ونكوصًا عن الحقِّ بعد الإقبال والإقدام، والذي تشعشعت أنواره في الآفاق برُوحانية الأملاك السادات، المتعالية منازلهم عن التركيب المُعْتَوِر للمخلوقات، المنزَّهة شبههم عن قول نواميس أبالسة الأزمان وشِرَعِهم المخترعات، المأفولة عن أهل الحقِّ بالآيات المفتريات، رؤساء الأعراف الأعلام، وحُجج السيِّد الهادي الإمام، وشموس القيامة وأقمار التَّمام، بسيوفهم يُنتقَم من أبالسة الأدوار وأشياعهم الفاسقين، وبسعادتهم وميامن بركاتهم تُحقَن في الآفاق دماء الموحِّدين الممتحَنين، وببصائرهم عن تأييد الولي تُكشف للعوالم معالم الدِّين، وهم بالحقيقة أصحاب النُّدبة الحداد... وأعضاؤهم خلوف الطَّهَرة الأنبياء، وأسباط الحقِّ البرَرَة الأتقياء، كنوز أقاليم الدِّين، وصفوة آل نفتالي وبنيامين، وسلالة آل متشا وآل جاد، الآخذين بثأر أهل الحقِّ عند قيام

القائم الهاد، الذين اختارهم على علم وسترهم على العالمين، وبشَّر بمجيئهم في اليوم الأخير نصرًا ورحمة للمؤمنين، فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾ [الإسرَاء: ١٠٤]؛ أي: جميعًا لخدمة الحقِّ وخلاص أهله.

فقد آنَ للتائه، أن ينظرَ إلى ورائه، وللجاهل أن يُقلعَ عن اللَّدَد والغَواية قبل احتدام الهَجير، ووَهَج الصاعقة الكبرى بالتحليل والتغيير، إذا طلعَت رايات المَلِك المظفَّر المسعود من الفجِّ العميق، وحكمَ على عالم المِزاج بتغيير الصور والمَسخ والتمحيق، وأدارَ بديارهم رَحا المَنون، وأخلفَهم في الباطل الآمال والظُّنون، إذا ثوَّب الداعي - هو الإمام - بفِطر الأنام، وتحلَّلت معاقد الأبالسة بتقضِّي الصِّيام، وصفيَ الزمان بعد المحنة لأهل الفِطَر، واجتمع من الآفاق أهل النفس، وحكم الحقُّ بمشاهدة عيد النَّحر، وفاضَ طوفان القيامة بيَعبوب الدِّماء، وانفجرَ شُؤبوبه لهدم دار الفاسقين - يعنون الكعبة، قبَّحهم الله! - والشكر لوليِّه القائم لإيجاب الحجَّة على الأُمم في هذا العصر، كشفَ كما أوجبَها عليهم في الأعصُر الخاليات.

وكُتبَ في اليوم العاشر من شهر ذي القَعدة من السنة الخامسةَ عشرَة من سنين قائم الزمان، والحمد لمولانا وحدَه، والشكر لوليِّه عبده».

ومن الرِّسالة الموسومة بـ"الحقائق والإنذار والتأديب لجميع الخلائق" : «توكَّلت على مولانا الحاكم بالحق، ومقيم الحجَّة بوليِّه القائم على جميع الخلق، من العبد المقتني بهاء الدِّين، ولسان المؤمنين وسَنَد الموحِّدين، الجناح الأيسر، والحدِّ الرابع الخاضع الأصغر، إلى جميع من شَمِلَته دعوة الحقِّ بالحبل الطاهر الأنوَر. .. أمَّا بعد:

فالحمد والعظمة والكبرياء والإجلال للمولى المعبود، والتنزيه والتقديس

للإله الحاكم الموجود، جعلَ عجزَ العقول عن تحديد توحيده للعارفين برهانًا، وفرضَ طاعةَ وليِّه على جميع أهل النِّحَل والأديان وأقامَه إمامًا لدعوة الكشف بين أهل الإجابة والجاحدين فرقانًا، المؤيَّد لإطفاء ما اشتعلَ من مُحرَقات النواميس، والقائم لهدم ما بناه هامان ورَبِحَ إبليس، والماحق لخُوار العِجل والغطريس، المترجم عنه بعد تنزيه المولى العالي بعلَّة الإبداع، المصطفى بحدوده بعد المشيئة بمثنى وثُلاث ورُباع - المشيئة: النفس، مثنى: الكلمة، ثُلاث: السابق، رُباع: التالي - والمفضِّل بعضهم على بعض في درجات الارتفاع.

وبعدَهم بالجمع دُعاة الإجلال، المباينون بالكشف لدُعاة الأعوَر الدجَّال، المتفاضلون بتصوير الحقائق وسوابق الأعمال، المُسْهِمون بنقاء السرائر وشرفِ الطَّوِيَّات، وحَميد العقائد وحسَن النيَّات، لجماعة أهل التحقيق من الموحِّدين والموحِّدات.

وبعدَهم مَن أَذِنَ لهم في الكسر والجَبر، الذين سَمَت هممُهم إلى معارف الحشر والنَّشر، والوقوف على حقيقة القدر.

ثم النُّقَباء الحافظون لحقائق الصِّدق، المبرَّؤون من الكذب والفِسق، العارفون بحقوق حدود دعوةِ الحق.

وبعدَهم المستجيبون الموحِّدون الممنون عليهم بخصائص الرحمة، والناهلون لفيض حقائق الحكمة، الذين خشعت قلوبهم لتألُّق النجوم الطالعات، ذوات الأنوار الشَّعشَعانيَّات، والنفوس الرُّوحانيَّات التي تلألأت باتِّحادها الأقمار، وظهرت بمباشرتها للحقائق في مقدِّمات الأدوار، وظهرت من القوَّة إلى الفعل في أكرم الأوقات وأشرف الأعصار، وتألَّقت لفيضان التوحيد بطاعة العليِّ الجبَّار، وأجابَت مُذعِنةً لأوامر الحدود عند ظهور آية

الكشف، وحلول الراجفة بأهل الارتداد والخُلف.

واعلموا أيُّها الإخوان أنَّ مَن سلك الجُدَد بمسالك الدُّعاة الأطهار، وأخذَ على المستجيبين ميثاقَ دعوة التوحيد للمولى الإله الحاكم الجبَّار، ثم عَزَبَ عن لُبِّه، ورجعَ إلى الباطل كما أَلِفه عقله وقلبه، وأخذَ على نفسه عهدَ إبليسَ الرجيم، وشهِدَت مجالسه أكلَ الغِسلين وشُربَ الحَميم، من غير إكراه ولا إجبار، ولا عرض على السَّيف والنار - فهو ممَّن كان في القِدَم من شيعته وأعوانه، وإنَّما رجعَ إلى العنصر الخبيث مع أترابه وإخوانه، فمَن صوَّب له بعد هذا الارتداد مقالًا، أو حَمِدَ له بعد هذا السَّفَه فِعالًا، فقد باءَ باللعنة والسَّخط، ومن دعوة التوحيد تبرَّأ وسقط.

واعلموا أنَّ الليل - يعنون: الشرائع - قد تولَّى وأدبَر، والصبحَ عن مَحضِه قد أضاءَ وأسفَر، فتمسَّكوا بما اقتبستموه من مكنون التوحيد والحكمة، ودقُّوا بقوَّة اليقين على قَرع بابِ الرحمة، يتجلَّى لعقولكم الباري العلَّام، مبدعُ العوالم ومولى الأنام، القاهرُ في الغَيبةِ والظهور، والحاكم على الأزمان والدُّهور، والمجازي لنفوس الخلق في يوم العرض والنُّشور، على يدِ عبده المذكور، عند قيامه بالحقِّ والصِّدق، بالقوَّة الربَّانيَّة العظيمة الإلهيَّة، وقيام الصورة الانبعاثيَّة الرُّوحانيَّة، التي أشارَ إليها كلُّ مُشير، وعبدَها كلُّ نذير وبشير؛ إعلامًا للناس أنَّ لباريهم حقيقةَ الظهور، على رغم كلِّ جاحدٍ كفور، في آخر الأعصار والدُّهور، وكلُّ شريعة من الشرائع الأربعة: البراهمة المتعلِّقين بإبراهيم، واليهود المنسوبين إلى موسى، والنصارى المعروفين بعيسى، وأتباع محمَّد ﷺ ابن أبي كبشة ومسوخ شريعته يعتقدون أو يقرُّون أنَّه الباري جلَّت قدرته، يتجلَّى في يوم القيامة لبريَّته، ويُحاسب الخلق ويمزِّق السماوات ويبدِّل الأرض بهويَّته.

والكلُّ منهم جاهلٌ بحقيقة هذا المعنى، مائلٌ عن المقصد الأفضل متمسِّكٌ بالأدنى، وحقيقته أنَّ المولى العظيم قدرته، عند ظهور أمره ومشيئته، يأمرُ بتمزيق شرائع المتقدِّمين، وهي سماوات الخلائق أجمعين، وتبديل الأرض وهو ما يبدو لمذاهبهم من الحلِّ والنَّقض.

وفيما قالوا: أن تظهرَ أرض بيضاء وهو الإمام المبدع الحق، والعقل الصِّدق الإمام المنتظر لكشف الميثاق، يومَ يُكشف عن ساق، ويكون إلى وليِّ الحقِّ المآب والمآب المساق، ذلك يوم البُروز للواحد القهَّار، وظهور مكنون الأنوار، عندَها يخسر المبطِلون.

واعلموا أنَّ الزمان قد تقضَّى وذهب، وموعد يوم الجزاء قد تعرَّض واقترَب، فكونوا على طاعة وليِّكم محافظين، وبشروط التوحيد قائمين، ولأماناتكم مُراعين، ولأديانكم ذاكرين.

فقد دبَّ الشكُّ والشِّرك في قلوب البشر، واستولى على عقولهم الرَّان؛ لتقارُب الأجل المعلوم، وحلول الشَّقاء المحتوم، على كلِّ رجس جحدَ إمامَه ومولاه، واتَّخذ بعد التصديق إلههُ هَواه، فتبَّت بما احتقبَ من الزَّلل يداه، وخَسِرَ بعد صفقة الحقِّ أُولاه وأُخراه؛ إذ دلعَ لسانه بالكذب والزُّور على الأصفياء الأطهار، واختلفَ بما يُجازيه عليه الإله الحاكم الجبَّار، فلعنة الباري العلَّام، وعظيم السَّخط والانتقام، على مَن تعدَّى ظهوره من سائر حدود الدِّين، والدُّعاة والمأذونين، والنُّقَباء والمستجيبين، فأين مَن ولَّى الحقَّ لأهل الرِّدَّة والخلاص والفِرار، إذا ثوَّب من جانب الطُّور المنادي، وتشعشَعت الآفاق بالنُّور لقيام الإمام القائم الهادي، فشهدَ بالحقِّ الملائكة المقرَّبون، وعُوقب المرتدُّون والجاحدون؟! فعندَ ذلك يفوز بمقدِّمات التَّصديق الموقِنون، ويخسر الشاكُّون والمنافقون.

أيُّها الإخوان؛ أكرموا مواقع النجوم الزاهرة، واحذروا من الكَرَّة الخاسرة؛ فإنَّكم عن قليل تُعرَضون، وعن إمام الحقِّ تُسأَلون، وبعقائدكم لأهل التوحيد تطالَبون.

وكان فراغ تأليف هذه الرِّسالة في شهر جُمادى الآخرة من السنة السابعة من سنين قائم الزمان، المنتقِم من المشركين والطُّغيَان.

تمَّت، والحُكم لمولانا الحاكم وحدَه، والشكر للإمام الهادي عبده».

وفي الرسالة الموسومة بـ"الشافية لنفوس الموحِّدين، الممرضة لقلوب المقصِّرين الجاحدين" : «وسلامٌ من المولى القدير المجيد، على الإمام القائم بالتوحيد، والمشيرِ إليه على حقيقة التنزيه والتجريد، ورحمة المولى وبركاته على ينابيع الحِكَم أوليائه في كلِّ عصر جديد.

أمَّا بعد:

فإنَّ التوحيد للمولى - جلَّت آلاؤه - أعظم المطلوبات، وأنفس المدَّخرات، فالتوحيد للمولى - جلَّت آلاؤه - أوَّل المفتَرَضات، وحقيقة الدِّيانات، كما قال من أشارَ إلى توحيده، ونزَّهه عن صفات خلقه وعبيده.

فما كان في هذه الرِّسالة من صوابٍ، أو جَزالة خِطاب، فهو من بركات قائم الزمان، ووليِّ الفضل والإحسان، وما كان فيها من زَلَل أو خَطَل فهو مردودٌ إليَّ، وموقوفٌ عليَّ، أتوسَّل في الإقالة منه إلى مَن هو مِنِّي بضميري أعلم، وأضرعُ إليه في الهداية إلى الطريق الأرشَد الأقوَم، فنهاية الدِّين هو الإمام الملك المولى المنزَّه المعبود.

فعَلِم عند ذلك كلُّ ذي عقل ولُبٍّ أنَّ الواحد الذي التوحيد هبةٌ منه للموحِّدين هو الإمام وهو عبد مولانا - جلَّ ذِكره - وهو القائم الذي يقوم

بالوَحدانيَّة؛ أي: يدعو لتوحيد مولانا - جلَّ ذِكره - وينزِّه مولانا.

والإمام هو القائم الذي لا عملَ في وقته بعد ظهوره، فمن هاهنا ضلَّ الذين ألحدوا في المولى - جلَّ ذِكره وتعالى - وفي حدوده، ولم يفرِّقوا بينه وبين عبيده، وأشركوا وتكبَّروا على الإمام القائم الهادي وجحدوه، وقاوموا الحقَّ بكفرهم وعاندوه، فلا للمولى عبدوه فوحَّدوه ونزَّهوه، ولا للإمام العَدل عرفوه فتوصَّلوا به إلى معرفة المولى سبحانه ليعبدوه ويُطيعوه، بل عكفوا على قذف الإمام العدل وسبِّ حدوده وأنكروه، وخرجوا بالجَور والظُّلم عن العدل، ووقفوا على الإلحاد والسَّفَه والجهل، وهذا هو دَور القيامة وبروز أعمال العباد، وحينُ الكشف لضمائر أهل الحقائق، وظهور أهل النَّكث لما يجنونه من الفُسوق والعِناد».

وفي "رسالة العرب": «توكَّلتُ على المولى الإله الحاكم المنزَّه عن العَدَم، وشكرت عبدَه قائمَ الدِّين وهاديَ الأُمم، من العبد الطائع الخاضع النذير، ومملوك الإمام الفاتح على الأُمم بالحدِّ والنكير، وعلى نواميس الأبالسة بالنسخ والتحليل والتغيير... فاتَّعظوا معاشرَ العرب بمُحكَم الآيات، وأجيبوا داعيَ الحقِّ قبلَ حلول يوم الميقات، وقبلَ أن يُختَمَ على الأفواه وتنقطعَ وصائل الكَذَبة المتحقِّبين الأوزار والذُّنوب، إذا طلعت شمسُ الحقائق بمِحوَر الفَلَك، وطُوِيَت الأرض والسماء ذات الحُبُك، وظهر من الحجبِ قائم، وافتضحَ المبطلون من جميع الخلق فقد لمَعَت بالنور الدَّلائل والآيات، وانحرفَت الطوالع والنيِّرات، واشتبكت الدَّوائر والمثلَّثات، ورمَت بالشَّرَر لتغيير الأزمان والأوقات، وبطَلَ فعلها لطلوع كيوان الحقِّ المحرق بأشعته لدجاجلة العصور وأبالسة الفَترات».

ومن الرِّسالة الموسومة بـ"رسالة اليمن": «توكَّلت على المولى الإله

الحاكم المنزَّه عن الذَّات، وتوسَّلت إليه في الطاعة بوليِّه القائم لمُجازاة الأُمم على الحسنات والسيِّئات، من العبد المقتني المقتصد الأوَّاب، المنذر لقيام صاحب العرض والحساب، المملوك لمالك الثَّواب والعقاب، الضعيف بالإضافة إلى مَن سبقَه من الحدود العالية والأبواب.

أمَّا بعد:

فالحمد للمولى الإله الحاكم المنزَّه عن عبادة الألسُن وتصوير العقول، المقدَّس لاهوتُه عن خواطر الأفكار الممزوجة بهواجس الطُّلوع والأُفول، الذي جلَّ مجدُه عن الوجود المحدود، وتعالى جبروته عن العَدم المفقود، وتنزَّه بعظمة لاهوته عن مخترعات أهل الإفك والجحود، وأظهرَ حجابه إقامةً لعدله في الأنام، وأوجبَ الحُجَّة على الخليقة بدعوة التوحيد الفائضة عن أمر السيِّد الهادي الإمام، الذي جعلَه المولى بفيض حكمته لشرع نواميس الأبالسة قاطعًا محلِّلًا، ولزُخرفهم الملبوس على الأُمم ناقضًا مفلِّلًا، أوجدَ حجَّته للخليقة إعذارًا وإنذارًا، ومذكِّرًا للنفوس الخبيثة بما احتقبَت من عصيانه أعصارًا خاليةً وأدوارًا، وأصرَّت عليه كفرًا ولَدَدًا وجحودًا وإنكارًا.

فأَصيخوا أسماعكم بالفهم لداعي الحقِّ الصحيح المنادي، وأقلعوا عن شهوتكم، وتميَّزوا بالطَّاعة للإمام القائم الهادي، فقد نُشِرَت للحساب والعَرض صحائفُ الأنام، وتميَّزت بالنَّجس عُصبة الدجَّال الموقوفة غدًا للعذاب والانتقام، وأتباعُ الدَّجاجلة في أقطار الأرض مُهمَلون، وفي بحر الضلالة متهافتون غارقون، قد استعبدَهم إبليس الأعظم من حيث لا يعلمون، فهُم لأمره يأتمرون، ولنهيه ينتهون، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون؟!

فقد تفلَّجت الأصداف بسادات الأُمم عن الدُّرِّ المكنون، وجرت

للشاربين عينُ الحياة بالماء الطاهر المخزون، وظهرَت بميامنهم ممثولاتُ الرُّكن والمقام، ووجبَ على أهل الطاعة التسليم والاستسلام، وبطلَت الأمثال بظهور الممثولات، وافتضحت بمعالم السادة شُبَه المدلِّسين في المتعبَّدات، ودَحضت هياكل الشَّرع عند ظهور السادة النفسانيَّات.

فحينئذ يرتفع عن الوليِّ أستارُ الحُجُب، ويفتضح الخلق والعوالم بما أوضحَه لهم في البداية من رموزات الكتب، فتَخِرُّ الجبابرة والأصنام على الجباه والأذقان، ويقال: أين المفرُّ للإنسان؟ كلَّا، للأبالسة لا وَزَر، إذا استُلَّ من غِمده الصارم، واقتدحت الأرض بالنار والشَّرر، وهتفَ بأهل النَّكث والارتداد طوفان السَّيف، وهلاك مقطرة الفكر وهدمها، أعني: مكَّة وأهلَ الخَيف، هنالك تبورُ الدَّجاجلة في الآفاق والأقطار، ويتناهى بهلاكهم حلولُ المقدار، فيضعف عن هذا العالم اللدُنِّي قُواه، وتفسُد عليه آخرته وأُولاه، وينكشف عن صبح الحقِّ غَيهبُ الظلام، ويطلع شمس الدِّين وبدور التَّمام، ويتجلَّى العدل بظهور القائم الهادي الإمام، القائم لجزاء الأرواح والنفوس، تنزيهًا لجبروت المولى الإله الحاكم القدُّوس».

وفي رسالةٍ أخرى: «توكَّلتُ على المولى الإله الصِّدق، الحاكم بالحقِّ، المعبود بلغات جميع الخلق، من العبد المقتني الفصيح، والبشير النصيح، المملوك لوليِّ الزمان، صاحب الكشف وغَيبة الامتحان، القائم لهداية شيعة التصديق، والمنهج ببرهانه إلى التوحيد أوضحَ طريق.

أمَّا بعد:

فالحمد للمولى الإله المنفرد بمعنى الظهورات الحاكميَّة، المقدَّس بلاهوته من حيث هو عن المائيَّة والكميَّة، المنزَّه بعد وجوده عمَّا تحوط به العقولُ وينقطع بالألفاظ المنطقيَّة؛ إذ العدم مضادٌّ للوجود، وسبيل يستدرج

إلى الإنكار والتعطيل والجحود، فتعالى المولى الإله الحاكم الذي جَلَّ عن الأزواج والأولاد، وتعاظَمَ عن الأشكال والأنداد، وتنزَّه بوجوده عن موهمات العدم، وتقدَّس عن الانحصار تحتَ عبارة الألفاظ بمعنى الأزليَّة والقِدَم، الذي جعلَ وليَّه قائم الحقِّ منارًا لكشف التوحيد، وهاديًا لمن استضاءَ بأنوار حكمته إلى التنزيه والتجريد، وعاصمًا لمن أخلصَ ببرهانه من التلحيد والتقليد.

فما التوفيق بك ولك فيما أَمَمتَه إلَّا بالطاعة لوليِّ الحقِّ وناسخ الأديان، فإلى رحمته أضرع من الزَّلل والفُتور في العفو والصَّفح والغفران.

فَقُم أيُّها الدِّين المسدَّد، وأيقظهم فقد شهرَ التقديس للمولى الحاكم المنزَّه الموحَّد، وفشا في الآفاق ما كنتم به توعدون، وظهرَ من القوَّة إلى الفعل ما كان أسلافكم له يفتقدون، وكافَّة أهل الحقائق لوروده منتظرون، فأجيبوا داعيَ الحقِّ فقد ظهرت علاماته، وانتشرت في الآفاق براهينه وآياته، ولا تغترُّوا بزخرف ابن اللَّيث الخائب وخلافه.

وقُل لأشياخه حزب الضلال: فإلى متى أيُّها الصُّمُّ البُكم؟ فقد بُعثِرَت القبور، وحُصِّل ما في القبور والصدور، تضافرتم على الشَّكِّ والشِّرك والإلحاد، وتصافيتُم على التقصير والبَلَس والعِناد، قد اختلطت بطبائع الخائب طباعكم، وتمازَجت أرواحكم بروحه في النَّجس بجحد الألوهيَّة، وأنكرت الحقَّ إيباقًا عن العبوديَّة، وناءت عن الإمام الحقِّ الأوسط - الناطق والأساس - مركز الحمد والفضائل، وارتبطت بالطرفين المذمومَين مقرِّ الأضداد والرذائل، تَنَكُّبًا في أصل خلقتها عن الإبداع، ونكوصًا عن الحقِّ من حيث العنصر الخبيث إلى الشكِّ والارتجاع.

فهي مستعدَّة لغاية الشرِّ في نفس فطرتها، كليلةٌ بالمرض لإيباقها

وحسرتها، عاجزةٌ عن إثبات صور المعقولات، منحرفةٌ باللَّدَد عن قَبول وتلخيص المعاني ومعرفة الماهيَّات، جاحدةٌ لتوحيد المولى الإله الحاكم الجبَّار، غامطة وليَّه قائم الحقِّ في مقدَّمات الأعصار، الذي جعلَه المولى لشرع نواميس الأبالسة ناسخًا، ولما لبَّسوه على الأُمم بزخرفها قاطعًا فاسخًا، ومحلِّلًا لربط كفرهم الذي عقدوه، فاضحًا لمصائرهم الذي نفخوه في آذانهم ونفثوه، وهادمًا لمباني إفكهم المؤسَّس على الضلالات، وقامعًا بالتوحيد جميعَ الآراء وأصناف المقالات، فأيقِظ قومك أيُّها الدِّين الحكيم، وأوقفِهم بالبرهان الواضح ليتحقَّقوا قائمَ الحقِّ فهو الهادي إلى الصِّراط المستقيم.

فكان الحقُّ وحقُّ الحقِّ بعظيم ما يوعدون قد نزلَ وأَزِف، وبالمستور قد ظهرَ وانكشف، فإنَّا للمولى وبه معتصمون واثقون من هَول يوم تعاظم عنه مناسمةُ الأيَّام، ويتجالل عن القول فيه والخِصام، يوم تُجازى فيه القلوب والأبصار، ويتجلَّى الخلق بخلقه المولى الإله الحاكم الجبَّار، يوم تذهل فيه العقول والنفوس، ويتنزَّه بجبروته المولى الإله الحاكم القدُّوس، بحُجبٍ من الملائكة الرُّوحانيِّين الأطهار، وأفواج من الكَروبِيِّين أولي الأجنحة والأنوار، يقدُمهم السيِّد إمام الأُمم في الأدوار والأكوار، قد دانت له الأقطارُ والآفاق، وخضعت للمولى الخدودُ والأعناق، وأذعنت له بالرُّبوبيَّة المخلوقات، واعترفت للمولى المنزَّه بالملكة والعجز الجواهرُ المبدَعات، ونادى المنادي: لمن الملك اليوم؟ فيردُّ أمره إلى الحاكم المنزَّه عن السِّنة والنَّوم، وتوضع للعرض الموازين وتُنقد الأعمال، وتنقطع وصائل الكَذَبة ومن المدَّعين الآمال، وتظهر للعِيان نجيَّات المخازي، ويكون القائم مسيح الحقِّ على كلِّ نفس بما كسبَت هو المجازي، ويفوز الصادقون بمقدِّمات التصديق.

والحمد للمولى الموجود الحاكم، والشكر لوليِّه الإمام الهادي القائم.

وكُتبت في السنة السابعةَ عشرةَ من ظهور قائم الدِّين، المنتقم من المشركين والقاسِطين والمرتدِّين والمارقين، بسيف مولانا الحاكم إله العالَمين.

تمت "رسالة الهند" بحمدِ مولانا ومنِّه».

ومن الرسالة الموسومة بـ"التقريع والبيان" : «توكَّلت على المولى الإله الحاكم المنزَّه عن العدد، وتوسَّلت إليه بوليِّه القائم على كلِّ نفس بما كسبَت واعتقد. . .

السلام على مَن عرفَ مسيح الأنام، وتوجَّه به إلى المولى الإله الحاكم على الحكَّام، وتوسَّلَ إليه بطاعة وليِّه في المعاد والمُنقلَب، واغتنمَ زمان الإمهال فادَّخر لنفسه من أوفر الزاد بحميدِ الطلب، ونزَّه المولى الحاكم بحقيقة التنزيه والتوحيد، وبريَ إلى جبروته من التوليد، والتشبيه والتجسيد.

أمَّا بعد:

فالحمد للمولى الذي تنزَّه عن غوامض الفِكَر، وتجاللَ بعد وجوده عن هواجس الخَطَر، وتقدَّس عمَّا تعتوره البصائر والعقول، وتسامى عن مضارعة المثل والممثول، فكلُّ عقدٍ عند توجُّهه إلى تصوُّر جبروته راجعًا حسيرًا، وكلُّ نفس أصمد إلى توهيم علائه كليلاً أسيرًا، فعن قليلٍ تناهى بالأجل المحتوم القَدَر، وتنكسِف شمس الدجَّال لظهور القائم المنتظَر، ويفتضح أهل الشكِّ والنَّكث والارتياب، إذا صرف فينقي الحقُّ بالمَنسِم والنَّاب، بجيرانه - أعني: مكة - من الكفر الثَّبَج، وبقرَ خاصرة الباطل وفرَّ المنحر منه والوَدَج، فيصبح قائمه بسيف الحقِّ متَعفِّرًا جديلًا، وصحبه بأليم السَّخَط ووَهَج الهجير قد ذُلِّلوا تذليلًا، فعند ذلك يفور تنُّور الحقائق بمكنون

الأنوار، ويتَّصل ضياؤه بالآفاق والأقطار، ويرتفع سناؤه لظهور القائم أمر المولى الإله القائم الجبَّار، المحرق بشُهبه لدَجاجِلة العصور وأبالسة الأدوار.

وآيةُ ذلك اجتماع جميع المِلَل على قتل فرقة التوحيد، وتظاهُر كافَّة الأُمم عليهم بالسَّلب والقذف والتشريد، فحينئذٍ انتظِروا يا أمَّة السوء صيحةَ البوار، وظهور كنز الجرار، إذا ظهرت شمس الشموس، وتفتحت أبواب السماء لظهور أمر المولى الإله الحاكم القدُّوس، فتَذهَل عند ذلك المراضع عن المرضعات، ويحتدم لهيبُ الصدور على ما فرَّط من الطاعات، وعَنَت الوجوه لأمر المولى إله الأرض والسماوات.

فأين يتألَّى بكم أيُّها المَرَقة الفُسَّاق، وقد أُسرِجَت لثأر أهل الحقِّ الضُّمَّر العِتاق، وتقضَّى المضمار وحان السِّباق، إذا اشتَهرَ من الشرق الصارم المشرفي، وظهر من الحُجُب المستور الخفي؛ لتطهير الأرض وتغيير المِلَل، وقتل أبالسة الدِّين ونقل الدُّول... فينتقم الباري بظلمه من الظالمين، ويبلغ أجله المحتوم لهلاكه مع الجاحدين؟! هنالك يشتهر من المشرق المشرفيُّ الصارم، ويقوم بحدِّه على الملحِدين الإمام الهادي القائم.

والحمد للمولى الحاكم وليِّ الفضل والمَنِّ والإنعام، والشكر لوليِّه الهادي بدر الدُّجُنَّة ومصباح الظلام.

تمَّ "التقريع والبيان"، بمنَّة مولانا وتفضُّل قائم الزمان».

ومن الرِّسالة الموسومة بـ"تأديب الولد العاقِّ": «باسم الإله العالم بسرائر الخلق، الفاضح لمَن دلَّس على أهل الحقِّ».

ومن هذه الرِّسالة: «فأين يُذهب بعالم النَّجس والهلاك والمُروق؟! وأين المفرُّ بأهل الارتداد والخلاف والفسوق، من سَيل عَرِم يأكل زبده، وعموم

طوفانٍ لسيف يعلو الرُّبى، متفجِّرًا بالدَّم صوبَ سمائه، يطوي طَلا الباطل من حيث اندفع، ويهدم الأركان من نواميس الشَّرع؟! فأين يذهبُ من شواطئه أهل النَّكث والزُّور، إذا همرت رواعده بالبعث حيال الحرم من جانب الطُّور، وتلألأ أنواره بالسقف المرفوع والبيت المعمور، وزمجرَ شُؤبوبه بأرض البحرين واليمامة، وسحبَ ذيله بالخسف لمقطرة الكفر والباب الأعظم لتِهامة - يعنون: الكعبة ومكة، لعنهم الله - وعكس دُخَانه لذات الفِجاج والشعوب، وسعَّر ناره بها لهدم الهيكل وإحراق بصائر القلوب، إذا هجرَ بهجر شموس القيامة لنسخ عناصر التحليل والتغيير، وأبدرت بها أقمار السعادة وترشَّحت للبروز والتأثير، وظهرت من القوَّة إلى الفعل، وتهيَّأت لخلع معاقد أهل التغيير والتقصير؟! هنالك تنوحُ الأُمم على عقائدها وشعوب أديانها؛ لكسر صُلبانها وهدم كعبتها وبيوت نيرانها، إذا عصفت شُزَّبُ الملك المظفَّر المسعود بالنجبات، وشفعتها بالحقيقة عزيمة الموحِّدين السادات، وتشَعشعَت الآفاق بقطع النِّحل المحرَّمة بحقائق المتعبَّدات، وتسارعت للخروج أسباط الحقِّ الكنوز المختزنة بالواحات، واهتزَّت الأرَضون لظهور القائم إمام التنزيه والتجريد، واشتهرت في الأقطار ممالكه بميامن التقديس والتوحيد، فيومئذٍ تتفيَّأ بالظلال المركَبات، وتظهر الشهادة على الجاحدين لجواهر المبدَعات، ويتجلَّى للعوالم بأمره المولى إله الأرض والسماوات، وتتحلَّل معاقد الأبالسة بخَرق العادات، فتُحصر حينئذٍ عن التجريد والصِّفات العقول، ويتعالى عن البديهة المَثَل والممثول، ويعجِز عن موارد الاكتناه السائل والمسؤول».

ومن الرِّسالة الموسومة بـ"القاطعة للفرعون الدعي": «توكَّلت على المولى المنزَّه عن تحديد الفاسقين والمارقين، وتوسَّلت إليه بعبده القائم لهلاك مَن شكَّ فيه وألحدَ في حدود الدِّين، من العبد المقتني الضعيف

العاجز الفقير البائس، إلى رحمة مالكه الإمام القائم لتنكيس أعلام الباطل، وهتكِ عقائد المبلِسين، والقاطع لشرع الأبالسة والعُصْبة المكذِّبين لآيات حكمة قائم الحقِّ ورَجْعَة ظهوره، والجاحدين لقيامه على العوالم وحسابه ونشوره، إيقاظًا للسُّهاة المغترِّين.

أمَّا بعد:

فالكبرياء والجبروت، والإجلال والملكوت، للمولى المنزَّه بلاهوت قُدسه عمَّا تتصوَّره العقول من الغَيبة والحضور بتغيير الألفاظ، ويختَلِج في سرائر القلوب والصُّدور، والعالِّ لعلَّة العِلَل الموجودات في الأزمان والدُّهور، القاضي لأمره هادي الأُمم بالفَلَج والغَلَب بعد إياس كلِّ مرتدٍّ جاحد كفور، والقاطع لحبائل مَن أوصلَ الباطل، ومَرَدَ عن الحقِّ وشكَّ في حقيقة الظهور، والفاضح لضمير من ألحدَ في حدود الدِّين، وقذفهم بالإفك والكذب والزُّور.

وصلوات المولى تَترى على خَدَم دعوته ذوي الطاعة وحدوده، الواقف كلٌّ منهم منصتًا لموعد ظهوره بمحلِّ قُدسه وموضع سجوده، الدَّاعين بالحقيقة إليه ابتغاءَ مرضاته والتسليم لأصغر عبيده، المرتقبِين لهدم دار الفاسقين في ظلِّ رايات حقِّه وبُنوده، فمولانا الحاكم إله الآلهة، يلعن مَن رضيَ بهذا القول واعتقدَ هذا الاعتقاد - أي: إنكار ألوهيَّة الحاكم - ويبرِّئ أهل الحقِّ منه ويمسَخه في أخسِّ الهياكل وأنجس الأجساد، ويلعنني ويُبعدني ويُقصيني إله الآلهة الباري العلَّام، ويُعاقبني بما لا قوَّة لي به من العذاب والانتقام؛ إن كنت تصوَّرت هذا الفسقَ الذي اعتقدتُّموه في نفسي، أو أشرتُ به أو جرى في فكري أو خَلَدي - فأنا بريءٌ من إله الآلهة وهو بريءٌ منِّي، لا يقبل منِّي عُذرًا ولا توبة، ولا يوحِّدني من هذه البراءة رحمة

ولا أَوبَة.

وإنَّما الذي أظهرتُموه وأظهره الخائب الذي أضلَّكم عن توحيد الباري تعالى لأهل الطاعة؛ لموافقتكم لهم في الطبيعة والأجسام؛ لأنَّها - أعني: نفوسَكم ونفسَ الذي أضلَّكم - عجزت في القِدَم أن تتَّحدَ بالعنصر الكريم الشريف؛ فلذلك لَحِقَها الوَهنُ عن تنزيه الباري تعالى عن العبادة والتكييف، فشككتُم في محلِّ قُدس الإمام فأعدمتموه، وأشرتُم بعمى بصائركم إلى أقلِّ عبدٍ من الخلق الضعيف.

فما كان في هذه الرِّسالة من صواب، أو جَزالة خطاب، فهو من بركات قائم الزمان، ووليِّ الفضل والإحسان، وما كان من زلل أو خطأ فهو مردودٌ إليَّ، وموقوفٌ عليَّ، أتوسَّل في الإقالة منه إلى مَن هو بضميري أعلم، وأضرعُ إليه في الهداية إلى الطريق الأرشَد الأقوَم، وهذا يرغم أنوفَ الكَذَبة المدَّعين، مع ما بينه في الأعذار والإنذار من حكمة وليِّ الدِّين، في قوله: «واعلموا أنَّ غَيبتي عنكم غَيبةٌ لجميع الأديان، فمَن وَفى منكم بما وثق عليه ولم ينكُص على عَقبَيه فسأوتيهِ أجرًا عظيمًا، وأُنيله مقامًا كريمًا، ومَن انعكسَ وارتكَس، وصدَّ عن الحقِّ وأبلَس، وأصغى إلى الشيطان بما زخرف ووَسوَس، أُدخلَ تحتَ الجِزية، وأُوقعَ به المذمَّة والخِزية؛ جزاءً بما احتقَب، وانقلبَ إلى أشرِّ منقلَب؛ ذلك لما عاندَ وكذَب».

والآن، فقسطٌ من الحكمة وحقِّ الدِّين ومَحْضِ الاعتراف، وميزانِ العدل وحقيقةِ الإنصاف، يحقِّق عند أهل القلم وجوبَ سخط الباري على من أنكرَ ظهور قائم الزمان، ومجازاتِه للعوالم بعد غَيبته الاختبار والامتحان؛ أعني: هذا الإمام المنصوصة إمامتُه على رؤوس الأشهاد، بأنَّه المنتقم بسيف المولى عند ظهوره من أهل الشكِّ والمُروق والارتداد والعِناد.

اللهمَّ فخُذ بنواصي الذين توهَّموا الباطل حقًّا إلى الحقِّ والرشاد، وجنِّبهم بعد إخلاص نيَّاتهم عن طُرُق أهل العبثِ والفساد، وأوقفهم بالاعتراف لمعالم ظهور الإمام القائم بهذا النبأ العظيم الهاد، القائم لفصل القضاء والجزاء للعباد.

والحمد للباري القاضي لوليِّه بالفَلَج والغلب إذا انقضَت مدَّة القاسطين وآنَ حلول يوم الميعاد، وكُتبت في شهر رجب من السنة الثامنة عشرة من سنين عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدَّة سُلطانه تمَّت.

والحمد لمولانا وحدَه، والشكر لهادي الأُمم عبده».

ومن الرِّسالة الموسومة بـ"تمييز الموحِّدين الطائعين، من حزب العُصاة الفَسَقة الناكثين" : «توكَّلت على المولى الإله الحاكم المتعالي عن تنزيه الإمام، وتوسَّلت في الهداية إليه بعبده القائم الهادي الإمام، من العبدِ المقتني الخاضع لطاعة الهادي الإمام، القائم لإعزاز دينِ الحقِّ المعترف بالصِّغَر لحدوده والقصور عن منازلهم، والضَّعف وملك الرِّق، المتوسِّل إلى كرم مولاه في إجابة ضرعه بتجديد المملكة.

أمَّا بعد:

فالتقديس للمولى الحاكم المنزَّه عن تأليل الآلال، المعظَّم عن حركة الأزمنة وتدهير الدُّهور وتوقيت الآجال، الذي أبدعَ مبدعَه علَّة لجميع الحركات والمتحرِّكات والأغلال؛ تنزيهًا للمقامات العليَّة، وتعريفًا لعجز العوالم عن العبادة بمحض الإلهيَّة، فلا سلوكَ للأنفس إلى مقاصد التوحيد، ولا إشارةَ إلى معاني التقديس والتمجيد، إلَّا بالطاعة لقائم الحقِّ مالك الدِّين صاحب الوعد والوعيد، وقَبول أوامره والصَّبر فيها على السرَّاء

والبأساء والضرَّاء الشديد؛ إذ لا إثباتَ ولا معنًى لمعلوم خرج عن إحاطة جوهر العقل، ولا توهُّم لوجود تشبيه شيء منبعِث إلَّا عن المبدِع الأصل، فتعالى المولى الذي قصَّر أفهام العوالم عن الخوض في تحقيق ذاته، وجعلَها مجبرةً محيَّرةً عاجزةً عن إدراك صفته وآلائه، الذي جعلَه المولى على الأُمم مهيمنًا، وبمكنون الضمائر مطالبًا، ولنفوسِهم بما اجترحَته عن عصيانه مسائلًا محاسِبًا، وبالطاعة والأعمال الطاهرة مثيبًا وبأضدادها معاقِبًا.

فأين المفرُّ بخشاش الغترة الكَذَبة المفترين؟! وأين الذَّهاب لفراعنة الأدوار البَلَسَة المموِّهين؟! وكيف الخلاص لأهل الخِلاف المَرَدَة المعاندين، وقد أحدقَ بهم طُوفان السَّيف ولهب الحريق؟! وإنَّ هدمَ الحقِّ لتمام المقدور لباني هُبَلِهم القديم العتيق، وتزلزت أرضه للخَسف بمتالي أيَّامهم ومدارس الشكِّ والشِّرك الحقيق، ونُقصت من أطرافها أرضُ الطُّغاة الفَسَقَة المكذِّبين، وهبَّت عليهم رياح السَّخط بما أفكوه من حُرمة الدِّين، أَمَا تنظرون إلى حكمة الباري الحكيم، وإرساله الزلازل لزوال أستار البيت العتيق القديم، وهجوم الرَّواجف لهدم المساجد والجوامع والبِيَع، إشارةً وأذانًا من الباري لنقل الدُّول وتمحيق الشَّرع؟! أتقولون: إنَّ الصواعق النازلة بأستار المَشعَر على رأيكم والبيت الحرام، وشقَّها للرُّكن من معبدكم والمَقام، وخراب المسجد والجوامع والبِيَع ببلد الشام - إنَّ هذه العظائم الفادحة بغير أمر الإله الباري العلَّام؟!

فإن قلتم أيُّها الكَفَرة: إنَّها بغير إرادة الباري فقد عطَّلتموه وجحدتُّم العِيان، فتدبَّروا أيُّها السهرة مبانيَ الآيات المحكَمات، وتأمَّلوا تحليل عُقَد الأبالسة والشياطين بالبراهين المبهِرات، وهَتكَ غوائم المبلِسين وقطعَها بقواضِب المعجزات، دلالاتٌ لفراغ دَور النِّحَل الملبوسة الشركيَّة، وتبيينٌ للأُمم عَوار عقائدهم النَّجِسة الإفكيَّة، وعلاماتٌ لكشف ما استترَ من

المذاهب الإلهيَّة، وتعيينُ الذين شطحوا عن الحقِّ بعد معرفته بقتل أوليائه ليتبيَّنوا بالضِّديَّة، فاخسؤوا أيُّها الهَلَكة فقد لمعَت الأنوار بالبُشرى لنفوس المحقِّين، وتشَعشعَت بحقِّ الظهور معاقدُ الأعراف - عسكر المقام - أصحابِ اليمين.

وأُحيط بذات الفِجاج دار الفاسقين، وهُدم مَقيلُ الأبالسة والشياطين، فعندَ ذلك يطلع شمس البدور والأقمار، ويظهر إمام العوالم في الأدوار والأكوار، وينطلق صدِّيق الأزمان والأعصار، وتلألأ أنواره في الآفاق والأقطار، ويصحُّ بالبعث والجزاء لنفوس الأنام، ويقوم الحقُّ والعدل بقيام القائم الهادي الإمام، ويخسرُ المرتدُّون والشاكُّون ويُؤخَذ منهم بالنواصي والأقدام، وتُسأَل المَوؤودة عمَّا حُمِّلَت من الأثقال والأوزار، ويوضَّح لها: بأي ذنبٍ قُتِلَت؟ بسلس الانقِياد بعد اللَّدَد والإحجام والإنكار، ويكون ما لا أُذنٌ سمعت، ولا عينٌ رأت، ولا خطرَ على قلب بشر، من التنزيه والتأليه والإذعان والإقرار، للمولى الإله الحاكم الجبَّار.

فهذا هو الوقت الذي يتساوى فيه في طلب الإقدام، ويكون القائم على كلِّ نفس بما كسبت هو الهادي الإمام.

فهذه الرِّسالة حُجَّة لي عليكم، وحُجَّة لكم عليَّ بين يدي ربِّ العالمين وإمام الموحِّدين، ولا فضلَ لأحدٍ على غيره إلَّا بما حَفِظَه من الحكمة وقامَ فيه بفرض الطاعة لهادي الخلق أجمعين، وما على الرسول إلَّا البلاغ المبين، والتوكُّل على وليِّ الحقِّ وبه أستعين، وما بقيَ لأحدٍ من الأُمم في هذا الإقليم على الله ووليِّه ولا على أحدٍ من عَبيده الطائعين حُجَّة يقيمون له فيها ممثولًا ولا مَثَلًا، ومتى ردَّ على هذا القول قومٌ هم دونَ قائله في المنزلة الممنون بها عليه من فضل صاحب الأمر أهلكهم الحقُّ وأتاهم

العذابُ قُبُلًا، وأنا العبد الضعيف معذورٌ لغَلَبَةِ الشياطين في السِّياحة والهرب إلى وليِّ الزمان والاستغاثة به، مستحلِمًا على من ظلمَ أهل الحقِّ وظلمني، مستعديًا عليهم معتمدًا في يوم الجزاء عليه. . .

اللهمَّ فإنَّ العبد الصغير والمملوك الضعيف الحقير يستصغِر قَدرَ نفسه عند جليل إنعامك لدَيه، وهو متوسِّل إلى كرمِك يا مالك الدِّين في إيزاع شُكرك لما مننتَ به عليه، ونبرأُ إليكَ يا وليَّ الحقِّ ممَّا أحدثته شياطين الغترة من العَيث والفساد، وما اخترصوه على أهل الحقِّ وأوثقوا به الدِّين من الإضلال والإلحاد.

اللهمَّ فإنِّي مستعينٌ بقوَّة سلطانك على بَلَسِ كل أَفَّاكٍ أثيم، وشيطانٍ مُضِلٍّ غَوِيٍّ رَجيم، جاحدٍ ليوم العَرض والحِساب، مُنكِر لظهور صاحب الثواب والعقاب.

اللهمَّ فمَن تَبِعَني من كافَّتِهم بعد سماع هذه الرِّسالة بقول أو فعل مستعلِمًا لي خبرًا، أو اقتفى لي في إقامة أو مغيب طريقًا لفحص أو تأثَّر لي أَثَرًا، فهو بريءٌ من بارئ المبروءات، وجاحدٌ لجبَّار الأرض والسماوات، ومخالفٌ للقيام على النفوس بالجرائم المكتسبات، وغضبُ الله عليه ولعناتُه المختزَنة في أشأم الفِطَر إلى أبعد الغايات، وأنتَ الحاكم يا مولاي بيني وبينَه، يا مَن لا يظلم مثقال ذرَّة لأحد، ولا لمن ظلمَ منه مُلتَجأٌ ولا مُلتَحَد، وأنا أستودع أهلَ الوفاء والصِّدق اللهَ العالمَ بضمائر الخلق، القاضيَ بالفَلَج والغَلَب على رغم أُنوف الجَحَدة للقائم الهادي وليِّ الحق، وهو حسبي ونعمَ النَّصير المعين لمن توكَّل عليه ولم يخرج عن طاعته وأخلصَ له بقول الصِّدق.

فقائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن هو أمر المولى - جلَّ ذكرُه -

الذي أمرَ الأشياء أن تكونَ فكانت، فهم أهل التوحيد لأنَّهم لم يكن لهم حقيقة صورة، إلى أن كوَّنهم قائم الزمان عليه من المولى أفضل التحيَّة والسلام، والجواهر العقل والنفس بين يدَيه رجال ينطقون ويُفتون، وبهم قوام أمر العالم كلِّه الرُّوحاني والجُسماني؛ لأنَّ الرُّوحانيَّ بهم وبمعرفتهم ارتقى هذه المنزلةَ العظمى، وهي مرتبةُ التوحيد، والعالم الجُسماني هم مدبِّروه بأمر المولى، فلمولانا يعبدُ من في السماوات والأرض طَوعًا وكَرهًا في هذه الجهات التي ذكرتُها، وجبَ أن تكونَ الأشخاص الرُّوحانيَّة رجالًا علماء بجميع الأشياء فهمًا، ولولا ذلك لم يكن للأشياء حقائق، ولكان العالم سُوفسطائيَّة يزعمون أنَّ الأشياء لا حقائق لها.

وممَّا يدلُّ على التنزيل والتأويل أنَّه لا حقيقة في أحدها، بل الحقُّ في القسم الثالث؛ بأنَّه لا يصحُّ ظاهر التنزيل إلَّا بالتأويل البيِّن، وهما متضادَّان لا يتَّفقان في معنًى، ولا يصحُّ أيضًا من التأويل لفظةٌ واحدة إلَّا بالتنزيل، فقيام أحدهما بالآخر، وبتضادِّهما صحَّ عند العارفين ألَّا حقيقةَ لهما.

وأيضًا فإنَّ التأويل ليس هو على وجهٍ واحدٍ ولا على طريقةٍ واحدة، والحقُّ لا يكون إلَّا في جهة واحدة، والتأويل أيضًا ما له غايةٌ يقف عليها، وكلُّ شيءٍ تسلسل في طردِ الغاية إلى ما لا نهاية له كان باطلًا، فصحَّ بالحقِّ في معرفة علمٍ له محصول، وغايةٍ تقف دونها العقول، وهو المولى الذي ظهرَ لخلقه بخلقه ظاهرًا مكشوفًا لعبيده العارفين به، وحدوده أشخاص رجال يأمرون وينهون، ويعلمون ويُفيدون، فإذا أصابوا قال لهم مولانا ومولى كلِّ مولى: قد أصبتُم، وإن أخطأ مخطئٌ قيل له: أخطأت، فهم من أمرهم على يقين، وكذلك مَن تَبِعَهم من الموحِّدين الفائزين على يقين من أمرهم، وجميع العالم على شكٍّ، والشكُّ هو الكفر؛ لأنَّهم يعبدون مَن لا يسمع ولا يضرُّ ولا ينفع، ولا يدرون هل عبادتهم مرادةٌ أم أنَّهم لا يبصرون

شيئًا ممَّا أجازته عقولهم ولم توعيه لعلَّتها أفهامُهم؟ وهذا نفس الشك، نعوذ بالمولى منه.

وأيضًا فقد تقدَّم القول بأنَّ المولى عادلٌ غير جائر - تعالى وجلَّ عمَّا يقول الملحدون علوًّا كبيرًا - فأيُّ عدل يقتضي أن يكونَ فوق سبع سماوات على كرسيٍّ فوق السماء السابعة كما يزعم المشركون؟! وقد كلَّفنا هذا عبادته ومعرفته، فهل في وُسع أحدٍ من العالم أن يعرفَ ما خلف الجدار الذي هو أقرب إليه من كلِّ قريب إن لم يكشِف عنه وينظُره بعين ويصحِّحه بقلبه، وإلَّا فلا يعرفه؟! فنعوذ بالمولى أن ننسُبه بإلهٍ احتجبَ هذه الحجبةَ ثم نكلَّف مع ذلك عبادته ومعرفته، بل قد ظهر تعالى بهذه الصورة الناسوتيَّة التي تُشاكِلنا هذا من حيث المجانسة والمماثلة فهذا نفس العدل.

ووجهٌ آخر أنَّ ابن آدم عرض الباري من جميع المخلوقات؛ لأنَّ جميع العالم العلويِّ والسفليِّ له؛ ومن أجله وجبَ أن يحتجبَ الباري - جلَّت قدرته - في أجلِّ الأشياء؛ لأنَّ ضدَّ أجلِّ الأشياء أقلُّ الأشياء، واحتجبَ بأشرف المخلوقات، وضدُّ الشريف الوَضيع، واحتجبَ بأعلم الأشياء وضدُّ العالم الجاهل، فنعوذ بالمولى من سوء اعتقاد مَن يعتقد أنَّه في الأموات، الجهالة التي لا تُبصر ولا تسمع، ولا تضرُّ ولا تنفع.

وأيضًا فإنَّ العالم كلَّه ما اختلفوا في أنَّ الباري قادر، فأين قدرته لو غابَ الدَّهرَ كلَّه؟! ثم لم يَغِب لعجزه عن الغَيبة، ولو ظهرَ في كلِّ الظهورات بصورة واحدة على حالة واحدة لكان ذلك عجزًا، فأيُّ إلهٍ لِمَن يدَّعي أنَّ له إلهًا غائبًا عاجزًا عن الظهور؟!

وليس من صفة القادر العجز، المولى إله الأوَّلين والآخرين قادرٌ في جميع الأحوال، غابَ وظهرَ بظهورات مختلفات الصُّوَر؛ لأنَّه - جلَّ ثناؤه

- في ظاهر الأمر ظهرَ في حدِّ الطفوليَّة، ثم الكمال، ثم إنَّه - جلَّت قدرته - اعتلَّ جسمه في ظاهر الأمر؛ لئلَّا يكون عاجزًا عن ذلك، فمن هذه الجهة صحَّ أنَّ العجزَ من القادر قُدرة، وأيضًا فلو غابَ ولم يظهر لما تحقَّق المعبود، ولا صحَّ ما أشارت إليه الحدود، ولو ظهرَ ثم لم يَغِب لكانت العبادة جبرًا وقسرًا، ولتساوى في ذلك أهلُ الأرض حتى لم يختلف فيه اثنان، ولكان ذلك عجزًا منه في الخليقة، إذا كان العالم كلُّهم علماء ليس فيهم جاهل، وكلُّهم موحِّدون ليس فيهم مشرك، ولكان العالم مجبَرًا لا مُثابًا ولا مُعاقبًا؛ لأنَّ المجبَر لا مثابٌ ولا معاقب، وهذا نفس العجز إذا لم يقدر على إظهار العالم والجاهل، والناقص والفاضل، والشيء وضدِّه، لتكملَ القدرة، وتتمَّ الحكمة، ويتحقَّقَ المعبود، وتظهرَ جميع الحدود، أهل التوفيق والتسديد، وفي ذلك يقول العالم:

ظَهرَ الإلَهُ لخَلقِهِ بالصُّورَةِ الـمَرئِيَّهْ ... عَـدلاً ومَـنًّـا لـيـسَ فـيـهِ خَـفِـيَّـهْ

وله أيضًا في هذا المعنى يقول:

مـا كَـلَّـفَ الـمَـولـى لـكُـلِّ عِـبـادِهِ ... شَـطَـطًـا وأَمـرًا مـا لَـهُ تَـحـصِـيـلُ
بـعِـبـادَةِ الـعَـدَمِ الـبَـعِـيـدِ وُجـودُهُ ... مـا إنْ لـهُـم بـوُجـودِهِ تَـمـثِـيـلُ
بَـل قـد تَـجـلَّـى لـلـعِـبـادِ بـأَسـرِهِـمْ ... وأَتـاهُـمُ الـتَّـحـرِيـمُ والـتَّـحـلِـيـلُ

فمن هذه الجهة وجبَ أن يكونَ للأشياء أصلٌ واحدٌ تؤول إليه، وتعوِّل عليه، وهو المبدع - تعالى وجلَّ عمَّا يقول الملحدون علوًّا كبيرًا - وأدلُّ دليلٍ على إمامة قائم الزمان: أنَّه أتى بضدِّ العالم؛ لأنَّ جميع النُّطقاء والأُسس وأصحاب الأدوار والأنوار أشاروا إلى عدمٍ متوهَّم وأبعدوه عن حواسِّ العالم، وأنَّ قائم الزمان، والهادي إلى طاعةِ الرحمن، عليه من المولى السلام، دعا إلى موجود ظاهر، وإلهٍ في جميع الأمور قادر قاهر،

فكلُّ من دعا إلى الحاكم المعبود إله الموجود، فقد أنصفَ من نفسه، وكلُّ من دعا إلى العدم المتوهَّم، فقد طلبَ الرِّياسة لنفسه، وهذا بيِّن ما فيه على العاقل.

وأيضًا فإنَّ عمارة الكنائس، وإزالة حمل النصارى للصُّلبان وغيرهم على المسلمين في كلِّ مكان - أدلُّ دليل على أنَّ الإسلام قد اضمحلَّ وبَطَل، وأنَّ الحقَّ قد أنارَ واشتعل، والحقُّ هو توحيد مولانا - جلَّ ذكره - الحاكم بذاته، المنفرد عن مُبدَعاته، وكلُّ من سبقَ إليه من جميع الخلق نجا، ومَن تخلَّف عنه عَطِبَ وغَوى، فيا عجبًا كلَّ العجب من قومٍ هم عن السمع معزولون، ومن الحقيقة بتوحيد مولانا كافرون، وعلى أصنامهم وأعدامهم عاكفون!

وفي ذلك يقول العالم:

فَيا عَجَبًا من فِعلِ قَومٍ تَخلَّفُوا ... عَن الحَقِّ لمَّا أصبحَ الحَقُّ قد ظَهَرْ
وأَعجَبُ من هذا وذاكَ عِبادَةٌ ... لمَن غابَ مِن طُولِ الزَّمانِ أوِ استَتَرْ
ولو كانَ فيهِ قُدرَةٌ كانَ ظاهِرًا ... فَيا لكَ مِن أَمرٍ عَجِيبٍ لمُعتَبِرْ
فلمَّا أَتى التَّوحيدُ والقُدرَةُ التي ... بِها عَقلُ كلِّ العالَمينَ قَدِ انبَهَرْ
وصَحَّ بأنَّ الحاكِمَ العَدلَ واحِدٌ ... رؤُوفٌ رَحيمٌ بالخَلِيقَةِ والبَشَرْ
تَخَلَّفَ قومٌ ما لهُم من بَصيرةٍ ... وقَد سَبَقَ القَومُ الذِينَ هُمُ الغُرَرْ
أليسَ عَجِيبٌ في الكَنائسِ والذي ... أعزَّ النَّصارى بعدَ أَمرٍ قَدِ احتَضَرْ
يُنبِّهُ أفكارَ العِبادِ بأَسرِهِم ... بأنْ ليسَ حقًّا غيرُ طاعَةِ مُشتَهِرْ
إلهُ البَرايا جَلَّ عَن كُلِّ مُلحِدٍ ... هُوَ الحاكِمُ المَولى فَخارٌ لمَن فَخَرْ
ففَخري بهِ طُولَ الحَياةِ وإنَّني ... مُطيعٌ لحَدِّ الحقِّ فيهِ ومُنتَظِرْ

ولعمري إنَّه ما تعجَّب إلَّا من عجب؛ من قوم قطعوا المفاوز، ولقُوا

في سفرهم الهَزاهِز، إلى بلدٍ لم يكونوا بالِغيهِ إلَّا بشقِّ الأنفُس، قصدًا إلى حجرٍ أسود وبيت جَلْمَد، ليس فيه حياة ولا نُطق، فأيُّ عجيب أعجبُ من قومٍ هذا فعلُهم؟! ثم إنَّهم أنكروا على هذه الطائفة النُّورانيَّة المضيئة - أعني: أهلَ التوحيد - عبادةَ الواحد المجيد الحاكم على كلِّ الأشياء شهيد، فيا ليتَ شِعري ما نفعَهم من تقبيل الحجر الأسود، وما اكتسابُهم من الفوائد العقليَّة والعلوم الحقيقيَّة الإلهيَّة؟! هل فعلهم إلَّا كفعل النصارى في الصَّليب؟! بل هم أشدُّ عُتُوًّا؛ لأنَّ الصَّليبَ موجود في كلِّ البلاد، والحجر الأسود يسافر إليه أهل الضلال من جميع العباد، وقبلُ وبعدُ فإنَّما عظَّموه إكرامًا - بزعمهم - لنبيِّهم، أليس مَن قام مقام نبيِّهم في كلِّ عصر وزمان أحقَّ بالتفضيل والإكرام والتبجيل؟! أليس هذا في العقول مستحيلًا؟! بأنَّ قومًا طلبوا إلههم طولَ أعمارهم لم يصحَّ لهم منه إلَّا أسماءٌ إذا كُشف عنها لم يوجد لها حقائق إلَّا بوجود صورة حيَّة ناطقة مميِّزة، فلمَّا ظهرَ لهم المعبود، وصحَّ ما أشارت إليه الحدود، أَبَوا واستكبروا، وقالوا: إن هذا إلَّا بشرٌ مثلُنا، وغرَّهم بالمولى الغَرور.

فلمَّا تجلَّى مولانا للعباد، أهل التوفيق والرَّشاد، وعلموا أنَّه قد منَّ عليهم بمعرفته، ولم يُخل شيئًا؛ لأن ما كان لا يُحَدُّ ولا يوصَف ولا يدرَك بشيء من الحواسِّ، فأحرى ألَّا يكون شيئًا.

أليس قد صحَّ عند كلِّ ذي عقل، ومعرفة بالحقيقة وفضل، أنَّ هذه الأشخاص - أعني: عالم السواد الأعظم - لم يتناقصوا ولم يتزايَدوا، بل هي أشخاصٌ معدودةٌ من أوَّل الأدوار، إلى انقضاء العالم والرُّجوع إلى دار القرار؟! والدليل على ذلك أنَّ هذه الحلقة - أعني: العالم العلويَّ والسفليَّ - ليس لها وقتٌ محدود، ولا أمرٌ عند العالم معدود.

أليس لو زادَ العالم في كلِّ ألف سنة شخصًا واحدًا لم يبقَ منهم أحد؟! فصحَّ عند كلِّ ذي عقل راجح، ومَن هو بالحقيقة لنفسه ناصح، أنَّ الأشخاص لم تتناقص ولم تتزايد، بل تظهر بظهورات مختلفات الصُّوَر، على مقدار اكتسابها من خير وشَر؛ لأنَّه قد سبقَ في القول أنَّ الخلق مجتمعون على أنَّ الباريَ قادر، فالقادر أن يُنعمَ في هذا قادرٌ أن يُعاقِبَ فيه.

وأدلُّ دليلٍ أنَّ من وحَّده في وقتنا هذا فقد وحَّده في سائر الأعصار لمَّا دعاهم قائم الزمان، والهادي إلى طاعة الرحمن، عليه من المولى أفضلُ التحيَّة والسلام، فأجابوا إلى ذلك وقَبِلوه.

وغيرهم من الجُهَّال، الطَّغام الأرذال، قد تخلَّفوا عن قائم الزمان، والهادي إلى طاعة الرحمن، عليه من المولى السلام، وقال: إنَّه ادَّعى ما ليس له بحقٍّ، ونفروا من ذلك وأبعدوا، وكفروا واستغنى المولى وهو الغنيُّ الحميد، فالنِّقمة تأتيهم عن قريب، يحُلُّ بهم منها أوفرُ نصيب، إذا تخلَّفوا عن باريهم وإلههم الحاكم المعبود، تعالى وجلَّ عن جميع الحدود، وعن قائم زمانه، الناطق في أيَّامه وأوانه، هادي المستجِيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدَّة جبروته وقدرته.

فاسمعوا معاشرَ الموحِّدين، العابدين لربِّ العالمين، البريئين من الزُّور ومخالطة المشركين، فأنتم الملائكة المقرَّبون، ومنكم الأنبياء والمرسلون، جعلنا المولى وإيَّاكم ممَّن وُفِّق لطاعة الحدود، وعرف معناهم وإشارتهم إلى المعبود، إلهِ البرايا الإلهِ الحاكم الموجود، وطيِّبوا نفوسكم، وارفعوا رؤوسكم؛ فإنَّ المولى معكم وهو وليُّكم، وقائم الزمان إمامكم ودليلكم، فأنتم خيرُ أناس في خير أوان، وأفضل العالم في أفضل زمان، فعليكم بطاعة حدودكم ومعرفة معبودكم؛ تَرشُدُوا وتُوفَّقوا، والمولى على كلِّ شيء

قدير، وهو حسبي ونعم النَّصير في جميع الأمور».

ومن الرِّسالة الموسومة بـ"رسالة السفر، إلى السادة في الدَّعوة لطاعة وليِّ الإمام القائم المنتظَر" : «توكَّلت على المولى الإله الحاكم المنزَّه عن التنزيه، وتوسَّلت إليه بعبده الهادي القائم بحقيقة التوحيد، وتأليه من العبد الناصح بهاء الدِّين، ولسان المؤمنين، وسَنَد الموحِّدين، المعتَني الخاضع لطاعة الهادي القائم مالكِه ومولاه، والجناح الأيسر الحدِّ الرابع الآخر الأصغر كما أمر مَن تفضَّل عليه وهداه.

أمَّا بعد:

فالتوحيد والإعظام، والإجلال والإكبار، والتقديس والتمجيد، والتنزيه والتأليه، والتسليم والإقرار، سُنَّة لطاعة المولى الإله الحاكم، الجبَّار المتعالي عن دقائق مختلَجات الهواجس وخَطَرات الأفكار، المنزَّه في توحيده عن تحديد العقول الجارية بالألفاظ، والمقدَّس في الإشارة إلى جبروته عن اكتناهِ النواظر والألحاظ، الذي جعلَ توحيده للعقول الصافية عن تحديده عجزًا وإقرارًا، وامتحانًا بظاهر نواظر المجانسة من الموجب واختبارًا، وإقامةً للحجَّة على نفوس العوالم بمحض الحقيقة إيجابًا وإعذارًا، فتعالى المولى الذي جعلَ وليَّه الهادي لكشف مخبَّآت الضمائر، والقائم على كلِّ نفسٍ بما كسبت فلن يُعجزه طلب، جلَّت آلاؤه، وتعاظَمت قدرته عن الإدراك، ودبَّر بريَّته بما أوقعهم تحت الطلب فيه، وأحوجَهم دون وليِّه إلى الازدواج والإشراك.

فاستعيذوا - أيُّها الطَّهَرة - بوليِّ الحقِّ من لَواقِح الاستكبار، وتقدَّسوا بالخضوع للمولى الإله الحاكم الجبَّار، قبل جَفاف الأقلام وطَيِّ الصحائف، وظهور لآلئ الأنوار المحرقة على المبطِلين القاعدين عن التوحيد بالصواعق

والرواجف، فتكونوا بعد السَّبق إلى أشرف المنازل، وحاشا أهل الحقِّ بمسبوقين، بعد القيام بحقائق الطَّاعة عن الحق متقاعدين، وما أزيدُ السادة علمًا بتحقُّقهم أنَّهم إلى الهادي المهدي يشيرون، وهم بعد الإحرام ومألوف الشرائع إليه يدعون، ومن عقابه وسخطه يحذِّرون الأُمَم وينذرون.

وأمَّا قائم الحقِّ الهادي المنتظر، سلام الله على ذكره ما دجا ليلٌ وبرقَ صبحُه وأسفَر، فقد قامَ في أشرف المقامات، وأوجبَ الحجَّة على العوالم بظهوره بالبراهين والدَّلالات، ولذلك قيل له: القائم، ودعا الأُمم بعد تعيينه باسم الإمامة إلى توحيد المولى الإله الحاكم، مبدِع المبدَعات، والإله الموجود جبَّار الأرض والسماوات، وأقامَ على الأُمم حججَه وبيِّناته، ونشرَ دعوة التوحيد في الآفاق حدودَه ودعاته؛ لئلَّا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءتهم النُّذُر فما آمنَ منهم سوى الجموع اليسيرة، ثم غابَ - سلام الله على ذِكره - بعد إيجاب الحُجَّة على العوالم في ملكوت باريه، إلى أجل يتمِّمه بمعالم حكمته وينتهيه؛ إثباتًا لحُجَّتِه على العوالم، وتميُّز الطائع المعلوم من المرتدِّ الشاكِّ الظالم، وإقامةً للقسط والحقِّ والعدل في يوم المعاد، والقضاء والفصل بأمرٍ يتَّصل بحَول باريه، ويتمُّ ببركة قائمه وهاديه.

فإلى مَن جلَّ عن الحدِّ والوَهم، وتقدَّس عن الانحصار في العلم بوليِّه المنتظر، إليه أبتهِل، وبالصفوة حدوده التابعين لإرادته ومقصوده أتوسَّل...

والحمد والتقديس للمولى الحاكم المنزَّه جلاله، والوسيلة بعبده المنتظر القائم الهادي الأوَّاه، وهو حسبُ عبده الضعيف المقتني في يوم الفزع عند خَفَقان القلوب وتقلُّص الشِّفاه.

وكُتب في شهر صفر من السنة الثانية والعشرين من سنين قائم الحقِّ وهادي الهُدَاة».

وكُتِب في نهاية النسخة المخطوطة التي أوردنا ما سلف منها: «قال ناسخ تلك الرسائل رضا الزعيم».

وما نقلناه من كتبهم سابقًا هو من الرسائل المسمَّاة بالحكمة، حيث هي من تأليف حدودهم الكبار؛ كحمزة، وإسماعيل، والمقتني، ومَن اتَّخذوه إلهًا وهو الحاكم، ثم أوردَ بعض قصائد تشرح عقائد الدُّروز الضالَّة، ومنها هذه القصيدة وهي من نَظْم أبي رَزين العقيلي من شيوخ البياضة التي هي أقدس مكان عند الدُّروز كائنة في حاصبَيًّا:

يا ذا السَّنا يا كَهْفَنا يا رُوحَنا ... يا حَمزَةُ هَبْنا الرِّضا واشْفَعْ لَنا
أنتَ الوَلِيُّ المُرتَجى بَدرُ الدُّجى ... بابُ النَّجاةِ المُلْتَجا كَنزُ الغِنا
أنتَ الرسولُ المُصطَفَى بَحرُ الصَّفا ... خَيرُ الأَنام بِكَ الوُجودُ بِرَبِّنا
أنتَ الدليلُ الناصِحُ الهادي الوَرى ... أنتَ الصِّراطُ المُستَقِيمُ نَبِيُّنا
عَينُ الزمَانِ القافُ والأَلِفُ ابتِدا ... ثُمَّ انتِهاءٌ رُكنُنا كُلُّ المُنى
سُمِّيتَ عَقلاً كامِلًا مُتَبلِّجًا ... كالشَّمسِ سامي القَدرِ أَطهَرُ مَعدِنا
للخَلقِ مَنصُوبًا إمامًا مُفرَدًا ... عَلَمًا مُبِينًا دُمتَ مَرفوعَ البِنا
سُبحانَ مَن أَبداكَ نُورًا راقِيًا ... أَوجَ العُلا والمَجْدِ محمودَ الثَّنا
ضاءَتْ بِكَ الأَكوانُ والإنعامُ قَد ... حَلَّتْ وزادَ بِها المَسَرَّةُ والهَنا
والخَيرُ فائِضُ وارتَوى مِن مائِكَ الـ ... ـعَذبِ المَعِينِ أَخُو الظَّما مَن أَيقَنا

ثم قال رضا الزعيم: «وهناك قصائدُ أُخَر على هذا المِنوال، يستحثُّون بها يأجوج ومأجوج والحدود الخمس، ويسمُّون هذا الجيش عسكر المقام؛ حيث يظهر الإله على حمار في بلاد الحجاز، ثم يهبُ سيفًا لحمزة وآخر لإسماعيل أبي إبراهيم، ويأمرهما ومَن معهما بقتل مَن على وجهِ الأرض، ثم يملكونها بالطُّول والعرض، بعدها يحاسَب الدُّروز، فمَن كان عاملًا

بمذهبه وشهدَ له الأشياخ نالَ إحسان الحاكم على قدر عمله، ومَن لم يشهد له الأشياخ نالَ العذاب بتغيُّر الثِّياب، وتعليق الحِلَق في أُذنيه من الزجاج أو الحديد أو الرصاص المُذاب، وضُربت عليه الجِزية، وهي بحسَب اختلاف المذاهب والخِزية».

ونقُل هنا بعض فقرات من كتب الدُّروز المعتبرة لديهم، من كتاب مخطوط يحتوي على جملةِ رسائل؛ فقد جاء في الرِّسالة الموسومة بـ"الحقائق" (ص٢١-٢٣): «واعلموا أنَّ الليل - يعنون الشرائع - قد تولَّى وأدبر، والصُّبح عن محضِه قد أضاءَ وأسفَر، فتمسَّكوا بما اقتبستموه من مكنون التوحيد والحكمة، ودُقُّوا بقوَّة اليقين على قَرع بابِ الرحمة، يتجلَّى لعقولكم الباري العلَّام، مبدع العوالم ومولى الأنام، القاهر في الغَيبة والظُّهور، والحاكم على الأزمان والدُّهور، والمجازي لنفوس الخلق في يوم العرض والنُّشور، على يدِ عبده الهادي المذكور، عند قيامه بالحقِّ والصِّدق بالقوَّة الربَّانيَّة العظيمة الإلهيَّة، وقيام الصورة الانبِعاثيَّة الرُّوحانيَّة، التي أشارَ إليها كلُّ مُشِير، وعبدَها كلُّ نذير وبشير، إعلامًا للناس أنَّ لباريهم حقيقةَ الظهور، على رغم كلِّ جاحد كفور، في آخر الأعصار والدُّهور، وكلُّ شريعة من الشرائع الأربعة: البراهمة المتعلِّقين بإبراهيم، واليهود المنسوبين إلى موسى، والنصارى المعروفين بعيسى، وأتباع محمَّد ﷺ ابن أبي كبشة، ومسوخ شريعته يعتقدون أو يقرُّون أنَّ الباريَ - جلَّت قدرته - يتجلَّى في يوم القيامة لبريَّته، ويحاسِب الخلق ويمزِّق السماوات ويبدِّل الأرض بهويَّته، وكلٌّ منهم جاهلٌ بحقيقة هذا المعنى، مائلٌ عن المقصد الأفضل متمسِّكٌ بالأدنى، وحقيقته أنَّ المولى العظيمة قدرته، عند ظهور أمره ومشيئته، يأمر بتمزيق شرائع المتقدِّمين، وهي سماوات الخلائق أجمعين، وتبديل الأرض، وهو ما يبدو لمذاهبهم من الحلِّ والنَّقض، وفيما قالوا: أن تظهرَ أرض

بيضاء وهو الإمام المبدِع الحقُّ، والعقل الصِّدق، الإمام المنتظَر لكشف الميثاق، يوم يُكشف عن ساق، ويكون إلى وليِّ الحقِّ المآبُ والمآبُ المَساق، ذلك يوم البُروز للواحد القهَّار، وظهور مكنون الأنوار، عندها يخسر المبطِلون، ويندم الشاكُّون والمرتدُّون، ويفوز بمقدِّمات التصديق الموقِنون.



أقوال العلماء في الدُّروز

وفي فُتيا مخطوطة (ص٢٢٦-٢٤٠) مع الرسائل التي سبقت الإشارة إليها، نُثبتها بنصِّها؛ إكمالًا للفائدة:

هذه صورة الفتاوى التي أخرجها العلماء الأعلام في حقِّ الدُّروز وأضرابهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهمَّ يا مُلهِم الحقِّ والصواب، نسألك العِصمةَ في السؤال والجواب:

ما قول شيخ الإسلام، عفا عنه الملك العلَّام، في طائفة الدُّروز والتَّيامِنة والنُّصيريَّة؟

أمَّا الدُّروز المعتدون المعتقدون أنَّ الإلهيَّة لا تزال تظهر في شخص بعد شخص، كما ظهرت في عليٍّ وشمعون وفي يوسفَ وفي غيرهم، وإنَّما ظهرت بعد ذلك في الحاكم، وأنَّ كلَّ دَور يظهر فيه إلهٌ، ويقولون: هو الآن ظاهر في مشايخهم الذين يسمُّونهم: العُقَّال.

وأمَّا التَّيامِنة المعتدون المعتقدون حلَّ شرب الخمر والخنزير وغيرهما من المحرَّمات، ويجحدون وجوبَ الصلاة وصوم شهر رمضان والحجِّ، ويسمُّون الصلوات الخمس بأسماءٍ غيرها، ويوالون مَن تركَها، ويجعلون أيَّام شهر رمضان أسماء ثلاثين رجلًا، ولياليَه أسماء ثلاثين امرأة، وهكذا يقولون في سائر الشريعة المطهَّرة، وينكرون قيامَ الساعة، وخروجَ الناس من قبورهم، وأمرَ المعاد، ويقولون بتناسُخ الأرواح وانتقالها إلى أبدان

الحيوانات، ومَن وُلِد في تلك الليلة انتقلت رُوح مَن ماتَ فيها إليه، وإنَّما العالم أرواحٌ تُدفَع وأرضٌ تبلَع.

وهكذا اعتقاد الطائفة النُّصيريَّة.

فهل هؤلاء كفَّارٌ أم لا؟ وهل هم مُلحَقون باليهود والنصارى الذين يحِلُّ أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم، أم هم شرٌّ منهم؟

وهل يجوز أن يُستَخدمَ هؤلاء في حصون المسلمين وثغورهم أم لا؟

وهل يجب إقرارهم في قرى المسلمين على الدِّين أم يجب إلزامهم بشرائع الإسلام وإقامة الصلوات الخمس وغيرها من الفرائض وإعلان الأذان، وغير ذلك من شعائر الإسلام، وتحريم ما حرَّم الله ورسوله، والإيمان بما أمرَ الله به ورسوله؟

ومَن لم يَتُب منهم هل يجوز قتله أم لا؟ وهل يجب على ولاة المسلمين إقامة الحدود الشرعيَّة عليهم ويُؤجَرون على ذلك أم لا؟

أفتونا مأجورين.

الجواب، والله سبحانه أعلم:

الحمد لله الذي نَحلَ قلوبنا أصحَّ النِّحَل، وملأ صدورنا باعتقاد أشرف المِلَل، والصلاة والسلام على نبيِّه محمَّد أكرم الرُّسل، هادي هذه الأمَّة إلى أوضح السُّبل، وعلى آله حُماة الإسلام، وهُداة الأنام، والتابعين لهم بإحسان، في كلِّ زمان ومكان.

وبعد، فإنَّ الذي شاهَدناه وشهِدناه من عقائد طائفتي الدُّروز والتَّيامِنة - لعنهم الله - المكتوبة في كتبهم المنهوبة منهم، وما نُقل إلينا بالتوارث والتواتر المستفيض عنهم، وما ذكرَه العلماء قبلَنا في فتاويهم وفي سائر

الرَّسائل المؤلَّفة فيهم أنَّهم ينتحلون عقائد النُّصيريَّة والإسماعيليَّة، الذين يلقَّبون بالقَرامطة والباطنيَّة، وهم الذين ذكرهم صاحب "المواقف" في الفِرَق الضالَّة، وشَرَح شنيعَ مقالاتِهم التي هي على فَضح كُفرهم دالَّهة

وجميعُ الطوائف المذكورة زنادقةٌ ملاحدة، متقارِبون في الاعتقاد وملَّتهم في الكفر واحدة، وقد صرَّح قاضي القُضاة ابن العزِّ والشيخ برهان الدِّين بن عبد الحقِّ من السادة الحنفيَّة، والشيخ صدر الدِّين الزَّمْلَكاني والشيخ جمال الدِّين والشيخ البَلاطُنُسِي من السادة الشافعيَّة، والشيخ صدر الدِّين الوَكِيل من السادة المالكيَّة، وشيخ الإسلام تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة من السادة الحنابلة، في فتاويهم وغيرهم من أئمَّة المسلمين - رحمة الله عليهم أجمعين - أنَّ كفر هؤلاء ممَّا اتَّفقَ عليه المسلمون، وأنَّ مَن شكَّ في كفرهم فهو كافرٌ مثلُهم، وأنَّهم أكفرُ من اليهود والنصارى؛ لأنَّه لا تحلُّ مناكحتُهم، ولا تؤكَل ذبائحُهم، بخلاف أهل الكتاب، وأنَّهم لا يجوز إقرارهم في ديار الإسلام بجِزيةٍ ولا بغير جزية، ولا في حصون المسلمين.

وجزمَ الشيخ ابن تيميَّة بأنَّهم زنادقة، وأنَّهم أشدُّ كفرًا من المرتدِّين؛ لأنَّهم يعتقدون تناسُخ الأرواح، وحلولَ الإله في عليٍّ والحاكم.

وذكرَ قاضي القُضاة شمس الدِّين ابن خَلِّكان أنَّ الحاكم - لعنه الله - كان يدَّعي الإلهيَّة، ويصرِّح بالحلول والتناسُخ، ويحمل الناس على القول بذلك، وأنَّه ظهرَ في زمانه رجلٌ أعجميٌّ من دُعاته يُقال له: حمزة، ورجل آخر من مولَّدي الأتراك يُعرف بالدُّرزي، فأظهَرَ الدعوة إلى عبادة الحاكم، والقول بأنَّ الإله حلَّ فيه، واجتمعَ عليهما جماعةٌ كثيرة من غُلاة الإسماعيليَّة، فثارَ عليهم عوامُّ مصر فقتلوا أميرَهم، وفرَّقوا جمعَهم.

وذكر الحافظ سبط أبي الفرج ابن الجوزي في كتابه "مرآة الزمان" أنَّ

الدُّرزيَّ المذكور كان من الباطنيَّة مُصِرًّا على ادِّعاء الرُّبوبيَّة للحاكم - لعنهم الله تعالى - وصنَّف له كتابًا ذكرَ فيه أنَّ الإله حلَّ في عليٍّ، وأنَّ رُوحَ عليٍّ انتقلَت إلى أولاده واحدًا بعد واحد، حتى انتقلَت إلى الحاكم؛ وتقدَّم بذلك عند الحاكم، وفوَّض إليه الأمورَ بمصر؛ ليُطيعه الناس في الدَّعوة، وأنَّه أظهرَ الكتاب، فثارَ عليه المسلمون وأرادوا قتلَه، فهربَ منهم واختفى عند الحاكم، فأعطاه مالًا عظيمًا وقالَ له: اخرُج إلى الشام وانشُر الدَّعوة هناك، وفرِّق المال على مَن أجابَ الدعوة، فخرجَ إلى الشام، ونزل بوادي تَيم الله ابن ثعلبة غربيَّ دمشق من أعمال بانياس، فقرأ الكتابَ على أهله، واستمالهم إلى الحاكم وأعطاهم المال، وقرَّرَ في نفوسهم التناسُخ، وأباحَ لهم الخمر والزِّنى، وأخذَ يبيح لهم المحرَّمات إلى أن هلكَ، لعنه الله تعالى. انتهى.

فهذا أصلُ وجود الدُّروز والتَّيامِنة والنُّصيريَّة في هذه البلاد الشاميَّة، والله أعلم.

وقد رأينا في كتبهم الخبيثة من المقالات الشنيعة، والعقائد الكفريَّة، والتصريح بأُلوهيَّة الحاكم، وتأويل الشرائع الإسلاميَّة، والتنقيص لنبيِّنا ﷺ الذي هو خير البرِيَّة، وشاهَدنا فيها من كلمات الكفر والإلحاد ما تقشعرُّ منه الأبدان.

وقال شيخ الإسلام العنابيُّ في رسالته بعد أن نقلَ ما رآه في كتبهم: إنَّ الدُّروز والتَّيامنة والنُّصيريَّة كلَّهم ملاحدة كُفَّار زنادقة فُجَّار، يقولون بتناسُخ الأرواح، ويبطِلون الشرائع، ويقولون في حقِّ نبيِّنا ﷺ مقالاتٍ شنيعة لا نستسيغ ذكرَها، ونقلَ عن "المبسوط" و"الشِّفا" أنَّ من سبَّ النبيَّ أو انتقصَه يُقتَل ولا تُقبَل توبتُه، وكذا ذُكِر في "الفتاوى البَزَّازِيَّة" أنَّ مَن سبَّ الرسول ﷺ أو أحدًا من الأنبياء الكرام - عليهم الصلاة والسلام - يُقتل

حدًّا ولا توبةَ له أصلًا، وعن الإمام أبي منصور أنَّ من الكَفَرَة الذين لا تحلُّ مناكحتُهم، ولا يُقَرُّون في دار الإسلام بالجزية إجماعًا: مَن أسقطَ الفرائض، وتأوَّلَ الشرائع، وقالَ بالتناسُخ، وأنكرَ القيامة.

والحاصل أنَّ الدُّروز والتَّيامِنة في كتبهم ما يشهدُ عليهم بذلك، وأنَّهم لا يقولون بالمَعاد والنُّشور، ولا بأنَّ الله يبعث مَن في القبور.

وقال في "التتار خانيَّة": وفي "فتاوى ابن المؤيِّد" في حقِّ الباطنيَّة والملاحدة عن بعض العلماء: أنَّه لا تُقبل توبتهم؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّ للكلام باطنًا غير المعنى الذي يظهر من لفظه؛ فيحتمل أنَّهم ينطقون بالتوبة ويقصدون بها معنًى آخر.

وقال بعض العلماء: إنَّهم في حكم المرتدِّين، وعلى تقدير قَبول توبتهم يُعرض عليهم الإسلام فإن أسلموا يُلزموا بإقامة شرائع الإسلام من المساجد والأذان والصلاة، والأئمَّة الذين يُقرئونهم القرآن، ويعلِّمونهم شرائع الإسلام، فإن لم يفعلوا يُقتَلوا، ولا يجوز لولاة الأُمور تركهم أبدًا؛ ولا سيَّما إن كان لهم شوكةُ عَدَدٍ أو عُدَد، وإن تحصَّنوا بالحصون التي لديهم، وامتنعوا بقوة الشَّوكة عن أن يُوصَل إليهم، حُوصِرُوا وحُورِبُوا حتى يُقدَرَ عليهم، فينزلوا من صَياصِيهم، ويؤمَر بجزِّ نواصيهم، ويكون قتيلُهم مخلَّدًا في نار جهنَّم، وقتيل محاربهم شهيدًا في جنَّات النعيم، وتكون أموالهم فَيْئًا للمسلمين مقبوضة؛ تُصرف في مصارف بيت المال المعلومة، ومَن أمر بإزالتهم من ولاة الأمور فهو مُثَابٌ مأجور، ومَن قدَّر الله إزالتهم في دولته وتطهيرَ الأرض المقدَّسة منهم في زمنِ وِلايته فله أعظم السعادة وأكمل الأجور؛ لما في ذلك من إعزاز دين الإسلام، والانتصار لنبيِّنا عليه أفضل الصلاة والسلام. اهـ.

هذا ما أجاب به العلَّامة المرحوم شيخ الإسلام عبد الرحمن أفندي العِمادي، المفتي بدمشق الشام سابقًا، رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنِّه وكرمه وعنَّا، آمين.

وأجاب ولده بقوله: الجواب: ما به المرحوم الوالد شيخ الإسلام أجاب.

كتبه: الفقير شهاب الدِّين بن عبد الرحمن العِمادي، عفا الله عنه.
وختمَ تحتَه بختمه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أعزَّ أهلَ الملَّة الحنيفيَّة، وأوجبَ على كلِّ أحدٍ سلوكَ الطريقة المحمديَّة، واتِّباع المناهج السنيَّة الشرعيَّة، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد الآمرِ بالجهاد، في أهل الطُّغيان والفساد، وقمعِ أهل الكفر والبَغي والعِناد، وعلى آله وصحبه ذوي الهِمَم العوالي والسَّداد.

هذا، ومن أهمِّ المهمَّات الدِّينيَّة، وأجلِّ الطاعات البدنيَّة، قتالُ الفِرَق الضالَّة الكافرة، وجهاد أهل المِلَل الطاغية الخاسرة، وإنَّ من أقبح الطوائف الفاجرة: الطائفة الموسومة بالدُّروز؛ فإنَّ كفرهم لا يُشَكُّ فيه، بل كفرُ مَن لم يقُل بكفرهم بعد ظهور ما يعتقدونه كما هو مسطورٌ في السؤال وغيره، كما هو المتواترُ من أخبارهم، والموجودُ في صرائح كتبهم، التي مَن رآها لا يتوقَّف في تكفيرهم؛ فإنَّ فيما رأيناه منها في الزمن الماضي أنواعًا من الكفر شَنيعَة، ورأينا فيها تقليبًا للآيات الشريفة المَنيعَة، وتغييرَ أكثريَّتها بحيث يظهر فيها على تلك الحالة معارضةٌ أو مناقضة، ويرتِّبون على ذلك الطعنَ في كلام ربِّ العالمين، وتكذيبَ الصادق المصدَّق سيِّد الأوَّلين والآخرين، ويقولون: أيصدُر هذا الكلام من معصوم؟! قاتلهم الله فإنَّهم شرُّ

الخُصوم، والجهاد فيهم فرضُ كفايةٍ محتوم، ولا شكَّ أنَّ مَن كان مُتَلَبِّسًا بهذه العقائد الشنيعة، ويتجرَّأ على هاتيكَ الفِعال الفظيعة، كافرٌ عند علماء الشريعة، ولا يُقَرُّ في بلاد الإسلام، حتى يتبرَّأ من كلِّ ما خالفَ الدِّين القويم، والله بكلِّ شيء عليم.

هذا، وما أجابَ به أستاذنا المرحوم الشيخ العِماديُّ فيه غُنيَةٌ وكفاية، وقد وافقَه عليه نجلُه الشِّهاب دامت له العِناية، وما ذكرَه فيمَن ليس لهم ضررٌ على أحدٍ من الرَّعايا، فمن بابِ أولى مَن يقطع الطُّرق ويهجُم على القرى ويتجرَّأ على الدِّماء والأموال، فكيف لا يجبُ دفعُه ومنعُه وردعُه على القادرين بالحال والقال؟!

والله الهادي، وهو حسبي وعليه اعتمادي.

كتبه: عبد القادر بن مصطفى الصَّفُّوري الشافعي، حامدًا ومصلِّيًا ومسلِّمًا.

كذا بخطِّه مختومًا بختمه.

الحمد لله، قد أفاد شيخنا الصَّفُّوري وأجاد، وأتى بما هو المقصود والمراد، وبقوله أقول، والله المأمول، في إيجاز شريعة الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام، ما دارت دار السلام.

وحرَّره الفقير: نصري الحسيني البكري الشافعي الأشعري، كان الله له. اهـ.

وختمَ تحتَه بختمه.

وأجابَ العلَّامة الشيخ تقيُّ الدِّين شيخ الإسلام ابن تيميَّة - من السادة الحنابلة - تحتَ نظير هذا السؤال لمَّا رُفعَ إليه بقوله:

كُفْر هؤلاء ممَّا لا يختلف فيه المسلمون، بل مَن شكَّ في كُفرهم فهو

كافرٌ مثلُهم، هم بمنزلة أهل الكتاب والمشركين، بل الكَفَرة الضالِّين؛ فيُباح أكل طعامهم وسبيُ نسائهم وأخذُ أموالهم؛ فإنَّهم زنادقة مرتدُّون، ولا تُقبَل توبتهم؛ بل يُقتلون أينما ثُقِفوا، ويُلعنون كما وُصِفوا، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحِفاظ، ويجب قتل علمائهم وصُلحائهم؛ لئلَّا يُضِلُّوا غيرَهم، ويَحرُم النوم معهم في بيوتهم، ورُفقَتُهم والمشيُ معهم، وتشييعُ جنائزهم إذا عُلِم موتُها، ويحرم على ولاة الأمور المسلمين إضاعةُ ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأيِّ شيء يراه المقيم لا المقام عليه، والله المستعان، وعليه التُّكلان.

وكذلك يقول الشيخ بدر الدِّين الغَزِّي العامري الشافعي.

الحمد لله الوهَّاب، ما أجابَ به سيِّدنا حضرة الشيخ أحمد ابن تيميَّة نُجِيب به.

كتبه: الفقير حمزة الحنبلي، عُفِيَ عنه.

وختمَ تحتَه بختمه.

وكذلك أجابَ الفقير الشيخ شهاب الدِّين القَزويني الشافعي.

وكذلك يقول الفقير محمَّد بن قاضي عَجْلون الشافعي.

وكذلك يقول الفقير الشيخ بهاء الدِّين بن عبد الحقِّ الحنفي.

وكذلك أجابَ الفقير محمَّد بن محمَّد القرموني.

وكذلك أجابَ الفقير شهاب الدِّين بن حَجَر العَسْقَلاني الشافعي.

وكذلك يقول تقيُّ الدِّين بن مكيٍّ القاري الشافعي.

وكذلك يقول الفقير قطب الدِّين محمَّد بن سلطان الحنفي.

وكذلك يقول تقيُّ الدِّين بن نجم الدِّين الحنفي.

فالحمد لله وكفى.

كتب الجواب بتمامه: الشيخ عبد القادر الصفوري الشافعي عُفِي عنه.

وختمَ تحتَه بختمه.

وهناك أجوبةٌ سديدة، ولما أفادَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة بالإطالة فيها أدرجناها في ضمن كتاب آخر؛ خوفَ الضَّياع، وترغيبًا لقارئه، وتنزيهًا لمَن رامَ التَّفَكُّه وزيادةَ الاطِّلاع، والحمد لله على التَّمام، في البدء وفي الختام.

كتبه: الفقير المفتي المشهور بالزعيم، في **١٧** رمضان سنة **١٣١٤** هجريَّة.



حقيقة الدُّروز (١)

دعاني لكتابة هذا البحث تصريحٌ وردَ لفضيلة شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمود شلتوت على لسان سكرتير تحرير "جريدة السِّياسة اللُّبنانيَّة" أسعد المقدم، وقد نُشر بالعدد (٨١٠) وتاريخ **٢٦** المحرَّم **١٣٧٩**هـ/ **١** آب **١٩٥٩**م، من "جريدة السِّياسة اللُّبنانيَّة".

بعد أن تحدَّثَ فضيلة شيخ الأزهر عن اقتراح تقدَّمَ به لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر بإنشاء مَجمَع علميٍّ أكاديميٍّ يضمُّ جميع علماء الشِّيعة والسنَّة؛ يلتقون فيه لتحقيق الوَحدة المنشودة - كما يرى فضيلته - سألَه أسعد المقدم قائلًا: هل ستدعون علماءَ الدُّروز إلى المجمَع الذي ذكرتموه؟ وهل تشمل دعوتكم إلى الوَحدة بين المسلمين إخوانَنا أبناءَ الطائفة الدُّرزيَّة؟

أجاب: «لقد أرسلنا من الأزهر بعض العلماء؛ كي يتعرَّفوا أكثر على المذهب الدُّرزي، وجاءت التقارير الأُولى تبشِّر بالخير؛ فالدُّروز موحِّدون مسلمون مؤمنون، والذي نرجوه من إخواننا علماء الدُّروز أن يشاركونا الرأيَ ويعرِّفونا على المذهب الدُّرزي بوضوح، على أنَّها جريمة أن تعيشَ المذاهب الإسلاميَّة في عُزلة عن بعضها... عُزلة كانت دائمًا سببًا للفُرقة والعصبيَّات».

إلى هنا ينتهي ما أردنا نقلَه من تصريحات فضيلته، ولا شكَّ أنَّ المذهبَ الدُّرزيَّ يحيطُ به كثيرٌ من الغموض، وطالما تمنَّى طلَّاب الحقيقة أن يعرفوا هذا المذهبَ على حقيقته؛ ليستطيعوا الحكمَ عليه حكمًا سليمًا.

وقد كانت فرصةً طيِّبةً أن نحاولَ التعرُّفَ على هذا المذهب الذي يفضِّل الاختفاء على الظهور، وأن ننقُلَ بعض آراء العلماء في الدُّروز ومذهبهم؛

لنرى إلى أيِّ مدًى نتَّفق مع رأي شيخ الأزهر السالف، وعلى ضَوء ذلك يمكن المناقشة الهادئة التي يُراد منها أوَّلًا وأخيرًا (الحقُّ)، دونَ نظر لاعتبارات سياسيَّة أو مقاصد أخرى، والحقُّ أحقُّ أن يتَّبع، والله الموفِّق والمعين.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

١- جاء في "دائرة معارف القرن الرابع عشر" للأستاذ محمَّد فريد وجدي في (٤/ ٢٦-٢٨) ما يلي:

«**الدُّرزي**: أحد الدُّروز؛ وهم فرقةٌ من الباطنيَّة لهم عقائد سرِّيَّة، وهم متفرِّقون بين جبال لبنان وحَوران والجبل الأعلى من أعمال حَلَب، لم يُكتَب عن الدُّروز شيءٌ يصحُّ الاعتماد عليه، ولا هم من الطوائف العاملة على بثِّ عقائدها؛ حتى يجدَ الباحث ما يعتمد عليه من مذهبها، فليس أمامَنا إلَّا مصادر أجنبيَّة عنهم، وربَّما لا تخلو تلك المصادر من شيء من التحامُل أو الخطأ؛ فلذلك نحن ننقُل شيئًا من مذهبهم مع التحفُّظ:

ظهر مذهب الدُّروز في مصر في القرن الحادي عشر الميلادي على عهد الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي... ظهر به رجل اسمه: محمَّد بن إسماعيل الدُّرزي، قَدِمَ مصر من بلاد فارس، فوافقَ الحاكم في دعواه الألوهيَّة، ودعا الناس للإيمان به، وأضافَ إلى هذا الدِّين طائفةً من العقائد القديمة وعقائد غُلاة الشِّيعة، فلم تُصادف هذه الدعوة قَبولًا في مصر، ففرَّ صاحبها إلى الشام، فوجدَ هناك آذانًا مُصغِية.

ولكنَّ الدُّروز يلعنون هذا الرجل ولا يحترمونه، وينتسبون إلى حمزةَ بن عليٍّ العجمي الملقَّب بالهادي، وكان من خاصَّة الحاكم بأمر الله.

ظلَّت معتقدات الدُّروز في طيِّ الخفاء حتى استولى إبراهيم باشا بن

محمَّد علي على معابدهم في جبل حاصبَيًّا، ووجد في كتبهم كُنْهَ مذهبهم مفصَّلًا... من كلمة الشهادة عندهم: «ليس في السماء إلهٌ موجود، ولا على الأرض ربٌّ معبود إلَّا الحاكم بأمره».

من معتقداتهم أنَّ الحاكم بأمر الله هو الله نفسه، وقد ظهرَ على الأرض عشر مرات: أُولاها في العالي، ثم في الباري، إلى أن ظهرَ عاشرَ مرَّة في الحاكم بأمر الله، وأنَّ الحاكم لم يَمُت؛ بل اختفى حتى إذا خرجَ يأجوج ومأجوج - ويسمُّونهم: القوم الكرام - تجلَّى الحاكم على الرُّكن اليماني من البيت بمكة، ودفعَ إلى حمزة سيفَه المذهَّب، فقتلَ به إبليس والشيطان، ثم يهدمون الكعبة، ويفتكون بالنصارى والمسلمين، ويملكون الأرض كلَّها إلى الأبد.

ويعتقدون أنَّ إبليس ظهرَ في جسم آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمَّد، وأنَّ الشيطان ظهرَ في جسم ابن آدم، ثم في جسم سام، ثم في إسماعيل، ثم يسوع، ثم في شمعون الصفا، ثم في عليِّ ابن أبي طالب، ثم في قدَّاح صاحب الدَّعوة القِرمطيَّة، ويعتقدون بأنَّ عددَ الأرواح محدود، فالرُّوح التي تخرج من جسد الميِّت تعود إلى الدُّنيا في جسد طفل جديد، وهم يسبُّون جميع الأنبياء، ويقولون: إنَّ الفحشاء والمنكر هما أبو بكر وعمر - قبَّحهم الله! - ويقولون: إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المَائدة: ٩٠]، يُراد به الأئمَّة الأربعة، وأنَّهم من عمل محمَّد، ويعتقدون بالإنجيل والقرآن فيختارون منهما ما يستطيعون تأويله، ويتركون ما عداه.

ويقولون: إنَّ القرآن أُوحِي إلى سلمان الفارسيِّ فأخذَه محمَّد ونسبَه لنفسه، ويسمُّونه في كتبهم: المسطور المبين، ويعتقدون أنَّ الحاكم بأمر الله

تجلَّى لهم في أوَّل سنة ٤٠٨هـ فأسقطَ عنهم التكاليف من صلاة وصيام وزكاة وحجٍّ وجهاد وولاية وشهادة...

لدى الدُّروز طبقةٌ تعرف بالمنزَّهين، وهم عبَّادٌ أهلُ ورعٍ وزهد، ومنهم مَن لا يتزوَّج، ومَن يصوم الدَّهر، ومَن لا يذوق اللحم ولا يشرب الخمر، وهذا ما استطعنا الوقوفَ عليه مما يُنسب إليهم، والله أعلم.

٢- ورد في "دائرة المعارف الإسلاميَّة" **(٩/ ١٩٣)**: «**درزي**: هو منشئ عقيدة الدُّروز، وهو الذي نُسِبت إليه هذه الفِرقة وإن لم يكن أهمَّ منشئيها، والظاهر أنَّ حمزة هو أهمُّ هؤلاء، وقد كتب عن درزي عِدَّة مؤرِّخين مسلمين ونصارى كما أُشير إليه في كتب الدُّروز، وممَّا يدعو للأسف أنَّ هذه المصادر المختلفة لا تتَّفق فيما بينها، ومن المحقَّق فيما يبدو أنَّ درزي بدأ حياته داعيًا باطنيًّا، ويقول المؤرِّخان النصرانيَّان يوحنا الأنطاكي والمكين - وأوَّلهما من معاصري درزي -: إنَّ اسم المترجَم هو محمَّد بن إسماعيل، وإنَّه كان فارسيَّ الأصل».



حقيقة الدُّروز (٢)

هذه هي الحلقة الثانية من البحث عن حقيقة الدُّروز، وقد نُشرت الحلقة الأولى منه بـ"مجلَّة المنهل" ربيع ثاني سنة **١٣٧٩**هـ، وكان السببَ لكتابة هذا البحث كلامٌ لفضيلة الشيخ محمود شلتوت نقلته عنه "جريدة السِّياسة اللُّبنانيَّة"؛ قال فيه عن الدُّروز: إنَّهم «مسلمون مؤمنون موحِّدون»، وقد أردتُّ نقل بعض ما قالَه العلماء في الدُّروز، ثم مناقشة رأي شيخ الأزهر، ونحن نتوخَّى من ذلك الوصولَ إلى الحقِّ وإزاحةَ الشكوك.

يقول الأستاذ سليم أبو إسماعيل في كتابه "الدُّروز؛ وجودهم ومذهبهم وتوطُّنهم" - وهو على ما يبدو من المعجبين بهذه الطائفة - (ص٤١): «الدُّروز طائفة من متنصِّرة العرب تقبَّلت الإسلام دينًا، واتَّخذت الفاطميَّة الإسماعيليَّة السَّبعيَّة مذهبًا شيعيًّا؛ نسبةً إلى الإمام السابع إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمَّد الباقر بن عليٍّ زين العابدين بن الإمام الحسين، أخي الإمام الحسن ابن الإمام عليِّ بن أبي طالب من زوجته فاطمة الزهراء.

وهم من عرب سوريا والعراق، وُجِدوا فيهما منذ فجر التاريخ، ولبثوا قائمين على الدَّهر بمن اندمج فيهم وانضمَّ إليهم من عرب اليمن والحجاز الذين قَدِموا هذه البلاد واستوطنوها، فامتزجت دماؤهم قبل النصرانيَّة والإسلام، وقبل بعث موسى وعيسى ومحمَّد الذين اعتنقوا دياناتهم على التعاقُب.

وتقطُن أكثريَّتهم اليوم قِمَم لبنان وسفوحه في قضاء الشُّوف والمَتْن، اللَّذين كانا معًا يُعرَفان قديمًا مع ما في شَماليِّهما باسم: كِسِروان، وعاصمتهم فيه آنذاك: بَسكِنتا، ومن مواطنهم: بِكفَيَّا؛ بلدة الدُّروز القديمة،

ودَير القمر والبَترون حيث كانوا فيها غالبيَّةً حتى أوائل القرن الثامن عشر المسيحي، وقرى دَير الشرفة في كِسِروان، وأقضية: راشَيَّا وحاصبَيَّا البِقاع، والبُلدان التي كانت تعرف باسم: وادي التَّيم، وبقاع كلب المعروف بأرام صوبا وسوريا المجوفة.

ويقيم قسم منهم في أراضي القُنَيطرة ووادي العَجَم وغُوطَة دمشق، وحيث كان يُعرَف بعض هذه الأراضي باسم الجَولان والحيدور.

ويقيم قسمٌ منهم في جبال حَوران المعروف اليوم بجبل الدُّروز، الذي سمَّاه السوريُّون واللبنانيُّون بعد ثورة **١٩٢٥** و**١٩٢٦**م التي قادها أبطال ذلك الجبل ضد المستعمر بـ: جبل العرب، حيث كان أسلافهم من بني هلال بن عامر بن صَعْصَعَة الذين عُرف الجبل باسمهم: جبل بني هلال، وكانوا يدينون منذ فجر الدَّعوة الفاطميَّة بهذا المذهب الذي يدين به الدُّروز.

وتشمل هذه المنطقة بلادَ صَلخَد التي بنى فيها حسَّان بن مِسمار الكلبيُّ القُضاعيُّ قلعتَها الشهيرة سنة **٤٦٦** هجريَّة، وكتب على بابها: «أمرَ بعمارة هذا الحصنِ المبارك الأمير الأجلُّ مقدَّم العرب، عزُّ الدِّين فخر الدَّولة، عدَّة أمير المؤمنين المستنصر بالله الفاطمي».

وتشمل أراضي البثنية مركز الدعوة الفاطميَّة زمن الإمام الحاكم بأمر الله - البلاد التي كان يُطلَق عليها قديمًا اسم: أورانتيس، وقبلها: باشان، كما يقطُن قسمٌ منهم اليوم في جبل السماق من أعمال ولاية حلَب في قضاء حارِم، حيث أنشأ الإسماعيليُّون - وهم منهم - أوَّلَ دولة عُرِفَت باسمهم، وذلك في كُورة قِنَّسرين ومعرَّة مَصْرِين ومعرَّة إخوان وسيرمين.

ومن قُرى هذه البُلدان: بنابل، وقلب لوزة، وبشندلاية، وحدعين، وعبريتا، وككو، وحلة، وكفر بالس، وتل فيتا.

وجميع سكَّان هذه القرى من الدُّروز، ومنهم جماعةٌ يسكنون مع المسلمين السُّنيِّين في كَفر كيلة ودير بلونة، ويعرف هذا الجبل باسم: الجبل الأعلى، وفيه وفي توابعه نحو خمسين قريةً أكثر سكَّانها دروز، تناقَص عددُهم عمَّا كان كثيرًا؛ لأنَّ عائلاتٍ عديدةً منهم رحلت إلى جبل لبنان من جرَّاء الاضطهادات المتوالية.

ومن قُرَاه أيضًا: كفتين وهي سهلٌ إلى الغرب من موقع قِنَّسرين، وسهل كفتين خِصبٌ فيه كثيرٌ من شجر الزيتون يمتدُّ جنوبًا إلى قُرب حَماة.

وإلى جنوب كفتين على نحو ستة أميال: معرَّة مَصْرِين؛ سكَّانها حوالي ثلاثة آلاف، كان لها قديمًا سور.

وفي الطَّريق الجنوبيَّة من قرية بشندلاية اختبأ المشايخ - بنو جنبلاط وبنو نكد - بعد موقعة حَماة بين إبراهيم باشا المصري صاحب مصر والجنود العثمانيَّة سنة ١٨٣٠.

وإلى الجنوب الغربي على بعد ثمانية عشر ميلًا: إدلِب، التي يقع في طرفها جِسرُ الشَّغور على سيف البادية المعروفة بالسَّماوَة على حدود العراق، وتُعرَف ببادية كلب؛ نسبةً إلى بني كلب القُضَاعيِّين قبيلة الأمير رافع ابن أبي الليل بطل الدُّروز في فجر القرن الخامس الهجري في حروبهم الشهيرة المعروفة بمحنة حلب.

وهناك يقعُ جِسر الشَّغور الذي تقول العرب فيه: «إذا أوردتَّ شَغورًا فقد أعرَقت»، كما تقول: «مَن رأى حَضَنًا فقد أنجَد»، وفي قضاء أنطاكية مركز الدعوة بعد غَيبة الحاكم بأمر الله بعضُ قرًى يُقال: إنَّ سكَّانها يتمذهبون بالفاطميَّة إحداها تعرف باسم: جندالي، يطلق عليها في التركية تخفيفًا اسم: جادلية، فيها أربعمئة بيت من الدُّروز.

وفي بلاد صَفَد وساحل عَكَّا وجبل الكَرْمَل وشفا عمرو وطَبَرِيَّة من أراضي فِلسطين، وفي أراضي الجَليل وفي عَكَّا والناصرة نفسِها كان يُقيم في القرن الخامسَ عشرَ عددٌ ليس بقليلٍ منهم.

ويقيم اليوم في بيروت بعد أن كادَت تخلو منهم فيما مضى رهطٌ غير قليل».

وفي (ص٩٥): «سبق وذكرنا أنَّ الشِّيعة الجَعفريَّة انقسمت بعد موت الإمام الأكبر جعفر الصادق إلى أقسام؛ أهمُّها: الموسويَّة والإسماعيليَّة موضوع البحث، ويأخذ الدُّروز بإمامة إسماعيل بن جعفر التي اقتضَت الكلمة جَريان سرِّ الحقيقة في عَقِبه».

وفي (ص٩٨): «وكان الإمام محمَّد بن إسماعيل سابع الأئمَّة والناطق السابع، وأوَّل الأئمَّة المستورين الذين انتهى سَترهم بإعلان عبد الله المهديِّ القدَّاحي المعروف بسعيد الخير إمامة القائم بالله محمَّد بن عليِّ بن الحسين ابن أحمد ابن محمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الذي يعودُ بنسبه إلى الرسول.

ويعتبر الإسماعيليُّون والدُّروز من صميمهم الإمامَ محمَّد ابن إسماعيل الناطِق السابع، وأنَّ إمامته بدايةُ دَورٍ جديد، حتى لقد فضَّله الإسماعيليُّون على أبيه خاتمة الأئمَّة، فالإمام محمَّد بن إسماعيل جمَع بين درجتَي النُّطق والإمامة، وكان آخرَ الدَّور الأوَّل وأوَّلَ أئمَّة السِّتر، ورفعَ التكاليف الظاهريَّة للشريعة؛ لمناداته بالتأويل، وجُنوحِه إلى المعنى الباطن، وغضِّه من شأن المعنى الظاهر».

وفي الكتاب المذكور أيضًا (ص١٠٤، ١٠٥): «وفي زمن الإمام المستَنصِر بالله الفاطميِّ عُرِف الدُّروز باسمهم هذا نسبةً إلى قائده الأمير

أنوشتكين؛ ففي زمنه قَدِمَ الأمير عضُد الدَّولة أبو منصور زنجويه الدُّرزي، ربيبُ الحاكم وسجين الظاهر، وقائد جيش المستنصر، الملقَّب بأنوشتكين الدُّرزيِّ - قائدًا وواليًا على الشام، وجمَع الأولياء تحتَ قيادته فنُسِبوا إليه كما نُسبت الجيوش الإخشيديَّة إلى الإخشيد، والكافوريَّة إلى كافور.

وانتشبت المعركة مع بني مِرداس الذين قَدِموا من حلب محاربين إلى رَمْلَةِ فلسطين، وعلى الأُقْحُوانة فتَكوا بصالح بن مِرداس وكُتِب لهم الظَّفَر.

حتى إذا كانت سنة **٤٣٠**هـ توفِّي الأمير أنوشتكين في حلب، ووقفت الدَّعوة الفاطميَّة عن الانتشار في الشام، وغلبَ على أهل التوحيد اسم الدُّروز».

ومن الكتاب المذكور تحت عنوان (التعاقب الدوري ودين التوحيد) قال: «ولمَّا كان نور الله هو الذي أسبغَ على كلٍّ من النُّطقاء الذين سبقَ ظهورُهم نزولَ القرآن، وكان نور الله هو الذي أنطقَ بالحقِّ كلًّا من آدم ونوح وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمَّد، فكان كلٌّ منهم ذلك النور - اعتبر الإسماعيليُّون والدُّروز منهم كلَّ نبيٍّ ذاتًا للآخر، واعتبروا نور الله - لا الله الذي يجِلُّ عن الصِّفات - صفة، وعلى هذا كان ما صدر عنهم بما يعدُّه الناس أديانًا متفرِّقة دينًا واحدًا.

هذا ما نحا إليه الذين تفرَّعوا عن الإسماعيليَّة الأُولى، وكان منهم بعضُ القَرامِطَة الذين أُطلق على الموالين منهم لبني فاطمة اسم: العقدانيِّين؛ ولهذا أُطلق عليهم اسمُ: الموحِّدين؛ إذ قالوا بهذه الوَحدة في الدِّين.

وقد كَثُرت كلمة التوحيد والموحِّدين في رسائل الدُّروز الدِّينية؛ فإنَّك تكاد لا تقرأ في رسائلهم نداء لهم إلَّا وسُبق باسم: معشر الموحِّدين، وقد عرفوا هذا أو عرفَه الناس عنهم، وعلى هذا الاعتبار يكون دينُهم دينَ

التوحيد الذي يوحِّد سائر الأديان ويقرِّبها بعضها إلى البعض الآخر، ويصبغها ويسبكها وَحدةً تامَّة».

وقد نقلنا ما تقدَّم من كتاب "الدُّروز؛ وجودهم ومذهبهم وتوطُّنهم".

وقد وردت فيه حقائقُ عن المذهب الدُّرزي، يتَّضح من مذهبهم أنَّهم باطنيَّة قرامطة، وسنذكر فيما بعد شيئًا عن هاتَين الطائفتين - الباطنيَّة والقرامطة - على أنَّه قد وردت بعض عبارات لا نُوافق المؤلِّف عليها، ولكنَّها تتَّضح للقارئ ولا نحسبها في حاجةٍ إلى إطالة نقاش.



قتال شيخ الإسلام ابن تيميَّة للدُّروز

وقال الحافظ ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٩هـ: «وفي يوم العشرين من شوَّال رَكِبَ نائب السَّلطنة جمال الدِّين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجَرَدِ وكِسِروان، وخرجَ الشيخ تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة ومعه خلقٌ كثير من المتطوِّعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية؛ بسبب فساد دِينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكرَ لمَّا كسرهم التَّتَر وهربوا؛ حينَ اجتازوا ببلادهم وَثَبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا خلقًا كثيرًا منهم.

فلمَّا وصلوا إلى بلادهم جاءَ رؤساؤهم إلى الشيخ تقيِّ الدِّين ابن تيميَّة، فاستتابَهم وبيَّنَ للكثير منهم الصواب، وحصلَ بذلك خيرٌ كثيرٌ وانتصارٌ كبيرٌ على أولئك المفسدين، والتزموا بردِّ ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرَّرَ عليهم أموالًا كثيرةً يحملونها إلى بيت المال، وأُقطعت أراضيهم وضِياعُهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجُند، ولا يلتزمون أحكام المِلَّة، ولا يدينون دينَ الحق، ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله».

ويروي المَقْرِيزيُّ في كتابه "السُّلوك، لمعرفة دُول الملوك" فيقول: «وفي عشرين شوَّال توجَّه الأمير آقوش الأفرم من دمشق لغزو الدُّرزيَّة أهل جبل كِسِروان؛ فإنَّ ضررهم اشتدَّ، ونال العسكر عند انهزامها من غازان إلى مصر منهم شدائد، ولقيَه نائب صَفَد بعسكره، ونائب حَماة ونائب حِمص ونائب طَرابُلُس بعساكرهم، فاستعدُّوا لقتالهم، وامتنعوا بجبلهم وهو صعبُ المرتقى، وصاروا في نحو اثني عشر ألف رام، فزحفَت العساكر السُّلطانيَّة عليهم فلم تُطقهم، وجُرح كثير منهم، فافترقَت العساكر عليهم من عِدَّة جهات، وقاتلوهم

ستَّة أيَّام قتالًا شديدًا إلى الغاية، فلم يثبُت أهل الجبال وانهزموا.

وصعِدَ العسكر الجبل بعدما قتلَ منهم وأسرَ خلقًا كثيرًا، ووُضعَ السَّيفُ فيهم فألقَوا السِّلاح ونادَوا: «الأمان!»، فكفُّوا عن قتالهم واستدعَوا مشايخهم، وألزموهم بإحضار جميع ما أُخِذَ من العسكر وقتَ الهزيمة، فأحضروا من السِّلاح والقُماش شيئًا كثيرًا، وحلفوا أنَّهم لم يُخفوا شيئًا، فقرَّر عليهم الأمير آقوش الأفرم مبلغ مئة ألف درهم جَبَوْها، وأخذَ عِدَّة من مشايخهم وأكابرهم، وعادَ إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذي القَعدة، وبعثَ البريد بالخبر إلى السُّلطان».

ويقول ابن كثير في حوادث سنة ٧٠٤هـ: «وفي مستهلِّ ذي الحِجَّة ركبَ الشيخ تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة ومعه جماعةٌ من أصحابه إلى جبل الجَرَدِ والكسروانيِّين، ومعه نقيب الأشراف زين الدِّين بن عدنان؛ فاستتابوا خلقًا منهم، وألزموهم بشرائع الإسلام، ورجعَ مؤيَّدًا منصورًا».

ويقول المَقريزيُّ في كتابه السالف الذِّكر، في حوادث سنة ٧٠٤هـ: «وفيها توجَّه شيخُ الإسلام تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة في ذي الحِجَّة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصوري إلى أهل جبل كِسِروان يدعوهم إلى الطاعة، فلم يُجيبوا، فجُمعت العساكر لقتالهم».

وفي حوادث سنة ٧٠٥هـ يقول ابن كثير: «وفي ثاني المحرَّم خرجَ نائبُ السَّلطنة بمن بقيَ من الجيوش الشاميَّة، وقد كان تقدَّم بين يديه طائفةٌ من الجيش مع ابن تيميَّة في ثاني المحرَّم، فساروا إلى بلاد الجَرَدِ والرَّفض والتَّيامِنة، فخرج نائب السَّلطنة الأفرم بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوهم، فنصرَهم الله عليهم وأبادوا خلقًا كثيرًا منهم ومن فرقتهم الضالَّة، ووَطِئوا أراضيَ كثيرةً من صنع بلادهم، وعادَ نائب السَّلطنة إلى دمشق في صحبته

الشيخ ابن تيميَّة والجيش، وقد حصلَ بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خيرٌ كثير، وأبانَ الشيخ علمًا وشجاعةً في هذه الغزوة، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسدًا له وغمًّا».

ورواية المقريزي في ثاني المحرم: «سارَ الأمير جمال الدِّين آقوش الأفرم نائب الشام من دمشق في عساكرها لقتال أهل جبال كِسِروان، ونادى بالمدينة: من تأخَّر من الأجناد والرِّجال شُنِق، فاجتمعَ له نحو الخمسين ألف رجل، وزحفَ بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال، ونازلهم وخرَّب ضياعَهم، وقطعَ كُرومهم ومزَّقهم بعدما قاتلَهم أحدَ عشرَ يومًا، قُتل فيها الملك الأوحد شادي ابن الملك الزاهر داود وأربعةٌ من الجند، وفتحَ تلك الجبال عَنوة، ووضعَ فيهم السيف، وأسرَ ستَّمئة رجل، وغنِمَت العساكر منهم مالًا عظيمًا، وعادَ إلى دمشق في رابع صفر».

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بَطين رحمه الله: «وصرَّح غير واحد بتحريم ذبائح الزنادقة والدُّروز والتَّيامنة ونحوهم؛ لأنَّ هؤلاء كفَّارٌ بلا خلاف».

وفي "مختصر الفتاوى المصريَّة" (ص**٥١٣**) ما يأتي: «فإنَّ القاهرة قد ملكَها العُبيديُّون الذين اتَّفق المسلمون على أنَّهم خارجون عن الشريعة، وأنَّهم كانوا إسماعيليَّةً كما قال الغَزالي: «ظاهرُ مذهبهم الرَّفْض، وباطنُه الكُفر المَحْض»، واتَّفقوا على أنَّ قتلهم كان جائزًا».

وفي "كشاف القِناع" في الفقه الحنبلي: «ولا تُباح ذكاة مرتدٍّ وإن كانت ردَّته إلى دينِ أهل الكتاب، ولا مجوسيٍّ ولا وَثنيٍّ ولا زِنْدِيق، وكذا الدُّروز والتَّيامنة والنُّصيريَّة بالشام؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ [المَائدة: ٥]؛ فمفهومه: تحريم طعام

غيرهم من الكفَّار».

وقال الأستاذ محمَّد زاهد الكَوثَريُّ في مقدِّمة كتاب "كشف أسرار الباطنيَّة وأخبار القرامطة" للعلَّامة محمَّد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني، من فقهاء السنَّة في اليمن في أواسط المئة الخامسة للهجرة:

«وهؤلاء العُبيديُّون أحفاد ميمون يدَّعون الانتسابَ إلى محمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق - رضي الله عنهم - لكنَّ إسماعيل مات في حياة والده محمَّد ولم يعقِب؛ كما نصَّ على ذلك النسَّابون الثِّقات، وقد توسَّع في بيان ذلك الإمام عبد القاهر التَّميمي في "الفَرْق بين الفِرَق".

وأمَّا دعوة أنَّهم من نسل أئمَّة مستورين فما هي إلَّا اعترافٌ منهم بأنَّهم مجهولو النَّسب - راجع "وفيات الأعيان" لابن خَلِّكان (١/ ٢٥٩، ٢٧٢) - وسَلُّ المعز لسيفه ونثرُه الدَّنانير على الحضور قائلاً: هذا نَسَبي وهذا حَسَبي؛ في صَدَد الجواب على السؤال عن نسبه - ممَّا هو مدوَّنٌ في كتب التاريخ، وحديثُ البطاقة أشهرُ من نارٍ على عَلَم، نعم، للعُبيديِّين فقهٌ، لكنَّ مدوِّن فقههم ابن كِلِّس اليهودي.

ولمذهب هؤلاء الزنادقة ألقابٌ على اختلاف البُلدان؛ أشهرها: الباطنيَّة؛ لزعمهم أنَّ لكلِّ ظاهر باطنًا، ولكلِّ تنزيل تأويلًا؛ انسلاخًا من الدِّين، ويُعرفون في العراق باسم: القرامطة؛ جمع قِرمِطي؛ نسبةً إلى قِرمِط السابق ذكرُه، وباسم: المَزْدَكِيَّة أيضًا؛ بالنظر إلى أنَّهم يدينون بدين الاشتراك في الأبضاع والأموال الذي ابتدعَه مَزْدَك في عهد قَباذ الساساني، ويسمَّون في خُراسان بـ: التعليميَّة، والملاحدة، والميمونيَّة؛ نسبةً إلى ميمون أخي قِرمِط السابق ذكرُه دونَ ميمون بن دَيْصَان؛ لأنَّه ليس بفرع بل هو أصلُ البلاء كلِّه.

ويُدعون في مصر بـ: العُبيديَّة؛ نسبةً إلى عُبيد المعروف، وفي الشام بـ: النُّصيريَّة، والدُّروز، والتَّيامِنة، وفي فلسطين بـ: البَهائيَّة، وفي الهند بـ:البُهْرَة، والإسماعيليَّة، وفي اليمن بـ: اليامِيَّة؛ نسبةً إلى القبيلة المعروفة، وفي بلاد الأكراد بـ: العلويَّة؛ حيث يقولون: عليٌّ هو الله - تعالى الله عمَّا يقولون - وفي بلاد الأتراك بـ: البكداشيَّة، والقزلباشيَّة على اختلاف منازعهم، وفي بلاد العَجَم بـ: البابِيَّة.

ولهم فروعٌ إلى يومنا هذا تلبَس لكلِّ قرنٍ لَبوسَه، وتظهر لكلِّ قوم بمظهر تقضي به البيئة، وقدماؤهم كانوا يسمُّون أنفسَهم بالإسماعيليَّة؛ باعتبار تميُّزهم عن فِرَق الشِّيعة بهذا الاسم».

وقال المؤرِّخ اللُّبناني فيليب حِتِّي في كتاب "لبنان في التاريخ" (ص٤٩٥، ٤٩٦): «وقد دَهِشَ فولني - وهو كونت وعالم فرنسي - من شدَّة الشَّبه بين الدُّروز والمَوارِنَة - من المسيحيِّين - في أساليب العَيش، وفي نظام الحُكم، وفي اللَّهجَة، وفي العادات والآداب العامَّة؛ فإنَّ عائلات دُرزيَّة ومارونيَّة تعيش جنبًا إلى جنب متصافيةً متوادَّة.

وأحيانًا يصطحب الموارنةُ جيرانهم الدُّروز إلى الكنائس، ويؤمن الدُّروز بفعل الماء المقدَّس الذي يصلِّي عليه الكاهن، وأحيانًا إذا ألحَّ المبشِّر في تبشير الدُّرزي فقد يقبلُ الدُّرزيُّ سرَّ المَعمودِيَّة.

وقد لاحظ ماريتي الراهب الإيطالي - الذي زارَ البلاد سنة **١٧٦٠** قبل مجيء فولني بقليل - أنَّ الدُّروز يُظهِرون خالصَ الوُدِّ والاحترام للنصارى ويحترمون دينَهم، والدُّرزيُّ يصلِّي في كنيسة للروم الأرثوذكس كما يصلِّي في مسجد تركي.

ويتقلَّد الدُّرزيُّ سلاحَه دومًا؛ وهو عبارة عن طَبنجَتين وخَنجر تتدلَّى من زُنَّارِه.

ولا يزال الدُّروز إلى يومنا هذا يشتركون مع جيرانهم النصارى في كثيرٍ من الاحتفالات والأعياد، ولهذا مَغزاه العميق.

ويقول فريدريك بلس: «إنَّ الدُّروز لكي يتخلَّصوا من الخِدمة العسكريَّة التُّركيَّة كانوا يعلنون أنَّهم بروتستانت، ويؤكِّد ضابط فرنسيٌّ كان مقرُّ خدمته في حَوران أنَّ العائلات الدُّرزيَّة الأرستقراطيَّة إذا فقدَت طفلًا أو أكثر فإنَّهم يعمِّدون الطفلَ الذي يولَد بعدَه، وقد عُمِّد الابن الثاني لسلطان الأطرش سنة **١٩٢٤**م.

وقد تكون ممارسة هذه التقاليد نوعًا من التَّقيَّة، وقد يكون أنَّ الذين يمارسونها يعتقدون بأنَّ لها أثرًا سحريًّا يعود عليهم بالنفع.

ولا يزال الدُّروز والنصارى يشتركون في تقديس بعض المزارات المقدَّسة عند كِلا الطائفتين، وليس بمستغرب أن يتبرَّعَ درزيٌّ يقطن قرية أكثرُ سكَّانها من النصارى بالمال لكنيسة القرية.

وفي لبنان أشجارٌ قديمة يتبرَّك بها الدُّروز والنصارى على السَّواء؛ وذلك بتقديم التقديمات التي تتَّخذ في يومنا هذا شكلَ خِرَقٍ من القُماش تعلَّق في أغصانها، ومن هذه الأشجار شجرة سنديان قديمة في عالية؛ ظلَّ النصارى والدُّروز يعلِّقون فيها خِرَقًا إلى زمنٍ قصير جدًّا، ولا شكَّ أنَّ هذه عادة سامية - على حدِّ زعمه - قديمة (تكريم الأشجار وعبادتها)، تعودُ إلى أزمنة بعيدة قبل ظهور المسيحيَّة والدُّرزيَّة.



نظام المجتمع الدِّيني والاجتماعي عند الدُّروز

إنَّ التقارير والملاحظات المقتضَبة التي خلَّفها لنا الرَّحَّالة الأوربيُّون عن الدُّروز وعن حياتهم الاجتماعيَّة والدِّينيَّة تدلُّ على أنَّ النِّظام الدِّينيَّ والاجتماعيَّ الذي كان معمولًا به في عهد المعنيين والشِّهابيِّين هو النِّظام الدِّينيُّ والاجتماعيُّ ذاته في عصرنا هذا.

فلم يكن الدُّروز يصومون شهر رمضان، ولا كانوا يحجُّون إلى مكَّة، ولا يحضرون صلاة الجمعة، ولا يُسمح بتعدُّد الزوجات؛ فإنَّ الدُّرزيَّ يتزوَّج امرأة واحدة.

وللرجل الدُّرزيِّ كما للرجل النصرانيِّ أن يوصي بماله كما يشاء، وهذا ما لا يجوز في الإسلام؛ للمسلم أن يتصرَّفَ بما لا يزيد عن ثلث ماله، ويوزَّعُ الثلثان الآخران حسَب نصِّ القرآن الكريم.

أمَّا طبقة رجال الدِّين عند الدُّروز فتتألَّف من ثلاث فئات؛ هي: المجرِّبون وهم الذين يستعدُّون لتقبُّل أسرار الدِّين، ثم: العُقَّال، ثم: الأجاويد ومفردُها: جويد، وجميعهم يلقَّبون بالمشايخ. اهـ.

وقال في "تاريخ العرب المطوَّل" (٣/ ٣٧٦): وأخيرًا بلغَ من أمر هذا الخليفة الأزرق العينَين ذي الشخصيَّة الغامضة أنَّه ادَّعى الألوهيَّة؛ عملًا بمعتقد الغُلاة من الإسماعيليَّة، وقبِلَته طائفةٌ جديدةٌ من الناس سُمُّوا بالدُّروز؛ نسبةً إلى الدُّرزي (المتوفَّى ١٠١٩م) أوَّل كبار دُعاتها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة[١]: «وقد علمَ الناس من سِيرة الحاكم ما

---

(١) انظر: "الفتاوى المصريَّة" (٤/ ٢٣٥).

علموه، وما فعلَه هشتكين الدُّرزي مولاه بأمره؛ من دعوةِ الناس إلى عبادته، ومقاتلته أهلَ مصر على ذلك، ثم ذهابه إلى الشام حتى أضلَّ وادي التَّيم بن ثعلبة، والزَّندقة والنِّفاق فيهم إلى اليوم، وعندَهم كتب الحاكم، وقد أخذتُها منهم وقرأتُ ما فيها من عبادة الحاكم وإسقاطه عنهم الصلاة والزكاة والصِّيام والحج، وتسمية المسلمين الموجبين لهذه الواجبات المحرِّمين لما حرَّم الله ورسوله - بالحشويَّة، إلى أمثال ذلك من أنواع النِّفاق التي لا تكاد تُحصى.

وبالجملة فعلم الباطن الذي يدَّعونه مضمونُه الكفرُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل هو جامعٌ لكلِّ كفر، لكنَّهم فيه على درجات، فليسوا مستوِين في الكفر؛ إذ عندَهم سبعُ طبقات، كلُّ طبقة يخاطبون بها طائفةً من الناس بحسَب بُعدهم عن الدِّين وقُربهم منه، ولهم ألقاب وترتيبات ركَّبوها من مذهب المجوس والفلاسفة والرافضة؛ مثل قولهم: السابق والتالي، وجعلوهما بإزاء العقل والنفس كالذي يذكره الفلاسفة، وبإزاء النُّور والظُّلمة كالذي يذكره المجوس.

وهم ينتمون إلى محمَّد بن إسماعيل بن جعفر، ويدَّعون أنَّه هو السابع، ويتكلَّمون في الباطن والأساس، والحجَّة والباب، وغير ذلك ممَّا يطول وَصفُه.

ومن وصاياهم في "الناموس الأكبر، والبلاغ الأعظم" أنَّهم يدخلون على المسلمين من باب التشيُّع؛ وذلك لعلمهم بأنَّ الشِّيعة من أجهل الطوائف وأضعفها عقلًا وعلمًا، وأبعدِها عن دين الإسلام علمًا وعملًا.

ولهذا دخلت الزنادقة على الإسلام من باب المتشيِّعة قديمًا وحديثًا، كما دخلَ الكفَّار المحاربون مدينةَ السلام بغداد بمعاونة الشِّيعة، كما جرى

لهم في دولة التُّرك الكفَّار ببغداد وحلب وغيرهما، بل كما جرى بتغيُّر المسلمين مع النصارى وغيرهم.

فهم يُظهرون التشيُّع لمن يدْعونه، وإذا استجابَ لهم نقلوه إلى الرَّفض والقَدح في الصَّحابة، فإن رأوه قابلًا نقلوه إلى الطَّعن في عليٍّ وغيره، ثم نقلوه إلى القَدح في نبيِّنا وسائر الأنبياء، وقالوا: إنَّ الأنبياء لهم بواطنُ وأسرارٌ تُخالف ما عليه أمَّتهم، وكانوا قومًا أذكياء فُضلاء قالوا بأغراضهم الدُّنيويَّة بما وضعوه من النواميس الشرعيَّة، ثم قدحوا في المسيح ونسبوه إلى يوسف النجَّار، وجعلوه ضعيفَ الرأي حيث تمكَّن عدوُّه منه حتى صلبَه... إلخ.

وقال أمين الريحاني في كتابه "قلب لبنان" (ص٥٦٧): «القرامطة وصلوا سورية، اختلطت معهم شيعٌ علويَّة منهم النُّصيريَّة الدُّرزيَّة، الحاكم بأمر الله استقدمَ إليه رجلين من بلاد فارس هما: محمَّد بن إسماعيل الدُّرزي، وحمزة بن علي؛ كلاهما قامَ بالدَّعوة إلى المذهب القائم بوادي التَّيم.

وكان النُّصيريَّة قد أقاموا بوادي التَّيم، ولا بُدَّ أن يكونَ في المذهب الدُّرزي شيءٌ من مذهب النُّصيريَّة، الذين غلبَ عليهم بعدئذٍ الدُّروز، وطردوهم في أوائل القرن الحادي عشر من وادي التَّيم».

وقال الأستاذ محمَّد ثابت في كتابه "رِحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها" (ص٤٩): «ثم مررنا بحطِّين وبعدَها جبل الدُّروز البواسل، وهم يعتقدون في تناسُخ الأرواح، وعندَ موت أحدهم لا يحزنون عليه؛ لأنَّ روحه باقية، وهذا ما شجَّعهم على لقاء الموت».

وفي "دائرة المعارف الإسلاميَّة" (٨/ ١٠٣): «**حمزة بن عليٍّ بن**

أحمد: رأس طريقة الدُّروز الدِّينيَّة، ومصنِّف عِدَّة رسائل غدَت من الكتب المقدَّسة عندَهم، ولا نعرف علمَ اليقين عن حياته إلَّا القليل.

ويقول النُّوَيْري: إنَّه من زَوْزَن في بلاد فارس، وكانت صناعته اللَّبَّاد.

ويُقال: إنَّه لم يجهر بمذهبه إلَّا في عام **٤١٠**هـ - **١٠١٩**م، إلَّا أنَّ حمزة نفسَه يقول: إنَّه حدث قبل هذا التاريخ بسنتين؛ أي: عام **٤٠٨**هـ - **١٠١٧** وهي السنة التي يزعمُ الدُّروز أنَّ الله حلَّ فيها في الخليفة الفاطميِّ الحاكم بأمر الله، وأنَّها كانت مبدأ التاريخ الدُّرزي.

ولا نعرف على التحقيق تاريخَ قدوم حمزة إلى مصر، ولعلَّ ذلك في عام **٤٠٥** أو **٤٠٦**، ومع ذلك فإنَّه لمَّا جاهرَ بمذهبه في أحد مساجد القاهرة نشبَت فتنةٌ أكرهت حمزةَ على الاختفاء زمنًا في حماية الخليفة، ولا نعرف ما الذي ألمَّ به بعد اختفاء الخليفة نفسِه عام **٤١١**هـ - **١٠٢٠**م، وكان لحمزة من بعدُ شأنٌ كبير في طريقة الدُّروز الدِّينيَّة بوصفه: قائم الزمان أو آخر مَن حلَّ فيه العقلُ الإلهيُّ، ويقول المكين وغيره من الكُتَّاب: إنَّه كان يلقَّب عادةً بالهادي؛ أي: هادي المستجيبين».

وفي "دائرة المعارف الإسلاميَّة" أيضًا (**٨/ ٢٦٨، ٢٦٩**): «ومهما يكن من شيءٍ فقد كان الخليفة الحاكم يتَّبع تعاليم الإسماعيليَّة الباطنيَّة إلى غايتها؛ ذلك أنَّه وافقَ على إعلان تألُّهه متأثِّرًا في ذلك بالأخرم وحمزة الزَّوْزَني ودُرزي الداعي الباطني، وذلك عام **٤٠٨**هـ - **١٠١٧**م، أما وقد عرفنا نفسيَّته فليس بمستغرَب أن يخطوَ هذه الخَطوة، كما يجب ألَّا يغيبَ عن بالنا أيضًا أنَّ أباه وجدَّه قد نزعا من قبله فيما يظهر أنَّهما على الأقلِّ قادران على الإتيان بالخَوارق.

أمَّا أنَّ الحاكم قد أظهرَ آخرَ الأمر تسامُحًا عظيمًا في أمور الدِّين فشيءٌ

يتَّفِقُ تمامًا وعقائدَ الإسماعيليَّة التي كانت غالبةً عليه إذ ذاك.

على أنَّ أهل البلاد المسلمين هَبُّوا يحاربون الآراءَ الملحِدةَ التي كان يدعوا إليها دعاةُ المذهب الجديد جهرًا، وكان من أثر هذا أنَّ الحاكم حُبس في قصره - وهو القصر الذي عُرف أنَّ درزي مثير الخواطر كان مختبئًا فيه - ومع ذلك فقد استطاعَ الحاكم أن يمهِّد لدرزي سبيلَ الفرار إلى لبنان حيث أسَّس طائفة الدُّروز، وما زال هؤلاء يقدِّسون الحاكم بأمر الله، معتقدين أنَّ الله قد حلَّ فيه، وينتظرون عودته».

وفي "دائرة المعارف الإسلاميَّة" **(٩/ ٢١٤-٢١٨)**: «**الدُّروز**: شعبٌ أو أمَّة تعيش في لبنان وما وراء لبنان، حول دمشق وفي جبل حَوران، وللدُّروز عقيدتهم الخاصَّة، ولهم مركز خاصٌّ في النِّظام الإداريِّ للدولة العثمانيَّة، واسمهم مُشتَقٌّ من درزي، وأصلهم الجنسيُّ غامض، ويحتمل أنَّه كانت لهم خصائص جنسيَّة متميِّزة قبل نشأة عقيدتهم، وأنَّهم لم يُسلموا قطُّ إسلامًا صحيحًا.

وقد يكون الدُّروز بقايا بعض الشعوب القديمة، احتمَوا بالجبال في أوقات الغزو، واحتفظوا على الدوام بقدر من الاستقلال في تلك الجهات التي يسهلُ الدِّفاع عنها.

ويعتقد بنيامين التُّطيلي الذي ساحَ في الشرق وتوفِّي عام **١١٧٣**م أنَّ الدُّروز من سلالة الأتراك الذين اشتهروا في آسيا في عهد خلفاء الإسكندر بأعمال السَّلب والنَّهب، ومن ثَمَّ أجبرَهم الرُّومان على الانزواء في جبال لبنان.

وكان الرأي في القرن السابعَ عشرَ أنَّ الدُّروز هم الذين بقوا من نصارى اللاتين الذين نَجَوا من مذبحة عكَّا؛ عندما استولى الأشرف سلطان مصر

على هذه المدينة عام **١٢٩١**م وقضى على آخر ما بقيَ للفَرَنْجَة من سُلطان في الأرض المقدَّسة».

والواضح أنَّ هذه الرِّواية لا قيمة لها؛ لأنَّها تجعل التاريخ الذي ظهرَ فيه الدُّروز متأخِّرًا جدًّا عمَّا ذكرنا، على أنَّها ذات شأنٍ من حيثُ إنَّها تتَّصل بادِّعاء زعماء الدروز في القرن السابعَ عشرَ بأنَّهم من سلالة جودفرى دي بويبسون.

وكان للدُّروز الذين يترأَّسهم الآن أمير أو حاكم أميران شهيران جدًّا في تاريخهم وهما: الأمير فخر الدِّين الذي اشتهرَ في القرن السابعَ عشرَ باسم: فكر دين، والأمير بشير في القرن التاسعَ عشرَ...».

إلى أن قال: «**عقيدتهم**: الدُّروز بعامَّة لا يستمسكون بعقيدتهم إلَّا قليلًا؛ فهم مسلمون بين المسلمين، ونصارى بين النصارى، وليس لديهم أماكن للعبادة، أمَّا ما يُعرف بعقيدة الدُّروز فهو مذهبٌ له أصوله وقواعده، لا يفقهه جميع الشعوب، ويُطلق على مَن يفقهونه: العُقَّال، وعلى سواهم الجُهَّال، ويشترك العُقَّال دونَ سواهم في الجلسات الدِّينيَّة التي تُعقد ليلة الجمعة، ويُعرَف مكان الاجتماع بـ: الخَلوة، ويُصبح غير العُقَّال أجاويد بنسبة واحد إلى خمسين، وعقيدة التناسُخ شائعةٌ بين الدُّروز، فخيار الناس تتقمَّص رُوحهم المواليد، أمَّا شرارهم فتتقمَّص أرواحهم أجسامَ الكلاب.

والزواج بأكثر من امرأة مباحٌ عندهم، ويُقال: الدُّرزي قد يتزوَّج من أخته في بعض الأحيان، غير أنَّ شريعتهم تحرِّم ذلك، وعقيدةُ الدُّروز في صورتها الفقهيَّة تابعة للباطنيَّة.

وقد نشأت هذه العقيدة في عهد الخليفة الفاطميِّ الحاكم (**٣٨٦**-**٤١١**هـ)، على يد حمزة ودرزي، ونحن نعرفها من مئات الكتب الموجودة

في المكتبات الأوربيَّة، وهذه الكتب الدِّينيَّة التي يرجع بعضها إلى عهد حمزة عبارةٌ عن عقائد المذهب وبسط له، وحديثٍ عن نظام هذه الفرقة، وإجازات تولية شيوخه على اختلافهم، ورسائل وشذور من ردود على النُّصيريَّة والمتولي جيران الدُّروز، وعلى عدد من شيوخ المذهب ودُعاته الذين حرَّفوه منذ البداية، وقد رُميَ هؤلاء المنشقُّون بأنَّهم يدعون إلى مذاهب إباحيَّة، ويحبِّذون عبادةَ العِجل.

والواقع أنَّ صورة العِجل تظهر في احتفالات الدُّروز، ويقول بعض الكتَّاب: إنَّهم يعبدون العِجل، ولكنَّ الأرجحَ أنَّ العِجل في العقيدة الصحيحة للدُّروز هو رمزٌ للشيطان، وهم إنَّما يعمِدون إلى إظهاره ليكونَ موضعَ لعنتهم.

وقد قامَ مذهب الإسماعيليَّة على فكرة أنَّ الله قد تجسَّد في الإنسان في جميع الأزمان، وهم يتصوَّرون أنَّ الله ذاته أو على الأقلِّ القوَّة الخالقة تتكوَّن من مبادئ متكثِّرة، يصدر الواحد منها عن الآخر، ويتَّجه كلُّ مبدأ من هذه المبادئ في الإنسان.

وقد احتفظت هذه العقيدة الدُّرزيَّة بهذا المذهب؛ فالخليفة الحاكم وَفْقًا لهذه العقيدة يمثِّل الله في وَحدانيَّته؛ وهذا هو السبب في أنَّ حمزة قد أطلق على مذهبه اسم: مذهب التوحيد، وهم يعبدون الحاكم ويسمُّونه: ربَّنا، ويفسِّرون متناقضاته وقسوته تفسيرًا رمزيًّا، فهو آخرُ من تجسَّد فيهم الله، وهم ينكرون وفاته، ويقولون: إنَّه استترَ وسيظهر في يوم ما وَفْقًا للعقيدة المهدويَّة.

ويلي الحاكم في المرتبة خمسة أئمَّة كبار تتجسَّد فيهم المبادئ التي صدرت عن الله:

فالأوَّل: تجسيد للعقل الكلي، والثاني: للنفس الكليَّة، وفكرتا العقل الكليِّ والنفس الكليَّة مأخوذتان من الفلسفة، والإمام الثالث: تجسيد للكلمة التي خرجت من النفس عن طريق العقل، ويسمَّى الإمام الرابع: الجناح الأيمن أو السابق، والخامس: الجناح الأيسر أو التالي، ويعرفان معًا باسم: الحدود، كما أنَّ لهما أسماءً رمزيَّة أخرى.

وكان هؤلاء الأئمَّة الخمسة عند قيام هذا المذهب هم: حمزة رأس الفِرقة، ثم إسماعيل بن محمَّد التميمي أحد كُتَّاب الفِرقة، ثم محمَّد بن وَهْب، ثم سلامة بن عبد الوهَّاب السمري، ثم أبو الحسن عليُّ بن أحمد السموكي.

ويلي هؤلاء الأئمَّة الكبار آخرون أدنى منهم مرتبة، موزَّعون على ثلاث طبقات، وليس هؤلاء بتجسُّدات للمبادئ الخالدة، وإنَّما هم وُكلاء ودُعاة ورُؤَساء جماعات، يسمَّون في ترتيب الطبقات: الداعي، والمأذون، والمكاسر، ويعرف المكاسر أيضًا بالنقيب، ويعرف الداعي كذلك بالعمل، والمأذون بالفاتح، وهو الذي يفتح الباب للمريد، والمكاسر هو الشبح؛ أي: الذي يظهر في ليل الضَّلال.

ويستعمل الباطنيَّة هذه الألفاظ ذاتَها بترتيبٍ يختلف عن هذا بعضَ الاختلاف.

ومعرفة ذات الله وصفاته وتجلياته في سلسلة المبادئ المتجسِّدة في الأئمَّة هي عقائد هذا المذهب، وتتلخَّص آدابه في سبعة أركان تقوم مقام أركان الإسلام؛ وهي: حبُّ الحقِّ بين المؤمنين دونَ غيرهم، وأن يتكفَّلَ العارفون بالسَّهر على سلامة الغير، والتبرُّؤ من العقيدة التي كان يدين بها الدُّرزي من قبل، والابتعاد عن الشيطان وعن الضالِّين، والاعتراف بوجود

مبدأ اتِّحاد اللاهوت بالناسوت في كلِّ العصور، والرِّضا عن أفعال (ربِّنا) - الحاكم - أيًّا كانت، والخضوع التامُّ لإرادته، كما تتجلَّى في أئمَّته على ما هو مفهوم.

وهذه القواعد واجبة الطاعة على كلِّ درزيٍّ؛ رجلًا كان أو امرأة.

وفي كتاب "أخبار الأُول، فيمن تصرَّف في مصر من أرباب الدُّول" تأليف: محمَّد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد الإسحاقي المنوفي (ص١١٢)، في ترجمته للحاكم العُبيدي قال: «وصنَّف له بعض الباطنيَّة كتابًا، وكتبَ فيه أنَّ رُوحَ آدم انتقلَت إلى الحاكم، وقُرئ هذا الكتاب في الجامع الأزهر بالقاهرة، فقصدَ الناس قتلَ مؤلِّفه، فسيَّره الحاكم إلى جبال الشام، واستمالَ الناس إليه، وأعطاهم المال، وأباحَ لهم الخمور والزِّنى، حتى إنَّ جماعةً إلى الآن يعتقدون رجوع الحاكم، ولا بُدَّ أن يعودَ ويمهِّد الأرض، وتلك خيالات كاذبة، وظنونٌ فاسدة، والكتاب بجبال الدُّروز إلى الآن».

وفي كتاب "تاريخ الجمعيَّات السرِّية والحركات الهدَّامة" للأستاذ محمَّد عبد الله عنان: «وقد أسفرت تعاليم دار الحكمة - مدرسة أسَّسها الحاكم - عن ظهور طائفة سرِّية جديدة هي طائفة الدُّروز أتباع إسماعيل الدُّرزي؛ وهو تركيٌّ دعا سنة ١٠١٦م في أحد مساجد القاهرة بألوهيَّة الحاكم وعبادته، وزعمَ الحاكم نفسُه في آخر عهده أنَّ الرُّوح القُدُس ماثلة في شخصه، وادَّعى الألوهيَّة، ونظَّم وزيره الفارسيُّ حمزة بن عليٍّ رسومَ هذا الدِّين الجديد، ثم قُتِل الحاكم بعد ذلك في كمين دبَّرته له أختُه على ما يُقال، وأُخفيت جثَّته؛ فازدادَ أتباعه فتنةً، وزعموا أنَّه لم يَمُت ولكنَّه رُفع إلى السماء، ثم يعود ليُعاقب الكفرة.

وصارَ ذلك مذهبَ دروز الشام الذين حملَهم إسماعيل الدُّرزيُّ على اتِّباع تعاليمه، وقد خرجَ الدُّروز في صَوغ مذهبهم عن تعاليم عبد الله بن ميمون الأصليَّة؛ فهم دَهريَّة يقولون بالحلول، وأنَّ الله (حكمة عامَّة) تمثَّل في آلهة عِدَّة، وأنَّ الحاكم بأمر الله آخرُ هؤلاء الآلهة، وأنَّه يعود إلى الظهور حينما يصلُ الظلم في العالم غايتَه، فيفتح العالم، ويقضي على جميع الأديان الأخرى.

ومراتب الطائفة الدرزية ثلاثة؛ هي: الجاهل، والجويد، والعاقل، ولهؤلاء تُكشف أسرار المذهب تدريجيًّا، ويلتجئ الدُّعاة في ذلك إلى الرموز والإشارات الخفيَّة؛ حرصًا على كتمان الأسرار والتعاليم، ويتَّبعون خطَّة الإسماعيليَّة في نشر دعوتهم بين أبناء الأديان الأخرى؛ فيتظاهرون أمامَ المسلمين بأنَّهم يؤمنون بمحمَّد، وأمامَ النصارى بأنَّهم يؤمنون بالمسيح، ويبرِّرون هذا المسلك بأنَّه واجب ألَّا تُكشفَ أسرارُ مذهبهم إلى أسود أو كافر.

ومن عاداتهم أنَّهم يجتمعون نساءً ورجالًا ليتحدَّثوا في الشؤون الدِّينيَّة والسياسيَّة، بَيْدَ أنَّه لا يجوز لعاقل أن يشترك في تقرير الأمور.

وتُشبه رموزهم وإشاراتهم في التعارف رموزَ البناء الحر، والدُّروز طائفةٌ صغيرةٌ لم تلعَب دورًا كبيرًا في الثورة في الإسلام كباقي الشُّعَب الإسماعيليَّة».



عقيدة الدُّروز من كتبهم

وقال الأستاذ محمَّد مصطفى زيادة في تعليقه على كتاب "السُّلوك، لمعرفة دُول الملوك" (الجزء الأول/ القسم الثالث/ ص٩٠٢): «**الدُّرزيَّة** أو **الدُّروز** إحدى فئات أهل لبنان، وهم منتشرون أيضًا في جبال كِسِروان المتَّصلة بسلسلة جبال لبنان، ويوجد الدروز أيضًا حول دمشق، وفي جبال حَوران، واسمهم مشتقٌّ من دُرزي أحدِ دُعاة الباطنيَّة الذين قالوا بأُلوهيَّة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي.

وكان درزي من أصل فارسي، واسمه: محمَّد بن إسماعيل، وقد جاء إلى مصر سنة ٤٠٨هـ : ١٠١٧م، ودخلَ خدمة الحاكم بأمر الله، وهو أوَّل من أعلنَ أُلوهيَّة ذلك الخليفة، على أنَّ أوَّل مَن قالَ بهذه الفكرة حمزة بن عليٍّ الزَّوْزَنيُّ اللبَّاد.

وقد نسجَ درزي حولَ ذلك مذهبًا جديدًا، فجعل سُداه ولُحْمَته المبادئ الباطنيَّة، وألَّفَ في ذلك كتابًا قرأه بالجامع الأزهر بالقاهرة؛ فأحدثَ ضجَّةً بين الناس، وقد اضطُرَّ درزي إلى الخروج من مصر بسبب ذلك، فلجأ إلى جبال لبنان حيث أخذَ ينشر مذهبَه هناك، فبقيَ هناك حتى مات سنة ٤١٠هـ : ١٠٢٠م.

والدُّروز يعدُّون أنفسهم فرقةً إسلاميَّة، وليس لهم أمكنة معينة للعبادة، بل لهم خَلوات يجتمعون فيها من يوم الخميس إلى الجمعة من كلِّ أسبوع، وهم يعتقدون في تقمُّص الأرواح، ويقولون: إنَّ الخيِّرين من الناس يرجعون إلى هذه الدُّنيا أطفالًا، والشِّرِّيرين كلابًا.

ومن معتقداتهم أيضًا: أنَّ الله قد حلَّ بصفاته في الإنسان من القِدَم؛ فحلَّ في آدم، وفي جميع الأنبياء إلى محمَّد، ثم في سلالة محمَّد حتى الخليفة الفاطميِّ الحاكم بأمر الله». اهـ.

وفي كتاب "حَوران الدامية" لحنا أبي راشد - وهو من المعجبين أيَّما إعجاب بالدُّروز - قال في (ص٢٣٧): «إنَّ المؤرِّخ المتأمِّل الذي يأخذ التاريخ نتيجةً لحوادث وأخبار يرى أنَّ هذا الوفد المكوَّن من أُمم متعدِّدةٍ خرجوا من عند الحاكم وهم معتقدون بصحَّة دعوته، وكانوا أوَّلَ ناشرٍ لمبدئه بزعامة حمزة بن علي، وعقدوا مجتمعات سرِّيَّة تفاوضوا فيها على نشر المبدأ الدُّرزي، وبعد أن هاجت الخواطر ضدَّهم بمصر تفرَّقوا وهاجرَ بعضهم إلى سوريا، وكان هذا الوفد من أوَّل ناشري هذا المبدأ في القطر المصريِّ وسوريا، كما استخلصناه من جملةِ كتبهم الخَطيَّة التي لم تزل في طيِّ الكتمان بينهم.

ومن المعروف عندَهم الذي بنَوا عليه أصلَ مذهبهم وجعلوه حكمةً عالية وسرًّا غامضًا، أنَّهم لا يذكرون الحقيقة في كتاب واحد، بل يذكرونها مفرَّقة في جملة كتب يُستخلص من مجموعها تلك الحقيقة، حتى إنَّ القارئ لكتاب أو كتابين لا يمكنه منها معرفةُ الحقيقة، لو أنَّه قرأ الكلَّ لا يمكنه أيضًا إلَّا إذا تنبَّه لارتباطاتها معًا، وحلَّ رموزها التي لا تزال سرًّا مكتومًا لا يعرفه إلَّا ذَووه».



ابن تيميَّة يُقاتل الدُّروز

عرفنا ممَّا تقدَّم رأيَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة في الدُّروز، وحكايته إجماعَ العلماء على كفرهم، بل كفر مَن شكَّ في كفرهم، ولم يقتصر ابن تيميَّة على هذا؛ لأنَّه الرجل الذي يصدع بالحقِّ ولا تأخذه في الله لومةُ لائم، وقد رأى من ضَرَرِ هذه الفئة وعدوانها ما حملَه على إصدار الفتاوى في وجوب قتالهم، وتحريض المسلمين على القيام بواجب جهادهم، حتى جُرِّدت العساكر وهبَّ المسلمون لغزوهم وكسر شوكتهم.

ففي عشرين من شوَّال سنة **٦٩٩**هـ توجَّه نائب السَّلطنة بدمشق جمال الدِّين آقوش الأفرم في جيش كثيف من جيش دمشق، ولقِيَه نائب صَفَد بعسكره، ونائبُ حَماة، ونائبُ حِمص، ونائبُ طَرابُلُس بعساكرهم، وخرجَ ابن تيميَّة ومعه خلقٌ كثير من المتطوِّعة من الحَوارِنَة والدِّمشقيِّين وغيرهم، وقصدوا غزوَ الدُّروز في جبال الجَرَد وكِسِروان.

وذلك لفساد عقائدهم وخُبث طويَّتهم، واعتدائهم على عساكر المسلمين لمَّا انهزموا منكسرين من التتار؛ فقد قطعوا الطريق، ونهبوا عسكر المسلمين، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا خلقًا كثيرًا منهم.

وحين أقبلَ نائب السلطنة والشيخ تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة بالعساكر استعدَّ الدُّروز للقتال، واجتمعَ منهم نحو اثني عشر ألف رام، وامتنعوا بجبالهم وهي وَعْرَةُ المسالك صعبةُ المرتقى، فقاتلهم المسلمون ستَّة أيَّام قتالًا شديدًا، ثم انهزمَ الدُّروز بعد أن قُتِلَ وأُسِرَ منهم خلقٌ كثير، فوضعَ العسكر فيهم السيف.

ثم استدعَوا مشايخهم، وألزموهم بإحضار جميع ما أخذَه الدُّروز من العسكر وقتَ الهزيمة، فأحضروا من السِّلاح والقُماش شيئًا كثيرًا، وحلفوا أنَّهم لم يُخفوا شيئًا، فقرَّر عليهم الأمير آقوش الأفرم مبلغ مئة ألف درهم جَبَوها، وأخذَ عِدَّةً من مشايخهم وكبرائهم، واستتابَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة رؤساءهم وعلماءهم، وبيَّن للكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خيرٌ كثير وانتصارٌ كبير، وأُقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند، ولا يلتزمون أحكام الملَّة، ولا يدينون دينَ الحق، ولا يحرِّمون ما حرَّمَ الله ورسوله.

وعادَ نائب السَّلطنة إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذي القَعدة وبثَّ البريد بالخبر إلى السُّلطان.

وفي مستهلِّ ذي الحِجَّة سنة ٧٠٤هـ توجَّه الشيخ تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة من دمشق ومعه جماعةٌ من أصحابه، والأمير بهاء الدين قراقوش المنصوري، ونقيب الأشراف زين الدِّين ابن عدنان، وقصدوا جبالَ كِسِروان والجَرَد، فاستتابوا خلقًا من أهلها، وألزموهم بشرائع الإسلام.

وفي ثاني المحرَّم سنة ٧٠٥ خرجَ نائب السَّلطنة بمَن بقيَ من الجيوش الشاميَّة، وقد كان تقدَّمَ بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيميَّة، فساروا إلى بلاد الجَرَد والرَّفْض والتَّيامنة، فنصرهم الله عليهم، وأبادوا خلقًا كثيرًا منهم ومن فرقتهم الضالَّة، وعادَ نائب السَّلطنة إلى دمشق في صحبة الشيخ ابن تيميَّة والجيش.

وقد حصلَ بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خيرٌ كثير، وأبانَ الشيخ علمًا وشجاعةً في هذه الغزوة ملأت قلوبَ أعدائه حسدًا له وغمًّا، وقد كان في هذه الغزوة مع الشيخ ونائب السَّلطنة من المقاتِلَة نحو خمسين ألف رجل،

وقد نُودِيَ في دمشق أنَّ مَن تأخَّرَ من الأجناد والرِّجال عن الغزو شُنِق؛ فاجتمعَ المقاتِلَة وزحفوا لمهاجمة أهل تلك الجبال، فنازَلُوهم وخرَّبوا ضِياعهم، وقطعوا كُرومهم ومزَّقوهم، بعد قتال استمرَّ أحدَ عشرَ يومًا، ففُتحت تلك الجبال عَنوة، ووضعوا فيهم السيف، وأسروا ستَّمئة رجل، وغَنِمَت العساكر منهم مالًا عظيمًا، وعادوا إلى دمشق في رابع صفر ظافرين.



تعاليم الدُّروز في كتبهم

أسلفنا فيما سبقَ من هذا البحث بعضًا من أقوال العلماء والمؤرِّخين عن الدُّروز، ونريدُ أن ننقُلَ هذه المرَّة شيئًا من كتب الدُّروز أنفسهم وتعاليمهم، ومن ذلك يعرفُ المرء صحَّة ما قالَه أولئك العلماء والمؤرِّخون عنهم بما لا يدع مجالًا للشَّك في كفرهم وضلالهم، بل إنَّ ما قيل عنهم قليلٌ إذا قِيسَ بما في رسائلهم وكتبهم، وبينَ يديَّ رسالة صغيرة مطبوعة عنوانها "تعليم دين التوحيد المعروف بدين الدُّروز" جاء في مقدِّمتها:

لا يخفى على كثيرين من أهل المطالعة والبحث أنَّ هذا التعليم قد طُبعَ في أوروبَّا مرارًا ونُقلَ إلى لغات شَتَّى، لكنَّه لم يُطبع ولم يُنشر بعدُ في بلادنا بلغته الأصليَّة؛ فإنَّ ما نُشرَ منه في "دائرة المعارف" في (باب: حمزة) وغيره قد نُقلَ عن الترجمة الفرنساويَّة للعلَّامة سلفستر دي ساسي، فالغاية إذًا من نشره بهذه الطبعة إيقافُ أبناء الوطن على ما تضمَّن؛ حتى لا يُقال: الغريب أدرى وأعلم به من أصحابه وجيرانه، والمرجوُّ من المطالع ألَّا يظنَّ إلَّا الخير بمَن تكلَّف كثيرًا بمقابلته على نسخ كثيرة قبل نشره منقَّحًا، ولا يتوخَّى إلَّا الإفادة... والسلام على مَن اتَّبع الهدى.

ثم ذكرَ ما ننقُله بنصِّه بدون أيِّ تصرُّف:

تعليم دين الموحِّدين

سؤال الجاهل: أدرزيٌّ أنت؟

جواب العاقل: نعم بقوَّة المولى سبحانه.

س: من هو الدُّرزي؟

ج : هو الذي كتبَ على نفسه الميثاق، وعَبَدَ مولانا الحاكم الخلَّاق.

س: ما فرضَ عليك؟

ج : صدق اللِّسان، وحفظ الشروط السبعة.

س: ما نقض عليك من الأمور الصعبة عليك؟

ج : ترك الدَّعائم السَّبع.

س: كيف تعرف الدُّرزي؟

ج : بأكل الحلال وترك الحرام.

س: ما هو الحلال والحرام؟

ج : الحلال مال العُقَّال والفلَّاحين، والحرام مال الحُكَّام والمرتدِّين.

س: متى ظهرَ مولانا الحاكم؟

ج : ظهر في السنة الأربعمئة للهجرة الإسلاميَّة.

س: لماذا قالَ عن نفسه: إنَّه من نسل محمَّد؟

ج : قال ذلك ليُخفيَ لاهوتَه.

س: لماذا أخفى لاهوتَه؟

ج : هكذا اقتضَت حكمته؛ لأنَّ عبادته كانت قليلة، والذين يحبُّونه كانوا كذلك.

س: متى أظهرَ وأشهرَ لاهوتَه؟

ج : بعد ثماني سنوات من يوم ظهوره؛ أي: بعد الأربعمئة.

س: كم سنة بقيَ مشتهِرًا؟

ج : بقيَ السنة الثامنة بكمالها واختفى في التاسعة؛ لأنَّها سنةُ محنةٍ واستتار، ثم عادَ فظهرَ في السنة العاشرة والحادية عشرة، وغابَ في السنة الثانية عشرة ولم يعُد يظهر، ولن يظهرَ إلى يوم الدِّين.

س: ما هو يوم الدِّين؟

ج : هو اليوم الذي يظهر فيه مولانا الحاكم بالناسوت، ويحكم على العالم بالسَّيف والعُنف.

س: متى يكون ذلك؟

ج : إنَّه غير معلوم، ولكن لا بُدَّ أن تظهرَ علاماته من قبل.

س: ما هي هذه العلامات؟

ج : متى رأيتَ الملوك تتقلَّب، والنصارى قد تقوَّت على الإسلام.

س: في أيِّ شهر يكون هذا؟

ج : في أحد الشهرين جُمادى أو رجب.

س: كيف يكون حكمه على الطوائف والمِلَل؟

ج : يُبيدهم بالسَّيف والعُنف، ولا يسمح بأكثر من أربع مِلَل وهم: النصارى، واليهود، والمرتدِّين، والموحِّدين.

س: كيف تنقسم كلُّ فِرقَة منهم؟

ج : فرقة النصارى ومنهم النُّصيريَّة والمتأوِّلة، وفرقة اليهود ومنهم المسلمون، والمرتدُّون هم الذين تركوا عبادة المولى سبحانه، والموحِّدون هم الذين عبدوه سبحانه.

س: كيف يكون حكمه بعد هذا؟

ج : بعد أن يُبيدَهم بالسَّيف والعُنف يرجعون يُولدون ثانية على حكم التناسُخ، ويحكم عليهم حينئذٍ كما يريد.

س: كيف يجازي الموحِّدين؟

ج : يُعطيهم الحُكم والملك، والسُّلطة والمال؛ ذهبًا، وفضَّة، ويصبحون كلُّهم أمراء وسلاطين.

س: كيف يفعل بالمرتدِّين؟

ج : يكونون في أشدِّ العذاب.

س: كم مرَّة ظهرَ مولانا الحاكم بالناسوت؟

ج: ظهرَ عشر مرَّات، وتسمَّى بالمقامات وهم: العالي، والباري، وعلي، والمعل، والقائم، والمعز، والعزيز، وأبو زكريا، والمنصور، والحاكم.

س: في أيِّ مكان ظهرَ أوَّل المقامات الذي هو العالي ومن بعدَه؟

ج: ظهرَ في بلاد الهند في مدينة جين ماجين، والباري ظهرَ بالعجم في أصبهان، وعليٌّ في اليمن، والمعل بالمغرب في المهديَّة، والقائم كذلك، ومنها جاءَ إلى مصر وبنى الراشدة، والمعزُّ والعزيز وأبو زكريَّا والمنصور والحاكم ظهروا في مصر، والمنصور كان اسمه إسماعيل.

س: كم مرَّة ظهرَ حمزة؟ وماذا كان يسمَّى؟

ج: ظهرَ بالأدوار من آدم إلى الناطق سبعَ مرَّات، ففي دَور آدم كان يُقال له: شطنيل، وفي دَور نوح يُقال له: فيثاغورس، وفي دَور موسى يُقال له: شُعيب، وفي دَور عيسى يُقال له: المسيح، ويُقال له أيضًا: إليعازر، وفي دَور محمَّد يُقال له: سَلمان، وفي دَور سعيد يُقال له: صالح.

س: ما معنى الدُّرزي؟ ومن أيِّ كلمة مشتق؟

ج: اعلم أنَّ اسم الدُّروز مأخوذٌ من اتِّباعهم الحاكمَ بأمر الله، وهو مولانا محمَّد بن إسماعيل الذي أظهرَ نفسه بنفسه وظهرَ لنا، ولمَّا تبعوه واندرجوا تحتَ أحكام نواميسه قِيلَ لهم: الدُّروز من انْدَرَزَ يَنْدَرِز؛ أي: اندرَجَ ودَخَل، والمعنى الحقُّ أنَّه هو الذي كتبَ على نفسه الميثاق وأجراه على نفسه، ودخلَ تحت طاعة الحاكم واندرجَ تحتَ أحكام نواميسه، بل قِيلَ له: دُرزي من قولهم: درسي؛ أي: درسَ كتبَ حمزة وعبدَ الحاكم كما يجب.

س: ما معنى حَلِفِ النِّساء بالياخ وحَلِفِ الرِّجال باليوه؟

ج : اعلم أنَّ النِّساء لها التأنيثُ وللرِّجال التذكير، والمرادُ بذلك - أي: بهذا الاستعمال - قمعُ القَسَم وتركه؛ لأنَّ الياخ معناه: لا أم نعم؛ ويكون المعنى لا يا أخ أو نعم يا أخ، وكذلك يجري الأمر في قولهم: باليوه.

س: ما قصدُنا من تعظيم الإنجيل ومدحه؟

ج : اعلم أنَّ القصدَ من ذلك ارتفاعُ اسم القائم بأمر الله وهو حمزة؛ لأنَّه هو الذي تكلَّم بالإنجيل، وأيضًا يجبُ أن نحسنَ لكلِّ ملَّة اعتقادها، وأيضًا لأنَّ الإنجيل مبنيٌّ على حكمة إلهيَّة باطنها دليل دين التوحيد.

س: لماذا تقول: ليس لنا كتاب إلَّا القرآن؟

ج : ذلك من طريق استتار ديننا بدين ابن عبد الله؛ فاقتضى أن نُقِرَّ بكتابه ونُنكرَ سواه.

س: ماذا ينبغي أن تقولَ في الشُّهداء الذين يفتخر النصارى بشجاعتهم وكثرتهم؟

ج : الشُّهداء كانوا في زمان الفَترَةِ قبل أن يظهرَ الحاكم سبحانه، وكلُّ الذين كانوا في الفَتْرَةِ محمودين هم موحِّدون حقًّا.

س: ماذا يجب أن نقولَ للنصارى إذا قالوا لنا: إنَّ دينهم مؤيَّد بالبراهين وثابتُ القول أكثرَ من دين حمزة؟

ج : نقول: لهم ما أيَّد دينكم بتلك البراهين إلَّا حمزةُ في الأدوار السابقة؛ حتى يتمَّ فيها قول الإنجيل: إنَّ الذي ليس له يؤخذُ منه الذي يظنُّ أنَّه له.

س: هل للجُهَّال الدُّروز خَلاص واستقبال حسن إذا ثبتوا على الجهالة؟

ج : كلَّا، بل يكونون عندَه بالأسر والغيار إلى أَبَد الآبدين.

س: كيف نستدلُّ على شرف قائم الحقِّ حمزة بن عليٍّ علينا سلامُه؟

ج : عرفنا ذلك من شهادته لنفسه حيث قال في رسالة "التحذير والتشبيه" : «أنا أصلُ مبدَعات المولى، وأنا صراطُه العارف بأمره، وأنا الطُّور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور، وأنا صاحب البعث والنُّشور، وأنا النافخ في الصُّور، وأنا إمام المتَّقين، وأنا صاحب النعم؛ وأنا ناسخُ الشرائع، ومبطِلُ الشهادتَين، وأنا النار الموقَدة التي تَطَّلع على القلوب».

فبهذه الشهادة عرفنا مقدارَ شرفه، وأنَّه حجَّة الله وحجابه الواقف بين يديه.

س: ما هو دين الدُّروز الموحِّدين؟

ج : هو الكفر بكلِّ ملَّة وطائفة، والإيمان بما كفروا؛ كما هو محرَّرٌ في "رسالة الإعذار والإنذار".

س: إذا عرفَ أحد الناس مولانا سبحانه، وصدَّقَ به، وأطاعَ لدين التوحيد وعمل به، فهل له الخلاص؟

ج : لا خلاص له أبدًا؛ لأنَّ الباب أُغلِقَ، وتمَّ الأمر، وجفَّ القلم، فإذا ماتَ ترجع نفسه إلى مِلَّته ودينه.

س: متى خُلقت نفوس الناس والعوالم؟

ج : بعد أن خُلقَ العقل الكليُّ الذي هو حمزة بن علي، ومن نُوره تكوَّنت نفوسُ العوالم والأرواح، وهي معدودةٌ لا تزيد ولا تنقص مدى الأزمنة والدُّهور.

س: هل يليق تسليم التوحيد للنِّساء؟

ج : لا بأس؛ لكون مولانا سبحانه كتبَ عليهنَّ كتاب العهد والميثاق، وأطعنَ الحاكم كما هو محرَّر في رسالة "النِّساء والبنات".

س: كيف تحقَّقنا أنَّ ديانة الحاكم حقٌّ وما عداها باطل؟

ج : هذا الكلام كفرٌ وعدم تصديق بالحاكم سبحانه؛ لأنَّ الموحِّدين قد اشترطوا على نفوسهم في كتب الميثاق أنَّهم سلَّموا كلَّ أمورهم وأموالهم وأحوالهم بِيَدِ الحاكم سبحانه من غير فحصٍ ولا جدال، وأنَّهم عَبيده، ومتى قال الإنسان مثلَ هذا وقعَ في الإنكار والارتداد، وهذا نفسُ الكفر.

س: ما القول في باقي الطوائف الذين يقولون: إنَّنا نعبد الربَّ الخالق؟

ج : لا اعتبارَ لقولهم؛ لكونهم لم يعرفوا الحاكم أنَّه الرب، فعبادتهم تكون باطلة.

س: مَن مِن الحدود نصَّ على حكمة التوحيد التي بُني عليها ديننا؟

ج : نصَّ على ذلك ثلاثةٌ؛ وهم: حمزة، وإسماعيل، وبهاء الدِّين.

س: إلى كم قسم ينقسم العلم؟

ج : إلى خمسة أقسام: قسمان يخُصَّان الدِّين، وقسمان يخصَّان الطبيعة، والقسم الخامس الأكبر، وهو الحقيقي، هو علم الدُّروز، وهو حكمة عبد مولانا حمزة بن علي.

س: إلى كم قسم ينقسم كلٌّ منها؟

ج : إلى أقسام شتَّى، ولكنَّ هذه الأربعة أقسام؛ قسمان منها يجمعان أصناف الأديان كلَّها، وقسمان منها يجمعان علوم الطبيعة كلَّها، والخامس كما قيل: إنَّه أكبرها، وهو الحقيقي.

س: كيف نعرف أخانا الموحِّد إذا رأيناه في الطريق، أو خطرَ مارًّا علينا، أو يقول: إنَّه منَّا؟

ج : بعد السلام وبسط الكلام نسأله: في بلادكم فلَّاحون يزرعون الهَلِيلَج؟ فإذا أجاب: نزرعه في قلوب المؤمنين، ثم نسأله: هل تعرف الحدود؟

فإن أجاب: نعم - يكون لا محالةَ أخانا، وإلَّا فيكون غريبًا عنَّا.

س: ما هي الحدود؟

ج : خمسة؛ وهم الذين نصبَهم الحاكم لدعوة التوحيد؛ وهم: حمزة، وأبو الخير بهاء الدِّين.

س: كيف انفصل النُّصيريَّة عن الموحِّدين وخرجوا عن دين مولانا سبحانه؟

ج : انفصلوا بدعوة النُّصير النَّمِر لهم؛ إذ زعمَ أنَّه عبد مولانا أمير المؤمنين، وجحدَ لاهوتَ الحاكم سبحانه، واعترفَ بلاهوت عليٍّ بن أبي طالب الأساس، وقال: إنَّ اللاهوت ظهرَ في الأئمَّة الاثني عشر آل البيت، وغابَ من بعد أن ظهرَ في محمَّد المهديِّ القائم، واختفى في السماء، ولبسَ الحُلَّة الزرقاء، وركَّز في الشمس، وأنَّ النُّصيريَّة كلَّما خَفِيَ واحد منهم بطريق الانتقال في الأدوار ورجعة العالم ولُبسه ثوبَ البشريَّة بعد الصَّفاء - يرجع فيصير نجمًا في السماء وهو مركزه، وإن عملَ معصية تخالف أُلوهيَّة عليٍّ بن أبي طالب أمير المؤمنين الربِّ الأعلى يعود يحيا مثل يهوديٍّ أو مسلم سُنِّيٍّ أو نصراني، إلى أن يظهرَ مثل الفضَّة الروباص، ويرجع فيصير نجمًا في السماء، وأنَّ الكَفَرة الذين ما عبدوا عليًّا، ولا عرفوا أنَّه الإله العظيم يصيرون جِمالًا وبِغالًا وحَميرًا وكِلابًا وغنمًا للذبح ومثل ذلك، ولهم مناقب كثيرة، وكتب كفريَّة، لكن الوقت إلى شرحها ضيِّق.

س: ما هي نقطة البيكار؟

ج : حمزة بن علي.

س: ما هو الصِّراط المستقيم؟

ج : هو حمزة بن علي؛ الذي يُقال له: قائم الحقِّ وإمام الزمان، وهو العقل والسابق، والنبيُّ الكريم وعِلَّة العِلَل.

س: مَن هو ذو معه؟
ج : هو آدم الجزئي، وهو هرمس، وهو إدريس، وهو يوحنَّا، وهو إسماعيل بن محمَّد التميمي الداعي، وفي دور محمَّد بن عبد الله كان يُقال له: المِقداد.
س: مَن هو القديم والأزلي؟
ج : القديم هو حمزة، والأزليُّ أخوه إسماعيل النفس.
س: ما معنى أرجل الحَسَكَة؟
ج : أرجل الحسكة هم النُّذُر الثلاثة: يوحنَّا، ومُرْقُص، ومَتَّى.
س: من هم حُمَّال الحكمة؟
ج : هم النُّذر: يوحنَّا، ومُرْقُص، ولُوقا.
س: كم سنة أنذروا؟
ج : إحدى وعشرين سنة، كلُّ واحد منهم سبعَ سنين.
س: كيف كان إنذارهم؟
ج : كانوا يبشِّرون بقدوم المسيح الحقِّ.
س: مَن هو سفير القُدرة؟
ج : هو محمَّد بن وهب القرشي، وهو الكلمة، وهو الأخ الثالث.
س: كيف كان الحدود يسلِّمون على الحاكم إذا حضروا أمامَه؟
ج : كانوا يقولون بصوت خفيٍّ: منك يا مولانا السلام، وإليك يعود السلام، وأنت أحقُّ بالسلام، ودعوتك دار السلام، تباركتَ وتعاليتَ يا ربَّنا يا ذا الجلال والإكرام.
س: ما هو المقتني؟
ج : هو بهاء الدِّين عليُّ بن أحمد السوقي.
س: مَن هنَّ الخمس العَذارى الحكيمات؟

ج : هم حدود دعوة الوجود.

س: مَن هنَّ الخمس العَذارى الجاهلات؟

ج : حدود الشريعة.

س: ما هي حروف السَّدف؟

ج : مئة وأربعة وستُّون عددًا وهم: الدُّعاة، والنُّقَّاد، والمكاسرون، وجميع الأنبياء الذين تنبَّؤوا بمولانا الحاكم سبحانه.

س: ما هي حروف الكذب؟

ج : ستَّة وعشرون وهم: دليل إبليس، وأولاده، وزوجته، وهم: محمَّد، وعلي، وأولاده الاثنا عشر إمامًا الذين يعتقد بهم المناولة.

س: مَن الحدود الثلاثة التي لا تتشخَّص ولا تنكشِف إلَّا في أيَّام حمزة قائم الزمان؟

ج : هي الإرادة والمشيئة والكلمة، وهم: يوحنَّا ومُرْقُص ومتَّى في دَور المسيح، والمِقداد ومضعون الفقاري والبولاد في دَور محمَّد، وهم: إسماعيل النفس ومحمَّد وبهاء الدِّين في دَور حمزة.

س: كيف يقول في رسالة خمار بن جيش السليماني العكاوي: إنَّه أخو مولانا سبحانه؟

ج : كان ذلك ظاهرًا؛ حتى يزيدَ خمارًا على ضلالته ضلالًا، ويقيمَ عليه الحجَّة ويقتلَه.

س: ما معنى ركوب مولانا الحمير بغير سروج؟

ج : الحمار مثال الناطق، وركوب مولانا الحمار دليلٌ على هدم الشريعة وإبطالها، وقد قال تعالى في القرآن تصديقًا لذلك: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: ١٩]، وهم حدود الشريعة.

س: ما معنى لُبس مولانا الصُّوف الأسود؟

ج : لأنَّه لِبس الحزن، ويدلُّ على المحنة التي صارت على الموحِّدين عِبَاد مولانا بعدَه.

س: ما هذه البنايات التي في مصر التي يُقال لها: الأهرام، وما الغاية منها؟

ج : مولانا شادَها؛ لحكمةٍ أرادَها.

س: ما هي الحكمة بذلك؟

ج : لأجل الحُجَج والمواثيق التي أخذَها مولانا على العالمين؛ لتُحفظَ هنالك إلى يوم الدِّين.

س: ما هو السبب حتى يظهرَ الحاكم في كلِّ شريعة؟

ج : حتى يؤيِّدَ الموحِّدين، ويثبتوا في عبادته، ويعرفوا أنَّ الذي يُقيم الشريعة إبليس، فلا يصدِّقوا قولَه.

س: كيف ترجع النفوس إلى أجسادها بعد الموت؟

ج : تخرج النفس من جسدها، وتحلُّ في جسدٍ آخر بحكم التناسُخ، فكلَّما ماتَ إنسان يولد آخر.

س: ما هي الحدود؟

ج : هي الوزراء الخمسة.

س: مَن هو قائم الزمان؟

ج : هو حمزة بن علي.

س: ما هو اسم المسلمين؟

ج : التنزيل، وأهل التنزيل؛ لأنَّهم يقولون: نزلَ القرآن.

س: ما هو اسم النصارى؟

ج : التأويل، وأصحاب التأويل؛ لأنَّهم أوَّلوا كلام الإنجيل.

س: ماذا يصير بالعاقل إذا زنى؟

ج : يجب عليه إذا ثابَ أن يتَّضعَ ويقصدَ العُقَّال سبع سنوات ويبكي، وإن لم يتب يموت موتَ المرتدِّ الكافر.

س: ماذا خلَّفَ لنا مولانا سبحانه لمَّا غاب؟

ج : كتبَ سِجِلًّا، وعلَّقه على باب الجامع، وسمَّاه السِّجِلَّ المعلَّق.

س: كيف القول في محمَّد الذي يقول عن نفسه: إنَّه ابن مولانا سبحانه؟

ج : حاشاه! فإنَّ ادِّعاءَه كذبٌ وبهتان؛ لكونه ابنَ الجارية الخادمة، وكان مولانا يقول له: «ظاهر أنَّه ابنه».

س: ماذا فعل محمَّدٌ لمَّا غابَ الحاكم عن أمَّته؟

ج : جلس على الكرسي، وقال للناس: اعبدوني كما عبدتُّم أبي.

س: هل أقرَّت الناس له بذلك وخضعت لأمره؟ وماذا قالوا له؟

ج : أجابه حمزة: مولانا سبحانه لم يَلِد ولم يولد!

فقال: ابن مَن أنا إذًا؟!

أجابه حمزة: لا نعلم.

فقال محمَّد: ابن زنا أنا إذًا؟!

أجابه حمزة: شهادتك هذه على نفسك هي الحق.

س: فمَن كان إذًا محمَّد بن الحاكم بالظاهر ؟

ج: كان بالحقيقة محمَّد بن عبد الله.

س: لماذا تأخَّر مولانا عن قتله لمَّا ادَّعى بأنَّه ابنه؟

ج : استعمل الحكمةَ؛ ليبيِّن شدَّة محنته، ورِفقَه بالعبيد، ولكي يزيدَ أجر الموحِّدين، ويُلقيَ اللَّوم على المشركين.

س: ما القصد بذكر الجنِّ والملائكة في كتب الحكمة؟

ج : المراد بالجنِّ والشياطين والأبالسة: الناسُ الذين ما أطاعوا لدعوة الوجود، وأمَّا الشياطين أرواح بلا أجساد - كما يزعم أهل الخُرافات

- فلا وجودَ لها، والمراد بالملائكة: الموحِّدون المستجيبون لدعوة مولانا الحاكم سبحانه، وهو الربُّ المعبود في كلِّ الأدوار.

س: ما هي الأدوار؟

ج: هي شرائع الأنبياء الذين قال عنهم أهل الظاهر: إنَّهم أنبياء؛ مثل آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمَّد، وشُعيب، وهؤلاء كلُّهم نفسٌ واحدةٌ انتقلت من جسد إلى جسد، وهم إبليس اللَّعين، والحارث ابن الترماخ، وآدم العاصي الذي أخرجَه من الجنَّة وأبعدَه مولانا سبحانه من علم التوحيد.

س: ماذا كانت وظيفة إبليس عند مولانا؟

ج: كان عبدًا عزيزًا، ومن حيث إنَّه ما أطاع لحمزة الوزير الكبير لعنَه مولانا وأخرجَه من جنَّة الدَّعوة.

س: مَن هم الملائكة الكبار حُمَّال العَرْش؟

ج: هم الحدود الخمسة؛ أي: جبرائيل وهو حمزة، وميكائيل أخوه الثاني وهو محمَّد بن وهب، وإسرافيل وهو سلامة بن عبد الوهاب، وعزرائيل وهو عليُّ بن أحمد، ومصطرون الذي هو بهاء الدِّين، وهؤلاء هم الوزراء الخمسة الذين يُقال لهم: السابق، والتالي، والجسد، والفتح، والخيال.

س: مَن هم الحُرَم الأربعة؟

ج: إسماعيل، ومحمَّد، وسلامة، وعلي، وهم الكلمة، والنفس، وبهاء الدِّين، وأبو الخير.

س: لماذا يدعون حُرَمًا؟

ج: لأنَّ حمزة بمقام الرجل، وهم عندَه بمنزلة النِّساء بالطاعة والخضوع له.

س: ماذا يجب أن نقولَ في الإنجيل الذي عند النصارى؟

ج : حقٌّ لا ريبَ فيه؛ لأنَّه من أقوال المسيح الحق، وهو سَلمان الفارسيُّ في دَور محمَّد، الذي هو حمزة بن علي، لا المسيح بن مريم.

س: أين كان المسيح الحقُّ لمَّا كان المسيح بن يوسف مع التلاميذ؟

ج : كان معه في جملة التلاميذ، وكان ينطق بالإنجيل، ويعلِّم المسيح بن يوسف ويقول له: اعمَل ما هو كذا وكذا؛ حسبَ دين النصارى، وكان يسمع له قوله، ولمَّا خالفَ قولَ المسيح الحقِّ ألقى في قلب اليهود البُغضَ له فصلبوه.

س: ماذا جرى له من بعد الصلب؟

ج : وضعوه في قبره، وجاءه المسيح الحقُّ وهو حمزة وقال له: قُم، فحالًا عادَت إليه رُوحه وقامَ من الموت.

س: لماذا فعلَ هكذا؟

ج : ليُقيمَ دين النصارى؛ حتى يشتركَ الموحِّدون في دينهم، ولا يعلمَ أحدٌ بهم.

س: مَن هو الذي قامَ في القبر ودخلَ على التلاميذ والأبوابُ مغلقة؟

ج : هو المسيح الحقُّ وهو حمزة عبد مولانا ومَلاكه.

س: مَن أعلنَ الإنجيل ونشرَه؟

ج : مَتَّى، ومُرْقُص، ولُوقا، ويوحنَّا، وهم الحُرَم الأربع لمولانا المتقدِّم ذكرهم.

س: لماذا النصارى لم يوحِّدوا؟

ج : ليظهرَ فعلُ الله الحاكم بأمره كما يشاء.

س: كيف يرضى الله بالكفر والنِّفاق؟

ج : من عادة مولانا أنَّه يُضِلُّ أُناسًا ويهدي أُناسًا، كما قال القرآن: عرفَ بعضًا وأعرضَ عن بعض.

س: لماذا يعذِّب مَن كفرَ وضلَّ؟

ج : يعذِّبهم؛ لأنَّهم محلُّ غشِّه وما أطاعوه.

س: كيف يُطيع الغشوشُ، وقد ألبسَ الأمرَ عليه؟

ج : لا يُسأل عن ذلك؛ كقول القرآن: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

س: لماذا أمرَنا أن نخفيَ الحكمة؟

ج : لأنَّ فيها أسرارَ مولانا وعهدَه، وفيها خلاصَ النفوس وحياةَ الأرواح؛ فلا ينبغي كشفُها.

س: أَلَعَلَّنا بُخلاء إذ لا نريدُ خلاصَ الناس؟

ج : ليس هذا من طريق البُخل؛ وإنَّما الدعوة ارتفعَت وأُغلق الباب.

س: ما معنى إبطال الصَّوم وهو محمود؟

ج : أبطلَه مولانا؛ لأنَّ الناطق قامَ به، والصَّوم بما فيه كسر النفس مقبول، وكذلك الزكاة وهي الصَّدقة، لكن على إخوان الدِّين الموحِّدين.

س: ما القصد من الخَلوة؟

ج : القصد من ذلك كسرُ النفس، حتى إذا جاءَ الحاكم يُعطينا على قدر هِمَمنا وعملنا في هذه الدُّنيا، ويجعلنا وزراء وباشوات، وأصحاب مناصب ومراتب عالية.

ملحق:

س: بأيِّ وجهٍ يكون الإنسان في دين مولانا؟ ومَن يُدخله؟

ج : يُدخله الإمام؛ وذلك باتِّحاده مع الموحِّدين مُدَّة عامَين؛ لكي يقبلوه بينهم، وأن يكونَ واحدًا منهم، ومتى قَبِلوه يُدخله الإمام بينهم ويسلك مسلكهم.

س: كيف يكون تقدُّمه؟

ج : يقدِّمه جماعة الموحِّدين أمامَ الإمام، ويحرِّضه على حفظ السرِّ، ويعلن له الحقائق والطرائق، ويُطعمه تِينًا، ويقول له: يا رجل أتؤمن بدين النبيِّ وتريد أن تأخذَ هذا الدِّين وتصيرَ من جملة المتوحِّدين؟ فيجيب: نعم أؤمن، فيسلِّمه الحجابَ والقصد، ويصير واحدًا منهم صحيحًا تمامًا.

س: كيف يجب أن يكونَ سلوكه بعد دخوله؟

ج : يجب أن يتظاهرَ بالحِشمة والآداب، وطول الرُّوح والكلام اللائق، والهدوء والسلام، والكلام اللِّين، وبما يتظاهر به إخوانه الموحِّدون.

س: ما هو العهد الواجب عليه وما هي صورته؟

ج : هذه صورته: «باسم الإمام مولانا الأعظم الصَّمَد، المنزَّه عن العاهات والولد، القادر الذي لم يخلق ولم يولد ولم يكن له كفؤًا أحد، أنا فلان بن فلان قد نوَيتُ وعزمتُ أن أضعَ نفسي وجسدي ومالي، وحريمي وأولادي وأرزاقي وأعلامي، وكلَّ ما تملك يدي تحتَ يد الطاعة لسيِّدي ومولاي الحاكم بأمره العليِّ العلَّامة أمير الحُكَّام، صاحب الجبروت القادر على جميع الكائنات، قد سلَّمت حالي إليه، ووعدتُّه باتِّكالي عليه، وأُقِرُّ الإقرار التامَّ وأشهد أمامَ إخواني الموحِّدين وسيِّدي الإمام أنِّي قد تبرَّأت من الأديان، ولا أريد شيئًا يخالف ويناقض الوحدانيَّة، ولا أقرُّ أنَّ في السماء إلهًا معبودًا، ولا في الأرض إمامًا موجودًا سوى سيِّدي ومولاي الحاكم بأمره العالي المقتدر والحكيم بتدبيره.

وهو نَصيري ومُجيري، وإليه فوَّضتُ كلَّ أمري وتدبيري، وكرهتُ ورذلتُ كلَّ ما يبعدني عن طاعته وصدقه، وقد كتبتُ هذه الوثيقة على نفسي وأنا بصحَّة العقل والجسم، ومن كلِّ إرادتي وخاطري من دون

اغتصاب، وقد أقررتُ بالدعوات والحدود الباقية المقرِّين بمولانا الحاكم بأمره الأمين، وأذِنتُ بالشهود عليَّ وأقرُّ أمامَ الشهود بكذا وكذا من سُنَّة مولانا ومملوكه حمزة بن الهادي عدوِّ المشركين، والمنتقِم منهم بسيف مولانا وسُلطانه وحمده، لا معبودَ سواه.



مَن هو الحاكم العُبَيدي؟

وبعدُ؛ فإنَّ الحديث عن الدُّروز مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بالحديث عن الحاكم العُبيدي، وها هي ترجمته:

هو أبو عليٍّ منصور بن العزيز بن المُعِزِّ العُبيديُّ صاحب مصر والشام والحِجاز والمغرب، هلكَ في ليلة الثلاثاء لليلتين بَقِيَتا من شوَّال سنة إحدى عشرة وأربعمئة، وعمره سبع وثلاثون سنة، وقد وليَ الحكمَ في حياة أبيه وذلك في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة، ثم استقلَّ بالأمر يومَ وفاة والده، وقد دبَّرت أختُه قتله، ومالأَها عليه بعض القوَّاد.

ونقلتُ من خطِّ الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمَّد السِّلَفِيِّ - رحمه الله تعالى - أنَّ الحاكم المذكور كان جالسًا في مجلسه العامِّ - وهو حافلٌ بأعيان دولته - فقرأ بعض الحاضرين قولَه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّساء: ٦٥]، والقارئ في أثناء ذلك يُشير إلى الحاكم، فلمَّا فرغَ من القراءة قرأ شخصٌ آخر يُعرف بابن المُشَجَّر، وكان رجلًا صالحًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحَجّ: ٧٣].

فلمَّا انتهَت قراءته تغيَّر وجه الحاكم، ثم أمرَ لابن المُشَجَّر المذكور بمئة دينار، ولم يُطلق للآخر شيئًا، ثم إنَّ بعض أصحاب ابن المُشجَّر قالَ له: أنت تعرف خلُق الحاكم وكثرةَ استحالاتِه، وما نأمن أن يحنَقَ عليك، وإنَّه لا يؤاخذك في هذا الوقت، ثم يؤاخذك بعدَ هذا فتتأذَّى منه، ومن المصلحة

عندي أن تغيبَ عنه.

فتجهَّز ابن المُشَجَّر للحج وركبَ في البحر وغرق، فرآه صاحبه في النَّوم فسأله عن حاله، فقال: ما قصَّر الرُّبَّان بنا، أرسى بنا على باب الجنَّة!

رحمه الله تعالى؛ وذلك ببركةِ جميل نيَّته وحُسن قصده.

وكان الحاكم يفعل الشيء وينقضُه، وكانت ولادته بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأوَّل سنة خمس وسبعين وثلاثمئة، وكان يحبُّ الانفراد والركوب على بهيمة وحدَه، فاتَّفقَ أنَّه خرجَ ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوَّال سنة إحدى عشرة وأربعمئة إلى ظاهر مصر، وطافَ ليلته كلَّها، وأصبحَ عند قبر الفُقَّاعي، ثم توجَّه إلى شرقيِّ حُلوان ومعه ركابيَّان، فأعادَ أحدهما مع تسعة من العرب السويديِّين، ثم أعادَ الركابيَّ الآخر، وذكرَ هذا الركابيُّ أنَّه خلَّفه عند القبر والمقصبة.

وبقيَ الناس على رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دوابُّ المركب إلى يوم الخميس سلخَ الشهر المذكور، ثم خرجَ يوم الأحد ثاني ذي القَعدة مظفَّر صاحب المظلَّة وخطي الصَّقْلَبي ونسيم متولِّي السِّتر وابن تشتكين التُّركي صاحب الرُّمح وجماعة من الأولياء الكُتاميِّين والأتراك، فبلغوا دَير القصير والموضع المعروف بحلوان، ثم أمعنوا في الدخول في الجبل.

فبينما هم كذلك إذ أبصروا حمارَه الأشهبَ الذي كان راكبًا عليه المدعوَّ بالقمر وهو على قرنة الجبل، وقد ضُربت يداه بسيف فأثَّر فيهما وعليه سَرجه ولِجامه، فتتبَّعوا أثرَ الحمار في الأرض وأثرَ راجل خلفَه وراجل قدَّامَه، فلم يزالوا يقصُّون ذلك الأثرَ حتى انتهَوا إلى باب البركة التي في شرقيِّ حُلوان، فنزلَ إليها بعض الرجَّالة فوجد فيها ثيابَه وهي سبعة

جِبَاب ووجدَت مُزرَّرةً لم تُحَلَّ أزرارُها وفيها آثار السكاكين، فأُخذَت وحُملت إلى القصر بالقاهرة، ولم يُشكَّ في قتله، مع أنَّ جماعةً من المغالين في حبِّه سخيفي العقول يظنُّون حياته وأنَّه لا بُدَّ أن يظهر، ويحلفون بغَيبة الحاكم، وتلك خيالاتٌ هذَيانيَّة.

ويُقال: إنَّ أُخته دسَّت عليه مَن يقتله لأمر يطول شرحه، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمته: وكانت العامَّة تُبغضه كثيرًا، ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه في صورة قِصَص، فإذا قرأها ازدادَ غيظًا وحَنَقًا عليهم، حتى إنَّ أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورقٍ بخفَّيها وإزارها، وفي يدها قِصَّة من الشَّتم واللَّعن والمخالفة شيء كثير، فلمَّا رآها ظنَّها امرأةً فذهبَ من ناحيتها وأخذَ القِصَّة من يدها فقرأها فرأى ما فيها، فأغضبَه ذلك جدًّا، فأمرَ بقتل المرأة فلمَّا تحقَّقها من ورق ازدادَ غيظًا إلى غيظه.

ثم لمَّا وصلَ إلى القاهرة أمرَ السُّودان أن يذهبوا إلى مصر فيحرقوها، وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم، فذهبوا فامتثلوا ما أمرهم به فقاتلهم أهلُ مصر قتالًا شديدًا ثلاثة أيَّام والنار تعمل في الدُّور والحريم، وهو في كلِّ يوم - قبَّحه الله - يخرج فيقف من بعيد وينظر، فيبكي ويقول: مَن أمرَ هؤلاء العبيد بهذا؟!

ثم اجتمعَ الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف وجأروا إلى الله ﷻ واستغاثوا به؛ فَرَقَّ لهم التُّرك والمشارقة، وانحازوا إليهم وقاتلوا معهم عن حَريمهم ودُورهم، وتفاقمَ الحال جدًّا، ثم ركبَ الحاكم - لعنه الله - ففصلَ بين الفريقَين وكفَّ العبيد عنهم، وكان يُظهر التنصُّل ممَّا فعلَه العبيد، وأنَّهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه، وكان يُنفِذُ إليهم السِّلاح ويحثُّهم على

ذلك في الباطن، وما انجلى الأمر حتى احترقَ من مصر نحو ثلثها، ونُهب قريبٌ من نصفها، وسُبِيَت نساء وبنات كثيرة وفُعل معهنَّ الفواحش والمنكرات، حتى إنَّ منهنَّ مَن قتلت نفسها خوفًا من العار والفضيحة، واشترى الرجال منهم من سُبِيَ لهم من النِّساء والحريم.

قال ابن الجوزي: ثم ازدادَ ظلم الحاكم حتى عَنَّ له أن يدَّعيَ الرُّبوبيَّة، فصارَ قومٌ من الجُهَّال إذا رأوه يقولون: يا واحد يا أَحَد، يا محيي يا مميت! قبَّحهم الله جميعًا.



الباطنيَّة والإسماعيليَّة والقرامطة

وعدنا فيما سبقَ أن نتكلَّمَ عن الإسماعيليَّة والقرامطة والباطنيَّة؛ وذلك للصِّلة الوثيقة بين هذه الفِرَق وبين الدُّروز؛ فإنَّ الدُّروز إحدى فِرَق الإسماعيليَّة، وإن تفاوَتا في بعض التفاصيل، كما يجمعهما طريقةُ الباطنيَّة الذين يفسِّرون القرآن والأحاديث تفسيراتٍ باطلةً يُراد منها الاستهزاء بالدِّين والزَّندَقة؛ فيزعمون أنَّ للنُّصوص باطنًا وظاهرًا، وأنَّهم يأخذون بالباطن، وينتسبون للإسلام سَترًا لكفرهم، وجُلُّ هذه الفِرَق من المجوس واليهود، وهم يريدون القضاء على الإسلام، وتقويضَ دعائمه؛ حقدًا وبغيًا، وأملًا في عودة دولتهم الزائلة.

وقد وقفَ حُكَّام المسلمين وعلماؤهم لهذه الفِرَق الضالَّة بالمرصاد، فحاربوهم باللِّسان والسِّنان وشتَّتوا شملَهم، وكلَّما رأوا منهم إطلالةً قمعوها، وقد أجمعَ علماء المسلمين على كفر هذه الطوائف، وحذَّروا من إلحادهم، وأوضحوا مكائدهم، وكشفوا أسماءهم وألقابهم.

هذه كانت حالةَ علماء الإسلام معهم على اختلاف العصور، ونحن إذ نُورِد مقتطفاتٍ موجزةً اقتضاها المقام فإنَّ ما قاله العلماء في ذلك كثيرٌ جدًّا، فمَن أرادَ التوسُّع فليرجع إليه في مظانِّه؛ ليجدَ ما يشفي العِلَّة، ويروي الغُلَّة.

وقال العلَّامة الشيخ عبد القاهر بن طاهر التميميُّ البغداديُّ المتوفَّى سنة ٤٢٩هـ في كتابه "الفَرق بين الفِرَق"، في ذكر الباطنيَّة وبيان خروجهم عن جميع فِرَق الإسلام:

«اعلموا - أسعدكم الله - أنَّ ضررَ الباطنيَّة على فِرَق المسلمين أعظم من ضررِ اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظمُ من مضرَّة الدهريَّة وسائر أصناف الكَفَرَة عليهم، بل أعظمُ من ضررِ الدَّجَّال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأنَّ الذين ضلُّوا عن الدِّين بدعوة الباطنيَّة من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثرُ من الذين يضلُّون بالدَّجَّال في وقت ظهوره؛ لأنَّ فتنة الدَّجَّال لا تزيد مُدَّتها عن أربعين يومًا، وفضائح الباطنيَّة أكثر من عدد الرَّمْل والقَطْر.

وقد حكى أصحاب المقالات أنَّ الذين أَسَّسُوا دعوة الباطنيَّة جماعة؛ منهم: مَيمون بن دَيْصَان المعروف بالقدَّاح، وكان مولًى لجعفر بن محمَّد الصادق، وكان من الأهواز، ومنهم: محمَّد بن الحسين الملقَّب بدندان، اجتمعوا كلُّهم مع ميمون بن دَيْصَان في سجن والي العراق، فأسَّسوا في ذلك السِّجنِ مذاهبَ الباطنيَّة.

ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السِّجن من جهة المعروف بدندان، وابتدأَ بالدَّعوة في ناحية توز فدخلَ في دينه جماعةٌ من أكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين، ثم رحلَ ميمون بن دَيْصَان إلى ناحية المغرب، وانتسبَ في تلك الناحية إلى عَقيل بن أبي طالب، وزعمَ أنَّه من نسله، فلمَّا دخلَ في دعوته قومٌ من غُلاة الرافضة والحلوليَّة منهم، ادَّعى أنَّه من ولد محمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق؛ فقبلَ الأغبياء ذلك منه، على جهل منهم بأنَّ محمَّد بن إسماعيل بن جعفر ماتَ ولم يُعقب عند علماء الأنساب.

ثم ظهرَ في دعوته إلى دين الباطنيَّة رجلٌ يُقال له: حمدان قِرْمِط؛ لُقِّب بذلك لقَرمطةٍ في خطِّه أو خَطوِه، وكان في ابتداء أمره أَكَّارًا من أَكَرَة سواد الكوفة، وإليه تُنسَب القرامطة.

ثم ظهرَ بعده في الدَّعوة إلى البدعة أبو سعيد الجَنَّابي، وكان من مُستجيبةِ حمدان، وتغلَّب على ناحية البحرَين، ودخل في دعوته بنو سنير، ثم لمَّا عادت الأيَّام بهم ظهرَ المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن دَيْصَان القدَّاح، فغيَّر اسمَ نفسِه ونسبَه، وقال لأتباعه: أنا عبيد الله بن الحسين بن محمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ثم ظهرت فتنتُه بالمغرب، وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر.

وظهرَ منهم المعروف بابن زَكْرَوَيه بن مِهْرَوَيه الدنداني، وكان من تلامذة حمدان قِرْمِط، وظهرَ مأمون أخو حمدان قِرْمِط بأرض فارس، وقَرامطةُ فارس يُقال لهم: المأمونيَّة لأجل ذلك.

وذكر أصحاب التواريخ أنَّ الذين وضعوا أساس دين الباطنيَّة كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يَجسُروا على إظهاره؛ خوفًا من سيوف المسلمين، فوضعَ الأغمار منهم أُسُسًا مَن قَبِلَها صارَ في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأوَّلوا آياتِ القرآن وسُنَنَ النبيِّ - عليه السلام - على مُوافقة أُسُسِهم.

وبيانُ ذلك أنَّ الثَّنوِيَّة زعمَت أنَّ النُّور والظُّلمة صانعان قديمان، والنُّور منهما فاعل الخيرات والمنافع، والظلام فاعلُ الشرِّ والمضارِّ، وأنَّ الأجسام ممتزجةٌ من النُّور والظُّلمة، وكلُّ واحد منهما مشتملٌ على أربع طبائع؛ وهي: الحرارة، والبرودة، والرُّطوبة، واليُبوسة، والأصلان الأوَّلان مع الطبائع الأربع مدبِّرات هذا العالم.

وشاركهم المجوسُ في اعتقاد صانعَين، غير أنَّهم زعموا أنَّ أحد الصانعَين قديم وهو الإله الفاعل للخيرات، والآخر شيطانٌ مُحدَثٌ فاعلٌ للشُّرور.

وذكرَ زعماء الباطنيَّة في كتبهم أنَّ الإله خلقَ النفس، فالإله هو الأوَّل والنفس هو الثاني، وهما مدبِّرا هذا العالم، وسمَّوهما: الأوَّل والثاني، وربَّما سمَّوهما: العقل والنفس، ثم قالوا: إنَّهما يدبِّران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأُوَل.

وقولهم: إنَّ الأوَّل والثانيَ يدبِّران العالم، هو بعينه قولُ المجوس، بإضافة الحوادث لصانعَين؛ أحدهما قديم والآخر مُحدَث، إلَّا أن الباطنيَّة عبَّرت عن الصانعَين بالأوَّل والثاني، وعبَّر المجوسُ عنهما بيزداد وأهرمن.

فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنيَّة، ووضعوا أساسًا يؤدِّي إليه، ولم يُمكنهم إظهارُ عبادة النِّيران، فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين: ينبغي أن تُجَمَّر المساجد كلُّها، وأن تكونَ في كلِّ مسجد مِجْمَرَة يوضع عليها النَّدُّ والعُود في كلِّ حال.

ثم إنَّ الباطنيَّة لمَّا تأوَّلت أصولَ الدِّين على الشِّرك احتالت أيضًا لتأويل أحكام الشريعة على وجوهٍ تؤدِّي إلى رفع الشريعة، أو إلى مثل أحكام المجوس.

والذي يدلُّ على أنَّ هذا مرادُهم بتأويل الشريعة أنَّهم قد أباحوا لأتباعهم نِكاح البنات والأخوات، وأباحوا شربَ الخمر وجميع اللذَّات.

ويؤكِّد ذلك أنَّ الغلام الذي ظهرَ منهم بعد سليمان بن الحسن القِرمِطيِّ سَنَّ لأتباعه اللِّواط، وأوجبَ قتل الغلامِ الذي يمتنع ممَّن يريد الفُجورَ به، وأمرَ بقطع يدِ من أطفأ نارًا بيده، وبقطع لسان مَن أطفأها بنفخه، وهذا الغلام هو المعروف بابن أبي زكريَّا الطامي، وكان ظهوره في سنة تسعَ عشرةَ وثلاثمئة، وطالت فتنته إلى أن سلَّطَ الله عليه مَن ذبحَه على فراشه.

ويؤكِّد ما قُلناه من مَيل الباطنيَّة إلى دين المجوس أنَّا لا نجد على ظهر

الأرض مجوسيًّا إلَّا وهو مُوادٌّ لهم، منتظرٌ لظهورهم على الدِّيار؛ يظنُّون أنَّ المُلكَ يعود إليهم بذلك.

وخرج منهم: سليمان بن الحسن من الأحساء على هذه الدَّعوى، وتعرَّض للحَجيج، وأسرفَ في القتل منهم، ثم دخلَ مكَّة ومزَّقَ أستار الكعبة، وطرحَ القتلى في بئر زمزم، وقتلَ مَن كان في الطواف، وأغارَ على أستار الكعبة، وكسرَ عساكرَ كثيرةً من عساكر المسلمين، وانهزمَ في بعض حروبه إلى هَجَر، فكتبَ للمسلمين قصيدةً يقول فيها:

أغَرَّكُمُ مِنِّي رُجوعي إلى هَجَرْ ... وعَمَّا قَليلٍ سَوفَ يأتيكُمُ الخَبَرْ
إذا طَلَعَ المِرِّيخُ في أرضِ بابِلٍ ... وقارَنَهُ النَّجْمانِ فالحَذَرَ الحَذَرْ
ألَستُ أنا المَذكورَ في الكُتْبِ كُلِّها ... ألَستُ أنا المَبعوثَ في سُورةِ الزُّمَرْ؟!
سأَملِكُ أهلَ الأرضِ شَرقًا ومَغرِبًا ... إلى قَيْرَوانِ الرُّومِ والتُّركِ والخَزَرْ

وأرادَ بالنَّجمَين: زُحَل والمُشتَرِي، وقد وُجِدَ هذا القرآن في سنين ظهوره، ولم يملك من الأرض شيئًا غيرَ بلدته التي خرجَ منها، وطَمِعَ في أن يملكَ سبعَ قِراناتٍ وما مَلَكَ سبعَ سنين، بل قُتِل بهِيت؛ رَمَته امرأةٌ من سطحها بلَبِنَةٍ على رأسه فدَمَغَته، وقتيلُ النِّساء أخسُّ قتيل وأهونُ فقيد.

ثم إنَّ الباطنيَّة خرجَ منهم: عبد الله بن الحسين بناحية القَيرَوان، وخدعَ قومًا من كُتامة، وقومًا من المَصامِدَة، وشِرذِمةً من أغتام بربر بحِيَلٍ ونِيرَنْجات أظهرَها لهم؛ كرؤية الخَيالات باللَّيل من خلف الرِّدَاء والإزار، وظنَّ الأغمارُ أنَّها معجزة له؛ فتَبِعوه لأجلها على بدعته، فاستولى بهم على بلاد المغرب.

ثم خرجَ المعروف منهم بأبي سعيد الحسن بن بَهْرام على أهل الأحساء والقَطِيف والبحرين، فأتى بأتباعه على أعدائه، وسبى نساءَهم وذراريَهم،

وأحرقَ المصاحف والمساجد، ثم استولى على هَجَر وقتلَ رجالها، واستعبدَ ذراريَهم ونساءهم.

ثم ظهرَ المعروف منهم بالصناديقيِّ باليمن، وقتلَ الكثير من أهلها، حتى قتلَ الأطفال والنِّساء، وانضمَّ إليه المعروف منهم بابن الفضل في أتباعِه، ثم إنَّ الله سلَّط عليهما الأَكَلَةَ والطاعون فماتوا بهما...».

إلى أن يقولَ الشيخ عبد القاهر: «الذي يَصِحُّ عندي من دين الباطنيَّة أنَّهم دهريةٌ زنادقةٌ، يقولون بقِدَم العالم، وينكرون الرُّسلَ والشرائعَ كلَّها؛ لمَيلِهم إلى استباحة كلِّ ما يميل إليه الطَّبْع، والدَّليل على أنَّهم كما ذكرناه ما قرأتُه في كتابهم المترجَم بـ"السِّياسة والبلاغ الأكيد، والناموس الأعظم"؛ وهي رسالة عبيد الله بن الحسين القَيرَوانيِّ إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجَنَّابيِّ، أوصاه فيها بأن قالَ له: ادعُ الناس بأن تتقرَّبَ إليهم بما يميلون إليه، وأَوهِم كلَّ واحد بأنَّك منهم، فمَن آنستَ منه رشدًا فاكشِف له الغِطاء، وإذا ظَفِرتَ بالفلسفيِّ فاحتفِظ به، فعلى الفلاسفة مُعَوَّلُنا، وإنَّا وإيَّاهم مُجمِعون على ردِّ نواميس الأنبياء، وعلى القول بقِدَم العالم، لولا ما يُخالفنا فيه بعضُهم من أنَّ للعالم مدبِّرًا لا نعرفه.

وذكرَ في هذا الكتاب إبطالَ القَول بالمَعاد والعِقاب، وذكر فيه أنَّ الجنَّة نعيم الدُّنيا، وأنَّ العذابَ إنَّما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصِّيام، والحجِّ والجهاد، وقالَ أيضًا في هذه الرِّسالة:

إنَّ أهل الشرائع يعبدون إلهًا لا يعرفونه، ولا يحصلون منه إلَّا على اسمٍ بلا جِسم.

وقال فيها أيضًا: كَرُمَ الدَّهريَّة! فإنَّهم منَّا ونحن منهم.

وفي هذا تحقيق نسبةِ الباطنيَّة إلى الدَّهريَّة.

وقد قالَ القَيرَوانيُّ في رسالته إلى سليمان بن الحسن: إنِّي أُوصيكَ بتشكيك الناس في القرآن والتَّوراة والزَّبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المَعاد والنُّشور من القُبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجنِّ في الأرض، وأُوصيكَ بأن تدعوَهم إلى القول بأنَّه كانَ قبل آدم بشرٌ كثير؛ فإنَّ ذلك عونٌ لك على القَول بقِدَم العالم.

وفي هذا تحقيقُ دعوانا على الباطنيَّة أنَّهم دَهريَّة، يقولون بقِدَم العالم ويجحدون الصانع، ويدلُّ على دعوانا عليهم القولَ بإبطال الشرائع أنَّ القَيرَوانيَّ قال أيضًا في رسالته إلى سليمان بن الحسن: وينبغي أن تُحيطَ علمًا بمخاريفِ الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم؛ كعيسى بن مريم قال لليهود: «لا أرفعُ شريعة موسى»، ثم رفعَها بتحريم الأحد بدلًا من السبت، وأباحَ العمل في السبت، وأبدلَ قِبلَةَ موسى بخلاف جِهتها؛ ولهذا قتلَه اليهود لمَّا اختلفَت كلمته.

ثم قال له: ولا تكن كصاحب الأمَّة المنكوسة... بشرائع أصحاب النَّواميس؛ فهنيئًا لكم ما نِلتُم من الراحة عن أمرهم.

وفي هذا الذي ذكرناه عنهم دلالةٌ على أنَّ غرضَ الباطنيَّة القول بمذهب الدَّهريَّة، واستباحة المحرَّمات، وترك العبادات...».

إلى آخر ما ذكرَه هذا العالم الفاضل رحمه الله.

وممَّا يكشف مذهبَ الباطنيَّة ما قالَه الشاعر الباطنيُّ يمدح عليَّ بن فضل الجَحْدَريَّ الذي خرجَ في اليمن وادَّعى النبوَّة، وأظهرَ مذهبه في الكفر واستحلال المحرَّمات، وتزوُّج الأخوات، والتي سبقَ ذكرُها:

خُذِي الدُّفَّ يا هذهِ والعَبي ... وغَنِّي هَزارَيكِ ثُمَّ اطْرَبي

تَولَّى نَبيُّ بَني هاشِم ... وهذا نَبيُّ بَني يَعرُبِ
لِكُلِّ نَبيٍّ مَضى شِرعَةٌ ... وهَذِي شَرائِعُ هذا النَّبي
فقَد حَطَّ عنَّا فُروضَ الصَّلاةِ ... وحَطَّ الصِّيامَ فَلَم يُتعِبِ
إذا النَّاسُ صَلَّوا فَلا تَنهَضي ... وإن هُمُ صامُوا كُلي واشرَبي
ولا تَطلُبي السَّعيَ عِندَ الصَّفا ... ولا زَوْرَةَ القَبرِ في يَثرِبِ
ولا تَمنَعِي نَفسَكِ المُعرِسينَ ... مِنَ الأقرَبينَ ومِن أَجنَبي
فكَيفَ حَلَلتِ لهذا الغَريبِ ... وصِرتِ مُحرَّمَةً لِلأَبِ؟!
ألَيسَ الغِراسُ لِمَنْ رَبَّهُ ... ورَوَّاهُ في الزَّمَنِ المُجدِبِ؟!
وما الخَمرُ إلَّا كَماءِ السَّماءِ ... مُحَلٌّ، فَقُدِّستَ مِن مَذهَبِ

ومَن أرادَ الاطِّلاع على مذهب الباطنيَّة والقرامطة فليراجع: كتاب "المنتظم في التاريخ" للحافظ ابن الجوزي، وكتاب: "نقد العلم والعلماء" أو "تلبيس إبليس" له، وكتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأَثير، وكتاب "البداية والنِّهاية" للحافظ ابن كثير، وكتاب "تاريخ الإسلام" للحافظ الذهبي، وكتاب "المِلَل والنِّحَل" للشَّهْرَسْتاني، وكتاب "الفِصَل" لابن حَزم، وكتاب "كشف أسرار الباطنيَّة" وغيرها.

وسيجدُ فيها ما يروي ظمأه، ويجلو ما غَمَضَ من أمر هذه الطوائف التي انتسبت للإسلام زورًا وهي ألدُّ أعدائه.

وبهذا القدر نكتفي من الكلام على الباطنيَّة والإسماعيليَّة والقرامطة، وقد عُرفَ ممَّا سلفَ أنَّ هذه الفِرقَ خارجةٌ عن حَظيرةِ الإسلام، كما أنَّ فِرقةَ الدُّروز هي أيضًا من الفِرَق الضالَّة الخارجة عن الإسلام بإجماع المسلمين، كما تقدَّم بيانُ ذلك.

أمَّا إذا جاء اليوم مَن يدَّعي زعامةً في العلم، ليقول: إنَّهم مسلمون مؤمنون موحِّدون، فإنَّ تلك زلَّةٌ خطيرة، وفتوى طائشة، ولسنا في حاجة إلى أن نبحثَ عن الأسباب والمسبِّبات فهي واضحة، والدوافع إلى تلك الفتوى غيرُ خفيَّة؛ إنَّها استجابةٌ لرغبة حُكَّام، ومجاراةٌ لأسلوب السياسة التي تريد أن تسيِّر الدِّين وعلماءَه وَفْقَ أهوائها المتذَبذِبة.

وقد رأينا لذلك المدَّعي زعامةً في العلم بحكم وظيفته، فتاوى مخالفةً لإجماع المسلمين وليس مثلُه ممَّن يجهلها، ولكنَّها الأهواء والسِّياسة، فقد أباحَ ذلك الشخص الرِّبا رغمَ إجماع المسلمين على تحريمه، وله فتاوى من ذلك النَّمَط، ولكنَّ الإسلام لن يعدَمَ أنصارًا.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، والله ناصرٌ دينَه والمدافعين عنه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمَّد: ٧]، وما أردنا بذلك إلَّا الحقَّ، والله المستعان.



مصادر التلقِّي عند الدُّروز

ذكرَ الأستاذ محمَّد علي الزعبي[(١)] في كتابه "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" بحثًا مفيدًا رأينا من المناسب نقلَه، قال:

«**مصادر حمزة:**

١- من الوثنيّة والباطنيّة:

إخوان الصَّفا: هم مصادر رئيسة لحمزة أكادُ أرى حمزة امتدادًا لهم، وقد سلكَ طريقهم؛ مناديًا باستقائه من الأديان معانيَ خَفِيَت حتى على الرُّسل، وردَّدَ هذا النِّداء كثيرون؛ منهم: توفيق سلمان الذي انتدبتَه مشيخةُ العَقل ليعلِّم طلابَ الدُّروز دينًا (راجع كتابه صفحة **٣١**).

لقد التقى حمزةُ بجميع الدُّهاة الحاقدين، واستعانَ بأمضى أسلحتهم، وقلَّدَهم بأنَّ هناك مخلوقات ليست ثمرةَ زواج إلَّا فيما يبدو للناس، وتعدُّدهم لا يفضي إلى تعدُّد ذات الله أو النَّقص منها؛ سلكَ هذا السبيل ليُجهز على:

١- وَحدانيَّة الله المطلقة المنزَّهة بمغالطة التجلِّيات.

٢- الرِّسالة المحمَّديَّة بخرافة رسالة إسماعيل المستندةِ للأدوار والأرقام؛ لا سيَّما رقم **(٧)**.

٣- الشريعة الإسلاميَّة بما دعاه الشريعة الرُّوحيَّة، أو باطن الباطن، أو المسلك الثالث.

أرسَت سفينة الباطنيَّة شِراعَها في مَرْفأ حمزةَ بعد أن طافَت نجدًا واليمن

---

(١) انظر حاشية (ص٣٤٦). (الألوكة).

وسورية والعراق وشمال إفريقيا ولبنان والمولتان (الهند) والباكستان، فاستعانَ حمزة بكلِّ مَن رآه أهلًا، بل نازعَ قُدماء الوثنيِّين وقادَهم؛ إذ مَن اطَّلع على الفكر الوثنيِّ الذي استقاه قدَّاح من السُّوفسطائيِّين والصابئة وقارنَه بحمزةَ رآه استعارَ كثيرًا من حِجارةِ ذاك الفكر، وصقلَ بعضَها صَقلًا يناسب ظروف زمانه ومكانه؛ إذِ التأنُّس والفَيض، والإشراق والتجسُّد، والتجلِّي والنبوَّة الرُّوحيَّة، والولادة من أبوَين لكن فيما يبدو للناس، ولتواري الآلهة وعودتهم للدَّينونة متى شاؤوا، وللخمسة المحمودين، والخمسة المذمومين، وللضدِّ والمضدود، والعودة بالأقمصة، والتَّظاهُر بالمألوف - لهذا الفكر الحمزويِّ جذورٌ في تَرِكات سابقِيه.

ومَن راجعَ الشلمغانيَّ وابن أبي عَون والحَلَّاج وابنَ عربيٍّ وفلسفةَ عهد السِّتر، وضعَ كفَّه على هذه المصادر.

نعم؛ ليست الحكمة - حكمةُ حمزة - أوَّلَ القائلين بالضدِّ الرُّوحاني، والضدِّ الجُسماني، ولاهوت الله الحالِّ في خمسة حدود موجودين في كلِّ زمان ومكان؛ إذ مَن راجعَ ترجمة الشَّلْمَغانيِّ رآه أستاذَ حمزة، ومَن رأى في إخوان الصَّفا الضدَّ ليس مستحسنًا، لكنَّه كمِنقار الطَّير مكروهٌ ولا بُدَّ منه.

وليست أوَّلَ مَن رأى الجنَّة عبادة للحاكم، والنار عملًا بالشرائع؛ فقد سبقَها الشَّلْمَغانيُّ فرأى الجنَّة معرفةَ أسراره، والنارَ جهلَها؛ (راجع: ابن الأثير ٧: ١٠٩، ١١٠).

وليست أوَّلَ مَن أقامَ قُصُورًا على العناصر والطبائع، والهَيُول والأعداء، والحروف والموجودات، بالفعل أو بالقوَّة؛ فقد سبقَها اليونان والحَرَّانيُّون، وسبقَه إخوان الصَّفا وصديقُهم أبو العلاء المعرِّي، وأقطابُ عهد السِّتر من الإسماعيليَّة؛ (راجع: صفحة **٣١** من "رسالة الغفران"، و"خمس رسائل"

لعارف تامر ص ٧٥، ٧٦، ١١٨، ١١٩).

وليست أوَّلَ مَن انطوى مصمِّمًا على الانتقام القاسي؛ فقد سبقَها العهد القديم أو التَّلْمود، وأبو طاهر قطبُ القرامطة؛ (راجع: "النجوم الزاهرة" جزء **٣** صفحة **٢٢٥** نشر دار الكتب الملكيَّة بالقاهرة).

وليست أوَّلَ مَن حدَّثنا عن انبثاق العقل أو فَيضِه من النور الصافي المَحْض، أو عِلَّةِ العِلَل أو مُعِلِّ عِلَّةِ العِلَل؛ فقد سبقَها اليونان والأفلاطونيَّة الحديثة؛ (قارن بين ما تعرف حول العقل الكُلِّي من آراء ابن رشد، وصفحة **٢٠** من "النقط والدوائر" طبعة سيبولد).

وليست أوَّلَ مَن قال بتلقِّي الوحي من العقل الكُلِّي، ورأت الفلاسفةَ يتلقَّون وحيًا يفوقُ وحيَ أصحاب الشرائع؛ إذ هو لذوي العقول المستنيرة، أمَّا الشرائع فللعامَّة والسُّذَّج، والبُسَطاء المحرومين السطحيِّين الحشويِّين الظاهريِّين كالمسلمين السنَّة والشِّيعة؛ فقد سبقَها إخوان الصَّفا؛ إذ تكادُ رسائلهم تحوم حولَ هذا الموضوع بمطلق مناسبة.

وليست أوَّلَ مَن انغمسَ في مستنقع (لكلِّ ظاهرٍ باطن، ولكلِّ تنزيلٍ تأويل)؛ فقد سبقَها اليهودُ منذ عهد الصَّدوقِيِّين.

وليست أوَّلَ مَن أطلقَ كلمة ناطق وأساس، ورأى الأئمَّةَ والملوكَ آلهةً بالتجلِّي والإشراق، أو زعمَ نفسَه منبثِقًا عن الله قبل الدُّهور؛ فقد سبقَها كثيرون؛ منهم بعد الإسلام: ابن الراوَنْدِي، والإفشِين، وبابَك الخُرَّمِي؛ (راجع على الأقل: "رسالة الغفران" صفحة **٢٤ - ٣٦**).

أمَّا تطهير الأرواح بأنواع التَّمَعُّن فموضوع قديم، حاولَ الفارابيُّ أن يضعَ عليه رِداءً فلسفيًّا، ولا يزال معاصرنا يجترُّه كما سمعته منه مرارًا.

لقد ألحقَ كثيرون - منهم الفارابيُّ - النفوسَ الجاهلة بالحيوان والنبات؛ أي: استثنَوا الجاهلين من المسؤوليَّة والدَّينونَة، ومنحوا الخلودَ للعقل الكلي؛ أي: رأوا الأرواحَ روافدَ تشكِّل العقل الفلسفيَّ الخالد؛ (راجع: ابن الأثير ٧- ١٤، **٢٢٩**، وإبطال هذا الموضوع).

أمَّا إغلاق هذا الباب بوَجهِ المستجيبين فقد سبقَها به جميعُ الباطنيِّين متأثِّرين بالعهد القديم، وأمَّا إطلاق (كلمة) على بعض الحدود فقد سبقَها به اليونان مَن أرادوا بها (لوغس).

٢- **من اليهوديّة والماسونيَّة:**

أمَّا التكتُّم ودرجات المعرفة، والمواثيق والأقسام ورموز التعارف، والمجازات والكنايات، والعزم على هدم الكعبة والمسجد الأقصى، والوعد لأتباعه بامتلاك العالم، والصَّولَة على المسيح وأمِّه؛ إذ حشرَه حمزة بزُمْرة مَن دعاهم: حروف الكذب، أمَّا هذا كلَّه فقد استفاده حمزة من اليهوديَّة جَدَّة الماسونيَّة، وهي ذاتها موجودةٌ منتشرةٌ وإن كان اسمُها (القوَّة الخَفِيَّة).

٣- **مصنع حمزة الخاص:**

هذا ما استقاه حمزة من سابقيه، ولكنَّا لا ننكرُ أنَّه أسَّس مصنعًا خاصًّا أتى منه بجديد؛ فالباري، وعلي، وحارث، وشطنيل، وشرخ، والهبال، وقارت، وابن طرماخ، وداويد بن هرمس، وعزراويل بن سلمون، وأفلاطون ابن فيسون، ودانيل بن هرعطاف، وذوو جاس، وغات ديمون، وصرصر، والطم، والحرم، والحن، والبن، وذو معه، وناطق النطقاء، وإطلاق كلمة آدم على التميمي، وتعديد أسماء آدم؛ كالناسي؛ والجرماني والترابي والجزئي.

كلُّ هذه الأسماء والاصطلاحات من فكر حمزة أو حدوده أو ادِّعائه.

لقد أرادَ حمزة نفسه بكلمات: آدم السابق، وآدم الصفا، وآدم زمانكم، وردَّدت الرَّسائل والشُّروح هذه الألفاظ؛ كما نرى في "تقسيم العلوم"، و"كشف الحقائق"، و"الغاية والنَّصيحة"، و"السِّيرة المستقيمة".

بل إنَّ أتباعَ حمزة أنكروا تسلسلَه من آدم الترابي؛ كما نرى هذا في الشَّرح المنسوب للسيد، كأنَّ هذا تزيُّد لكشف الحقائق؛ إذ جاءَ بها ما نصُّه: «إنَّ وجود آدم من ماءٍ وطِين خُرافة؛ لأنَّ الناس وُلدوا من العقل والنفس، إذ هو أبوهم وهي أمُّهم».

على أنِّي أرى في تعدُّد أسماء آدم لدى حمزة معنًى بعيدًا التقى به مع اليَزِيدِيَّة؛ إذ يرون أنفسهم مخلوقين من أبوَين غير أبوي البشر؛ كما جاء هذا في "الجلوة"، و"مصحف رش".

أجل، انفردَ حمزة بهذه الاصطلاحات وسواها، ومن اطَّلع على رسالة "النقض الخفي، وما يجري أمام مولانا من الهزل" رأى حمزة قد جاء بجديد لم تستطعه أوائل الباطنيَّة، كأنَّ بضاعتهم نَفِدَت من بين يديه فأسَّس مصنعًا على طراز فريد.

وصَفوة القول: إذا استثنينا هذا المصنع استطعنا القولَ أنَّ باطنيَّة حمزة وإن دعاها باطن الباطن أو المسلك الثالث أو العدد الخامس - هي باطنيَّةُ مَن قَبْلَه في الهدف، وإن شحذَها وصَقَلَها وعدَّلَها».



العُبيديُّون

قال أبو شامَةَ في "كتاب الرَّوضتَين، في أخبار الدَّولتَين" (ج١/ القسم الثاني/ ص٥٠٩ - ٥١٦): ولمَّا خُطِبَ بالدِّيار المصريَّة لبني العبَّاس وماتَ العاضد انقرضَت تلك الدَّولة، وزالَت عن الإسلام بمصر بانقراضها الذِّلَّة، واستولى على مصر صلاح الدِّين وأهلُه ونوَّابه، وكلُّهم من قِبَل نور الدِّين رَحِمَهُ اللهُ وهم أمراؤه وخَدَمُه وأصحابُه، وفيهم يقول العَرْقَلَة:

أصبحَ المُلكُ بعدَ آلِ عَليٍّ ... مُشرِقًا بالمُلوكِ من آلِ شاذي
وغَدا الشَّرقُ يَحسُدُ الغَربَ لِلقَو ... مِ ومِصرُ تَزهُو على بَغداذِ
ما حَوَوها إلَّا بحَزمٍ وعَزمٍ ... وصَليلِ الفُولاذِ في الفُولاذِ
لا كَفِرعَونَ والعَزيزِ ومَن كا ... نَ بِها كَالخَصِيبِ والأُستاذِ

يعني بالأُستاذ: كافورًا الإخشِيدي.

وقوله: بعد آل علي؛ يعني بذلك: بني عُبيد المستخلَفين بها؛ أظهروا للناس أنَّهم شُرَفاء فاطميُّون، فملكوا البلاد، وقهَروا العِباد، وقد ذكرَ جماعةٌ من أكابر العلماء أنَّهم لم يكونوا لذلك أهلًا، ولا نسبُهم صحيحًا، بل المعروف أنَّهم بنو عُبيد.

وكان والد عُبيد هذا من نسل القدَّاح الملحِد المجوسي، وقيل: كان والد عُبيد هذا يهوديًّا من أهل سَلَمْيَة من بلاد الشام وكان حدَّادًا، وعُبيد هذا كان اسمه سعيدًا، فلمَّا دخلَ المغرب تسمَّى بعُبيد الله، وزعمَ أنَّه علويٌّ فاطميٌّ، وادَّعى نسبًا ليس بصحيحٍ لم يذكره أحدٌ من مصنِّفي الأنساب العلويَّة، بل ذكرَ جماعةٌ من العلماء بالنَّسبِ خِلافَه وهو ما قدَّمنا ذكرَه.

ثم ترقَّت به الحال إلى أن ملكَ وتسمَّى بالمهدي، وبنى المهديَّة بالمغرب ونُسِبَت إليه، وكان زِنْدِيقا خبيثًا عدوًّا للإسلام، متظاهرًا بالتشيُّع مُتَستِّرًا به، حريصًا على إزالة الملَّة الإسلاميَّة، قتلَ من الفقهاء والمحدِّثين والصالحين جماعةً كثيرة؛ وكان قصدُه إعدامَهم من الوجود؛ ليبقى العالم كالبهائم، فيتمكَّن من إفساد عقائدهم وضلالتهم، والله مُتِمُّ نورِه ولو كَرِهَ الكافرون.

ونشأت ذرِّيتُه على ذلك مُنطَوِين، يجهرون به إذا أمكنتهم الفرصة، وإلَّا أسرُّوه، والدُّعاة لهم مُنبَثُّون في البلاد، يضلُّون مَن أمكنَهم إضلالُه من العِباد، وبَقِيَ هذا البلاء على الإسلام من أوَّل دولتهم إلى آخرها، وذلك من ذي الحِجَّة سنة تسع وتسعين ومئتين إلى سنة سبع وستِّين وخمسمئة، وفي أيَّامهم كَثُرت الرافضة واستحكمَ أمرهم، ووُضِعَت المُكوس على الناس، واقتدى بهم غيرُهم وأُفسدت عقائدُ طوائف من أهل الجبال الساكنين بثغور الشام؛ كالنُّصيريَّة، والدُّرزيَّة؛ والحَشِيشيَّة نوعٌ منهم، وتمكَّن دُعاتهم منهم - لضعفِ عقولهم وجهلهم - ما لم يتمكَّنوا من غيرهم، وأخذت الفَرَنْجُ أكثر البلاد بالشام والجزيرة إلى أن مَنَّ الله على المسلمين بظهور البيت الأتابكي - وتقدَّمه مثلُ صلاح الدِّين - فاستردُّوا البلاد، وأزالوا هذه الدولة عن رقاب العباد.

وكانوا أربعةَ عشرَ مستخلَفًا: ثلاثة منهم بإفريقيَّة؛ وهم الملقَّبون بـ: المهدي، والقائم، والمنصور، وأحدَ عشرَ بمصر وهم الملقَّبون بـ: المعز، والعزيز، والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والآمر، والحافظ، والظافر، والفائز، والعاضد.

يدَّعون الشَّرَفَ ونسبتهم إلى مجوسيٍّ أو يهودي، حتى اشتهرَ لهم ذلك بين العوامِّ فصاروا يقولون: الدَّولة الفاطميَّة، والدَّولة العلويَّة، وإنَّما هي

الدَّولة اليهوديَّة أو المجوسيَّة الباطنيَّة الملحِدة، ومن قِحَتهم أنَّهم كانوا يأمرون الخُطباء بذلك على المنابر، ويكتبونه على جدران المساجد وغيرها.

وخطبَ عبدُهم جوهر الذي أخذَ لهم الدِّيار المصريَّة، وبنى لهم القاهرة المُعزِّية بنفسه - خطبةً طويلة قالَ فيها: اللهمَّ صلِّ على عبدك ووليِّك ثمرةِ النبوَّة وسليل العِترةِ الهاديةِ المهديَّة، معدٍّ أبي تميم الإمام المعزِّ لدين الله أمير المؤمنين، كما صلَّيتَ على آبائه الطاهرين، وسَلَفِه المنتَخَبين، الأئمَّة الراشدين.

كذبَ عدوُّ الله اللعين، فلا خيرَ فيه، ولا في سَلَفِه أجمعين، ولا في ذرِّيته الباقين، والعِترَةُ النبويَّة الطاهرة منهم بمعزِل، رحمةُ الله عليهم وعلى أمثالهم من الصَّدر الأوَّل.

وقد بيَّنَ نسبَهم هذا وأوضحَ حالهم وما كانوا عليه من التمويه وعداوة الإسلام - جماعةٌ من سلف الأئمَّة والعلماء، وكلُّ متورِّع منهم لا يسمِّيهم إلَّا بني عبيد الأدعياء؛ أي: يدَّعون من النَّسَبِ ما ليس لهم، ورحمةُ الله على القاضي أبي بكر محمَّد بن الطيِّب؛ فإنَّه كشفَ في أوَّل كتابه المسمَّى بـ"كشف أسرار الباطنيَّة" عن بطلان نسب هؤلاء إلى عليٍّ - رضي الله عنه - وأنَّ القدَّاح الذي انتسبوا إليه دعيٌّ من الأدعياء، مُمخرِقٌ كذَّاب، وهو أضلُّ دعاة القرامطة لعنهم الله.

وأمَّا القاضي عبد الجبَّار البصريُّ فإنَّه استقصى الكلام في أصولها، وبيَّنها بيانًا شافيًا في آخر كتاب "تثبيت النبوَّة" له.

وقد نقلتُ كلامهما في ذلك وكلامَ غيرهما في "مختصر تاريخ دمشق" في ترجمة عبد الرحيم بن إلياس، وهو من تلك الطائفة الذين هم بئسَ الناس، وهذان إمامان كبيران من أئمَّة أصول دين الإسلام.

ذكر عبد الجبَّار القاضي أنَّ الملقَّب بالمهدي - لعنه الله - كان يتَّخذ الجهَّال، ويسلِّطهم على أهل الفضل، وكان يرسل إلى الفقهاء والعلماء فيُذبَحون في فُرُشهم، وأرسلَ إلى الرُّوم وسلَّطهم على المسلمين، وأكثرَ من الجَور واستصفاء الأموال، وقتلِ الرِّجال، وكان له دُعاةٌ يضلُّون الناس على قدر طبقاتهم؛ فيقولون لبعضهم: هو المهديُّ ابن رسول الله ﷺ وحُجَّة الله على خلقه، ويقولون لآخرين: هو رسول الله وحُجَّة الله، ويقولون لطائفة أخرى: هو الله الخالق الرازق.

لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، تباركَ سبحانه، وتعالى عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ولمَّا هلكَ قامَ ابنه المسمَّى بالقائم مقامَه، وزادَ شرُّه على شرِّ أبيه أضعافًا مضاعفة، وجاهرَ بشتم الأنبياء، فكان ينادي في أسواق المهديَّة وغيرها: العَنوا عائشةَ وبعلَها، العَنوا الغارَ ومَن حَوى.

اللهمَّ صلِّ على نبيِّك وأصحابه وأزواجه الطاهرين، والعَن هؤلاء الكَفَرة الفَجَرة الملحدين، وارحَم مَن أزالهم وكان سببَ قَلعِهم، ومَن جرى على يديه تفريقُ جمعهم، وأَصْلِهم سَعيرًا، ولَقِّهم ثُبورًا، وأسكنهم النار جميعًا، واجعلَهم ممَّن قلتَ فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤].

وبعثَ إلى أبي طاهر القِرمِطيِّ المقيم بالبحرَين، وحثَّه على قتل المسلمين، وإحراق المساجد والمصاحف، وقامَ بعدَه ابنُه المسمَّى بالمنصور، فقتلَ أبا يزيد مَخْلَدًا الذي خرجَ على أبيه يُنكر عليه قبيحَ فعله المقدَّم ذكرُه، وسلخَه وصلبَه، واشتغلَ بأهل الجبال يقتلهم ويشرِّدهم؛ خوفًا من أن يثورَ عليه ثائرٌ مثل أبي يزيد.

وقامَ بعدَه ابنه الملقَّب بالمُعِزِّ فبَثَّ دُعاته، فكانوا يقولون: هو المهديُّ الذي يملك الأرض، وهو الشمس التي تطلع من مغربها، وكان يسرُّه ما ينزل بالمسلمين من المصائب من أخذ الرُّوم بلادَهم، واحتجبَ عن الناس أيامًا، ثم ظهرَ وأَوْهَم أنَّ الله رفعَه إليه، وأنَّه كان غائبًا في السماء، وأخبرَ الناس بأشياءَ صدرت منهم كان ينقُلها إليه جواسيس له؛ فامتلأت قلوب العامَّة والجُهَّال منه، وهذا أوَّل خلفائهم بمصر، وهو الذي تُنسَب إليه القاهرة المُعِزِّيَّة.

واستدعى فقيهَ الشام أبا بكر محمَّد بن أحمد بن سهل الرَّمْلِيَّ ويُعرف بابن النابُلُسِي، فحُمِلَ إليه في قفص خشب، فأمرَ بسلخه فسُلِخَ حيًّا، وحُشِيَ جلده تِبنًا، وصُلب رحمه الله تعالى.

قال أبو ذَرٍّ الهَرَوِي: سمعت أبا الحسن الدارَقُطْنيَّ يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يُسلَخ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [الأحزَاب: ٦].

وفي أيَّام الملقَّب بالحاكم منهم أمرَ بكَتْبِ سبِّ الصحابة - رضي الله عنهم - على حِيطان الجوامع والقياسر والشوارع والطُّرقات، وكتبَ السِّجِلَّات إلى سائر الأعمال بالسبِّ، ثم أمرَ بقَلع ذلك، وأنا رأيتُه مقلوعًا في بعض أبواب دمشق في الأُسْكُفَّة العُليا منقورًا في الحجر، ودلَّني أوَّلُ الكلام وآخرُه على ذلك، ثم جُدِّد ذلك الباب وأُزيل الحَجَر.

وفي أيَّامه طُوِّف بدمشق برجل مغربيٍّ ونُوديَ عليه: هذا جزاء من يحبُّ أبا بكر وعمر، ثم ضُرِبت عنقُه.

وكان يجري في أيَّامهم من نحو هذا أشياءُ مثل: قطع لسان أبي القاسم الواسطي أحد الصالحين، وكان أذَّن ببيت المقدس وقال في أذانه: حيَّ

على الفلاح، فأُخِذ وقُطِع لسانُه؛ ذكرَ ذلك وما قبلَه من قتل المغربيِّ وأبي بكر النابلسي الحافظُ أبو القاسم في "تاريخه".

وما كانت وِلايةُ هؤلاء الملاعين إلَّا محنةً من الله تعالى؛ ولهذا طالَت مُدَّتهم مع قلَّة عِدَّتهم، فإنَّ عِدَّتَهم عِدَّةُ خلفاء بني أميَّة أربعةَ عشر، وأولئك بَقُوا نيِّفًا وتسعين سنة، وهؤلاء بَقُوا مئتي سنة وثمانيًا وستِّين سنة، فالحمد لله على ما يسَّرَ من هُلكهم، وإبادة مُلكهم، ورضيَ الله عمَّن سعى في ذلك وأزالَهم، ورَحِمَ مَن بيَّن مخرقتَهم وكذبَهم ومَحالَهم.

وقد كشفَ أيضًا حالَهم الإمامُ أبو القاسم عبد الرحمن ابن عليٍّ بن نصر الشاشيُّ في كتاب "الردِّ على الباطنيَّة"، وذكرَ قبائح ما كانوا عليه من الكفر والمنكرات والفواحش في أيَّام نِزار وما بعدَه: ووصلَ الأمر إلى أن وصفَ بعضُهم ما كانوا فيه في قصيدةٍ سمَّاها "الإيضاح، عن دعوة القدَّاح"؛ أوَّلها:

حَيَّ على مِصرَ إلى خَلْعِ الرَّسَنْ فثَمَّ تَعطِيلُ فُروضٍ وسُنَنْ

وقال: لو وُفِّق ملوكُ الإسلام لصرفوا أَعِنَّةَ الخيل إلى مصر لغزو الباطنيَّة الملاعين؛ فإنَّهم من شرِّ أعداء دين الإسلام، وقد خَرَجَت من حدِّ المنافقين إلى حدِّ المُجَاهِرين؛ لما ظهرَ في ممالك الإسلام من كفرها وفسادها، وتعيَّن على الكافَّة فرضُ جهادها، وضررُ هؤلاء أشدُّ على الإسلام وأهله من ضَرَرِ الكفَّار؛ إذ لم يَقُم بجهادها أحدٌ إلى هذا الغاية مع العلم بعظيم ضررها وفسادها في الأرض.

قلت: ثم إنِّي لم يُقنعني هذا من بيان أحوالهم؛ فأفردتُّ كتابًا لذلك، سمَّيته: "كشف ما كان عليه بنو عُبيد، من الكفر والكذب والمكر والكَيد"، فمَن أرادَ الوقوف على تفاصيل أحوالهم فعليه به؛ فإنِّي - بتوفيق الله تعالى -

جمعتُ فيه ما ذكرَه هؤلاء الأئمَّة المصنِّفون وغيرُهم، ووقفتُ على كتاب كبير صنَّفه الشريف الهاشمي - رحمه الله - وكان في أيَّام الملقَّب بالعزيز ثاني خلفاء مصر، فبيَّنَ فيه أصولَهم أتمَّ بيان، وأوضحَ كيفيَّة ظهورهم وغلبتهم على البلاد، وتتبَّعَ ذكر فضائحهم وما كان يصدر منهم من أنواع الزندقة، والفِسق والمَخْرَقَة، فنقلتُ منه إلى ما كنتُ جمعتُه قطعةً كبيرةً، وبالله التوفيق.

وما أحسنَ ما قال فيهم بعضُ من مدحَ بني أيُّوبَ بقصيدة منها:

أَلَستُمْ مُزيلي دَولةَ الكُفرِ مِن بَني ... عُبَيدٍ بمِصرَ إنَّ هَذا هوَ الفَضلُ
زَنادِقَةٌ شِيعِيَّةٌ باطِنيَّةٌ ... مَجوسٌ وما في الصَّالحينَ لَهُم أَصلُ
يُسِرُّونَ كُفرًا يُظهِرُونَ تَشيُّعًا ... لِيَستَتِروا شَيئًا وعَمَّهُمُ الجَهلُ

أمَّا ما فعله هؤلاء من الانتساب إلى عليٍّ - رضوان الله عليه - والتستُّر بالتشيُّع، فقد فعلَه جماعةُ القرامطة وصاحبُ الزَّنج الخارج بالبصرة، وغيرُهم من المفسدين في الأرض؛ على ما عَرَفَ من سِيَرهم مَن وَقَفَ على أخبار الناس، وكلُّهم كَذَبَةٌ في ذلك، وإنَّما غرضُهم التقرُّب إلى العوامِّ والجُهَّال، واستتباعُهم لهم، واستجلابُهم إلى دعوتهم بذلك البلاء، ويفعل الله ما يشاء.

ولا يُغترَّ بأبيات الشريف الرضيِّ في ذلك؛ فقد حصلَ الجوابُ عنها في كتاب "الكشف" بوجوه حسنة، وقد صنَّف الشريف العابد الدِّمشقيُّ رحمه الله كتابًا في إبطال نسبهم إلى عليِّ ابن أبي طالب رضي الله عنه وفصَّل ذلك تفصيلاً حسنًا، وأطنبَ في ذكر أخبار إخوانهم من القرامطة لعنهم الله تعالى.



الباطنيَّة والدُّروز

دخلَ أرضَ الدَّيْلَم رجلٌ من الباطنيَّة يُعرَف بأبي حاتم، فاستجابَ له جماعةٌ من الدَّيلَم؛ منهم: أسفار بن شرويه، وظهرَ بنَيْسابُور داعيةٌ لهم يُعرَف بالشعراني، فقُتِلَ بها في ولاية أبي بكر بن حجَّاج عليها، وكان الشعرانيُّ قد دعا الحسين بن عليٍّ المَرْوَزِي، وقامَ بدعوته محمَّد بن أحمد النَّسَفِيُّ داعية أهل ما وراء النهر، وأبو يعقوب السِّجْزِيُّ المعروف ببندانه، وصنَّفَ النَّسَفِيُّ لهم كتاب "المحصول"، وصنَّف لهم أبو يعقوب: كتاب "أساس الدَّعوة"، وكتاب "تأويل الشرائع"، وكتاب "كشف الأسرار"، وقُتلَ النَّسَفِيُّ والمعروف ببندانه على ضلالتهما.

وذكرَ أصحاب التواريخ أنَّ دعوة الباطنيَّة ظهرت أوَّلًا في زمان المأمون، وانتشرت في زمان المعتصم، وذكروا أنَّه دخلَ في دعوتهم الإفشِين صاحبُ جيش المعتصم، وكان مُداهِنًا لبابَك الخُرَّمِي، وكان الخُرَّمِيُّ مستعصيًا بناحية البدين، وكان أهل جَبلِه خُرَّمِيَّة على طريقة المَزْدَكِيَّة، فصارت الخُرَّمِيَّة مع الباطنيَّة يدًا واحدة، واجتمعَ مع بَابَك من أهل البدين، وممَّن انضمَّ إليهم من الدَّيْلَم مقدارُ ثلاثمئة ألف رجل، وأخرجَ الخليفة لقتالهم الإفشِين فظنَّه ناصحًا للمسلمين، وكان في سرِّه مع بابَك، وتوانى في القتال معه ودلَّه على عَورات عساكر المسلمين، وقتلَ الكثيرَ منهم.

ثم لحقَت الأمدادُ بالإفشِين، ولَحِقَ به محمَّد بن يوسف الثَّغْرِيُّ وأبو دُلَفٍ القاسم بن عيسى العِجْلي، ولَحِقَ به بعد ذلك قوَّاد عبد الله بن طاهر، واشتدَّت شوكةُ البابَكِيَّة والقَرامِطَة على عسكر المسلمين، حتى بنَوا لأنفسهم البلدةَ المعروفة ببرزند؛ خوفًا من بَيَات البابَكِيَّة.

ودامَت الحرب بين الفريقَين سنين كثيرة، إلى أن أظفر الله المسلمين بالبابكية، فأُسِر بابك وصُلِب بِسُرَّ مَن رَأَى سنة ثلاث وعشرين ومئتين، ثم أُخِذ أخوه إسحاق وصُلِب ببغداد مع مازْيار صاحب المُحَمِّرَة بطَبَرِستان وجُرجان، ولمَّا قُتِل بابَك ظهرَ للخليفة كيدُ الإفشِين، وخيانتُه للمسلمين في حروبه مع بابَك؛ فأمرَ بقتله وصلبه، فصُلِب لذلك.

ويؤكِّد ما قُلناه من مَيل الباطنيَّة إلى دين المجوس أنَّا لا نجدُ على ظهر الأرض مجوسيًّا إلَّا وهو مُوادٌّ لهم، منتظرٌ لظهورهم على الدِّيار؛ يظنُّون أنَّ المُلك يعود إليهم بذلك، وربَّما استدلَّ أغمارهم على ذلك بما يرويه المجوسُ عن زَرادُشْت أنَّه قال لكشتاسف: إنَّ المُلك يزول عن الفُرس إلى الرُّوم واليونانيَّة، ثم يعود إلى الفُرس، ثم يزول عن الفُرس إلى العرب، ثم يعود إلى الفُرس، وساعَدَه جاماسب المنجِّم على ذلك، وزعمَ أنَّ المُلك يعود إلى العَجَم لتمام ألف وخمسمئة سنة من وقت ظهور زَرادُشْت.

وكان في الباطنيَّة رجلٌ يُعرَف بأبي عبد الله العردي يدَّعي علمَ النُّجوم، ويتعصَّب للمجوس، وصنَّفَ كتابًا ذكرَ فيه أنَّ القرن الثامنَ عشرَ من مولد محمَّد ﷺ يوافق الألفَ العاشرَ وهو نَوْبَة المُشتري والقَوْس، وقال: عند ذلك يخرج إنسانٌ يُعيد الدَّولة المجوسيَّة، ويستولي على الأرض كلِّها، وزعمَ أنَّه يملك مُدَّة سبع قرون.

وقالوا: قد تحقَّقَ حُكم زَرادُشْت وجاماسب في زوال ملك العَجَم إلى الرُّوم واليونانيَّة في أيَّام الإسكندر، ثم عادَ إلى العَجَم بعد ثلاثمئة سنة، ثم زالَ بعدَ ذلك مُلك العَجَم إلى العرب، وسيعود إلى العَجَم لتمام المُدَّة التي ذكرَها جاماسب، وقد وافقَ الوقتُ الذي ذكره أيَّامَ المكتفي والمقتدر، وأُخلفَ موعودُهم وما رجعَ المُلك فيه إلى المجوس.

وكانت القرامطة قبلَ هذا الميقات يتواعَدون فيما بينهم ظهورَ المنتظَر في القرن السابع في المثلَّثة الناريَّة.

وفي آخر سنة ألف ومئتين وأربعين للإسكندر تمَّ من تاريخ زَرادُشْت ألفٌ وخمسمئة سنة، وما عادَ فيها مُلك الأرض إلى المجوس، بل اتَّسعَ بعدَها نطاق الإسلام في الأرض، وفتحَ الله تعالى للمسلمين بعدَها بلاد بلاساغون وأرض التُّبَّت وأكثر نواحي الصِّين، ثم فتحَ لهم بعدَها جميعَ أرض الهند من لمفات إلى قِنَّوْج، وصارت أرض الهند إلى سيتر سيقا بحرها من رُقعةِ الإسلام في أيَّام يمين الدَّولة وأمين الملَّة محمود بن سُبُكْتِكِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفي هذا رَغمُ أنوفِ الباطنيَّة والمجوس الجاماسبيَّة الذين حكموا بعَودِ المُلك إليهم، فذاقوا وَبالَ أمرهم وكان عاقبةُ أمانيِّهم بُورًا بحمد الله ومَنِّه.

ثم إنَّ الباطنيَّة خرجَ منهم عبد الله بن الحسين بناحية القَيْرَوان، وخدعَ قومًا من كُتامة، وقومًا من المَصامِدَة، وشِرذمةً من أغتام بربر.

ثم خرجَ بالشام حفيدٌ لمَيمونِ بن دَيْصان يُقال له: أبو القاسم بن مِهْرَوَيه، وقال لمَن تَبِعَه: هذا وقت مُلكِنا، وكان ذلك سنة تسع وثمانين ومئتين، فقصدَهم سبك صاحب المعتضِد، فقتلوا سبكًا في الحرب، ودخلوا مدينة الرُّصافة وأحرقوا مسجدَها الجامع، وقصدوا بعد ذلك دمشق، فاستقبلَهم الحَماميُّ غلام ابن طيلون، وهزمَهم إلى الرَّقَّة، فخرجَ إليهم محمَّد ابن سليمان كاتب المكتفي في جندٍ من أجناد المكتفي، فهزمَهم وقتلَ منهم الألوف، فانهزمَ زكريا ابن مِهْرَوَيه إلى الرَّمْلَة، فقَبَض عليه والي الرَّمْلَة، فبعثَ به وبجماعةٍ من أتباعه إلى المكتفي، فقتلَهم ببغداد في الشارع بأشدِّ العذاب.

ثم انقطعَت بقتلهم شوكةُ القرامطة إلى سنة عشر وثلاثمئة، وظهرَت بعدَها فتنةُ سليمان بن الحسن في سنة إحدى عشرة وثلاثمئة؛ فإنَّه كبسَ البصرةَ وقتلَ أميرها سبكًا المفلحي ونقلَ أموال البصرة إلى البحرَين.

وفي سنة اثنتي عشرة وثلاثمئة وقعَ الحجيجُ في نهبه لعشرٍ بَقِينَ من المُحَرَّم، وقتلَ أكثرَ الحجيج، وسبى الحُرَمَ والذَّراري، ثم دخلَ الكوفة في سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة فقتلَ الناس وانتهبَ الأموال، وفي سنة خمس عشرة وثلاثمئة حاربَ ابن أبي الساج وأسرَه وهزمَ أصحابه، وفي سنة سبع عشرة وثلاثمئة دخلَ مكَّة وقتلَ مَن وجدَه في الطواف، وقيل: إنَّه قتلَ بها ثلاثة آلاف وأخرجَ منها سبعَمئة بِكْر، واقتلعَ الحجرَ الأسودَ وحملَه إلى البحرَين، ثم رُدَّ منها إلى الكوفة، ورُدَّ بعد ذلك من الكوفة إلى مكَّة على يدِ أبي إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن يحيى المزكِّي النَّيسابوريِّ في سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة.

وقصدَ سليمان بن الحسن بغدادَ في سنة ثماني عشرة وثلاثمئة، فلمَّا وردَ هِيتَ رَمَته امرأةٌ من سطحها بلَبِنَةٍ فقتلَته، وانقطعَت بعد ذلك شوكة القرامطة، وصاروا بعد قتل سليمان ابن الحسن متصدِّين للحجيج من الكوفة والبصرة إلى مكَّة حفاةً؛ ليُضمنَ لهم مال، إلى أن غلبَهم الأصفر العقيلي على بعض ديارهم.

وكانت ولايةُ مصر وأعمالها للإخشيديَّة، وانضمَّ بعضهم إلى ابن عُبيد الله الباطنيِّ الذي كان قد استولى على قَيْرَوان، ودخلوا مصرَ في سنة ثلاث وستِّين وثلاثمئة، وابتنَوا بها مدينةً سمَّوها القاهرة يسكنها أهل بدعته، وأهل مصر ثابتون على السُّنَّة إلى يومنا، وإن أطاعوا صاحب القاهرة في أداء خَراجِهم إليه.

وكان أبو شجاع فَنَّاخُسْرو بن بُوَيْه قد تأهَّب لقصد مصر وانتزاعها من أيدي الباطنيَّة، وكتبَ على أعلامه بالسواد: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد خاتَم النبيِّين، والطائع لله أمير المؤمنين، ادخلوا مصرَ إن شاءَ الله آمنين»، وقال قصيدةً أوَّلها:

أَمـا تَـرَى الأَقْـدارَ لِـي طَـوائِـعًـا ... قَـواضِـيًـا لِـي بِـالـعِـيـانِ كـالـخَـبَـرْ
ويَـشْـهَـدُ الأَنـامُ لِـي بـأَنَّـنـي ... ذاكَ الـذي يُـرْجَـى وذاكَ الـمُـنـتَـظَـرْ
لِـنُـصـرَةِ الإسـلامِ والـدَّاعـي إلـى ... خَـلـيـفَـةِ اللهِ الإمـامِ الـمُـفـتَـخَـرْ

فلمَّا خرجَ إلى مضاربه للخروج إلى مصر فاجأه الأجل فمضى لسبيله، فلمَّا قضى فَنَّاخُسْرُو نحبَه طمِعَ زعيم مصر في ملوك نواحي الشرق فكاتبهم يدعوهم إلى البيعة له، فأجابَ قابوس بن وَشْمكير عن كتابه بقوله: إنِّي لا أذكرك إلَّا على المُسْتَراح، وأجابَه ناصر الدَّولة أبو الحسن محمَّد بن إبراهيم ابن سِيمْجُور بأن كتبَ على ظهر كتابه إليه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ١-٢]، إلى آخر السورة، وأجابَه نوح بن منصور والي خُراسان بقتل دُعاته إلى بِدعَته.

ودخلَ في دعوته بعضُ ولاة الجرجانيَّة من أرض خُوارزم، فكان دخولُه في دينه شؤمًا عليه في ذهاب مُلكه وقتل أصحابه، ثم استولى يمين الدَّولة وأمين الملَّة محمود بن سُبُكْتِكِين على أرضهم، وقتلَ مَن كان بها من دُعاة الباطنيَّة.

وكان أبو عليِّ بن سِيمْجُور قد وافقَهم في السِّر؛ فذاقَ وبالَ أمره في ذلك، وقَبَضَ عليه والي خُراسان نوح بن منصور وبعثَ به إلى سُبُكْتِكِين، فقُتل بناحية غَزْنَة.

وكان أبو الحسن الملقَّب بدانِشْمَند داعية أبي عليِّ بن سِيمْجُور إلى مذهب الباطنيَّة، وظَفِرَ به بَكْتُوزُون صاحب جيش السامانيَّة بنَيْسابور فقتلَه،

ودُفن في مكان لا يُعرف، وكان أميرك الطُّوسيُّ والي ناحية التاروذية قد دخلَ في دعوة الباطنيَّة، فأُسرَ وحُملَ إلى غَزْنَةَ وقُتل بها في الليلة التي قُتلَ فيها أبو عليِّ بن سِيمْجُور.

وكان أهلُ مُولْتان من أرض الهند داخلين في دعوة الباطنيَّة، فقَصَدَهم محمود رَحِمَهُ اللَّهُ في عسكره وقتلَ منهم الألوف، وقطعَ أيدي ألف منهم، وبادَ بذلك نُصَراءُ الباطنيَّة من تلك الناحية، ومن هذا بانَ شؤم الباطنيَّة على مُنتحلِيها؛ فليعتبر بذلك المعتبرون.

وقد اختلفَ المتكلِّمون في بيان أغراض الباطنيَّة في دعوتها إلى بدعتها؛ فذهبَ أكثرهم إلى أنَّ غرض الباطنيَّة الدعوةُ إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأوَّلون عليها القرآن والسنَّة، واستدلُّوا على ذلك بأنَّ زعيمهم الأوَّل ميمون ابن دَيْصان كان مجوسيًّا من سَبي الأهواز، ودعا ابنُه عبد الله ابن ميمون الناسَ إلى دين أبيه.

واستدلُّوا أيضًا بأنَّ داعيَهم المعروف بالبَزْدَوِيِّ قال في كتابه المعروف بـ"المحصول" : إنَّ المبدِعَ الأوَّل أبدعَ النفس، ثم إنَّ الأوَّل والثاني مدبِّران للعالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع، وهذا في التحقيق معنى قولِ المجوس: إنَّ يَزْدان خلقَ أهرمن وإنَّه مع أهرمن مدبِّران للعالم، غير أنَّ يَزْدان فاعل الخيرات، وأهرمن فاعل الشُّرور.

ومنهم مَن نسبَ الباطنيَّة إلى الصابئين الذين هم بحَرَّان، واستدلَّ على ذلك بأنَّ حمدان قِرْمِط داعية الباطنيَّة بعد ميمون بن دَيْصان كان من الصابئة الحَرَّانيَّة، واستدلَّ أيضًا بأنَّ صابئة ميمون يكتمون أديانهم ولا يظهرونها إلَّا لمن كان معهم، والباطنيَّة أيضًا لا يظهرون دينهم إلَّا لمن كان منهم بعد إحلافهم إيَّاه على ألَّا يذكرَ أسرارهم لغيرهم.

والذي يؤكِّد هذا أنَّ المجوس يدَّعون نبوَّة زَرادُشْت ونزولَ الوحي عليه من الله تعالى، وأنَّ الصابئين يدَّعون نبوَّة هرمس وواليس (فاليس) وذروثيوس وأفلاطون وجماعة من الفلاسفة، وسائر أصحاب الشرائع كلٌّ صنف منهم مُقِرُّون بنزول الوحي من السماء على الذين أقرُّوا بنبوَّتهم، ويقولون: إنَّ ذلك الوحيَ شاملٌ للأمر والنهي، والخبر عن عاقبةٍ بعد الموت، وعن ثواب وعقاب، وجنَّة ونار، يكون فيها الجزاء عن الأعمال السالفة.

والباطنيَّة يرفضون المعجزات، وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والأمر والنهي، بل ينكرون أن يكونَ في السماء مَلَكٌ؛ وإنَّما يتأوَّلون الملائكة على دُعاتهم إلى بدعتهم ويتأوَّلون الشياطين على مُخالفيهم، والأبالسة على مُخالفيهم.

ويزعمون أنَّ الأنبياء قومٌ أحبُّوا الزَّعامة فساسوا العامَّة بالنواميس والحِيَل؛ طلبًا للزَّعامة بدعوى النبوَّة والإمامة، وكلٌّ واحد منهم صاحب دَور مسبَّع؛ إذا انقضى دَورُ سبعةٍ تَبِعَهم في دَور آخر، وإذا ذكروا النبيَّ والوحيَ قالوا: إنَّ النبيَّ هو الناطق، والوحيَ أساسُه الفاتق، وإلى الفاتق تأويل نُطق الناطق، على ما تراه يميلُ إليه هواه، فَمَن صارَ إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البَرَرَة، ومَن عَمِلَ بالظاهر فهو من الشياطين الكَفَرَة.

ثم تأوَّلوا لكلِّ ركنٍ من أركان الشريعة تأويلًا، يورِث تضليلًا؛ فزعموا أنَّ معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحجِّ زيارته وإدمان خدمته، والمرادَ بالصَّوم الإمساك عن إفشاء سرِّ الإمام دونَ الإمساك عن الطعام، والزِّنى عندهم إفشاء سرِّهم بغير عهد وميثاق، وزعموا أنَّ مَن عرفَ معنى العبادة سقطَ عنه فرضُها، وتأوَّلوا في ذلك قوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحِجر: ٩٩]؛ وحملوا اليقين على معرفة التأويل.

وقد قالَ القَيْرَوانيُّ في رسالته إلى سليمان بن الحسن: «إنِّي أُوصيكَ بتشكيك الناس في القرآن والتَّوراة والزَّبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعادِ والنُّشور من القُبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجِنِّ في الأرض.

ثم قال: ولا تكن كصاحب الأُمَّة المنكوسة حين سألوه عن الرُّوح فقال: (الرُّوح من أمر ربِّي) لمَّا لم يعلم الجواب، ولم يحضُره جوابُ المسألة، ولا تكُن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهانٌ سوى المَخرَقةِ بحسن الحِيلَة والشَّعبذَة، ولما لم يجد المحقِّق في زمانه عندَه برهانًا قال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٩]، وقال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٢٤]؛ لأنَّه كان صاحبَ الزمان في وقته.

ثم قالَ في آخر رسالته: وما العجبُ من شيء كالعجبِ من رجل يدَّعي العقل، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجةٌ في حسنها فيحرِّمها على نفسه ويُنكحها من أجنبي، ولو عقِلَ الجاهل لعلمَ أنَّه أحقُّ بأخته وبنته من الأجنبي، وما وجهُ ذلك إلَّا أنَّ صاحبهم حرَّمَ عليهم الطيِّبات، وخوَّفهم بغائب لا يُعقل، وهو الإله الذي يزعمونه، وأخبرهم بكونِ ما لا يرونه أبدًا من البعث من القبور والحساب والجنَّة والنار؛ حتى استعبدَهم بذلك عاجلًا، وجعلَهم له في حياته ولذرِّيَّته بعد وفاته خَوَلًا، واستباحَ بذلك أموالَهم بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشّورىٰ: ٢٣]، فكان أمرُه معهم نقدًا، وأمرُهم معه نَسِيئَة، وقد استعجلَ منهم بذلَ أرواحهم وأموالهم على انتظار موعودٍ لا يكون، وهل الجنَّة إلَّا هذه الدُّنيا ونعيمُها؟! وهل النَّار وعذابُها إلَّا ما فيه أصحاب الشرائع من التَّعَب والنَّصَب في الصَّلاة والصِّيام والجهاد والحج؟!

ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرِّسالة: وأنت وإخوانك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس، وفي هذه الدُّنيا وَرِثتُم نعيمَها ولذَّاتِها المحرَّمةَ على الجاهلين المتمسِّكين بشرائع أصحاب النواميس؛ فهنيئًا لكم ما نِلتُم من الرَّاحة عن أمرهم.

وفي هذا الذي ذكرناه عنهم دلالةٌ على أنَّ غرضَ الباطنيَّة القول بمذاهب الدَّهريَّة واستباحة المحرَّمات وترك العبادات، ثم إنَّ الباطنيَّة لهم في اصطياد الأغتام ودعوتهم إلى بدعتهم حِيَلٌ على مراتب سمَّوها: التفرُّس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والرَّبط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالأيمان والعهود، وآخرها: الخَلع والسَّلْخ.

فأمَّا **التفرُّس** فإنَّهم قالوا: من شَرطِ الداعي إلى بدعتهم أن يكونَ قويًّا على التلبيس، وعارفًا بوجوه تأويل الظواهر ليردَّها إلى الباطن، ويكون مع ذلك مميِّزًا بينَ مَن يُطمَع فيه وفي إغوائه وبين من لا مَطمعَ فيه، ولهذا قالوا في وصاياهم للدُّعاة إلى بدعتهم: لا تتكلَّموا في بيتٍ فيه سراج، يعنون بالسِّراج مَن يعرف علمَ الكلام ووجوهَ النظر والمقاييس، وقالوا أيضًا لدُعاتهم: لا تطرحوا بَذْرَكم في أرض سَبِخَة، وأرادوا بذلك منعَ دُعاتهم عن إظهار بدعتهم عندَ مَن لا تؤثِّر فيهم بدعتُهم كما لا يؤثِّر البَذْرُ في الأرض السَّبِخَة شيئًا، وسمَّوا قلوب أتباعهم الأغتام أرضًا زاكية؛ لأنَّها تقبل بدعتهم.

وهذا المثل بالعَكسِ أولى؛ وذلك أنَّ القلوب الزاكيَة هي القابلة للدِّين القَويم والصِّراط المستقيم، وهي التي لا تصدأ لشُبَه أهل الضلال، كالذهب الإبريز الذي لا يصدأ في الماء ولا يبلى في التراب ولا ينقُص في النار، والأرض السَّبِخَة كقلوب الباطنيَّة وسائر الزنادقة الذين لا يزجُرهم عقلٌ

ولا يردَعُهم شرعٌ، فهم أرجاسٌ أنجاسٌ أمواتٌ غير أحياء: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفُرقان: ٤٤]، قد قَسَمَ لهم الحظَّ في الرِّزق من قَسَمَ رزقَ الخنازير في مَراعيها، وأباحَ طُعمةَ العِنَبِ في بَراريها: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبيَاء: ٢٣].

وقالوا أيضًا: إنَّ من شرط الداعي إلى مذهبهم أن يكونَ عارفًا بالوجوه التي تُدعى بها الأصناف؛ فليست دعوةُ الأصناف من وجهٍ واحد، بل لكلِّ صِنفٍ من الناس وجهٌ يُدعى منه إلى مذهب الباطن؛ فمَن رآه الداعي مائلًا عن العبادات حَمَلَه على الزُّهد والعبادة، ثم سألَه عن معاني العبادات وعِلَل الفرائض وشكَّكه فيها.

ومَن رآه ذا مُجونٍ وخَلاعة قالَ له: العبادة بَلَهٌ وحَماقة، وإنَّما الفِطنة في نَيل اللذَّات، وتمثَّل له بقول الشاعر:

مَن راقَبَ النَّاسَ ماتَ هَمًّا ... وفازَ بِاللَّذَّةِ الجَسُورُ

ومَن رآه شاكًّا في دينه أو في المَعاد والثَّواب والعِقاب صرَّحَ له بنفي ذلك، وحملَه على استباحة المحرَّمات، واستَروَحَ معه إلى قول الشاعر الماجن:

أَأَترُكُ لَذَّةَ الصَّهْباءِ صِرْفًا ... لِما وَعَدوهُ مِن لَحْمٍ وخَمْرِ

حَياةٌ ثُمَّ مَوتٌ ثُمَّ نَشْرٌ ... حَدِيثُ خُرافَةٍ يا أُمَّ عَمرِو

ومَن رآه من غُلاة الرافضة؛ كالسَّبَئِيَّة، والبَيانيَّة، والمُغِيريَّة، والمنصورِية، والخطَّابِيَّة، لم يَحتَج معه إلى تأويل الآيات والأخبار؛ لأنَّهم يتأوَّلونها معهم على وَفْق ضلالتهم.

ومَن رآه من الرافضة زَيدِيًّا أو إماميًّا أو مائلًا إلى الطَّعن في أخبار

الصَّحابة - دخلَ عليه من جهة شَتم الصَّحابة، وزيَّنَ له بُغضَ بني تَيْم؛ لأنَّ أبا بكر منهم، وبُغضَ بني عَدِي؛ لأنَّ عمر بن الخطَّاب كان منهم، وحثَّه على بُغض بني أُميَّة؛ لأنَّ عثمانَ ومعاويةَ كانا منهم، وربَّما استروَحَ الباطنيُّون في عصرنا هذا إلى قول إسماعيلَ بن عبَّاد:

دُخولُ النَّارِ في حُبِّ الوَصِيِّ	وفي تَفضِيلِ أولادِ النَّبِيِّ
أَحَبُّ إليَّ مِن جَنَّاتِ عَدْنٍ	أُخَلَّدُها بِتَيْمٍ أو عَدِيِّ

قال عبد القاهر: قد أجبنا هذا القائلَ بقولنا فيه:

أتَطمَعُ أنتَ في جَنَّاتِ عَدْنٍ	وأنتَ عَدُوُّ تَيْمٍ أو عَدِيٍّ؟!
وهُمْ تَرَكوكَ أَشقى من ثَمودٍ	وهُمْ تَرَكوكَ أَفضَحَ مِن دَعِيِّ
وفي نارِ الجَحِيمِ غَدًا سَتَصلى	إذا عاداكَ صِدِّيقُ النَّبِيِّ

ومَن رآه الداعي مائلًا إلى أبي بكرٍ وعمرَ مدحَهما عندَه وقال: لهما حظٌّ في تأويل الشريعة؛ ولهذا استصحبَ النبيُّ أبا بكر إلى الغار ثم إلى المدينة، وأفضى إليه في الغار تأويلَ شريعته، فإذا سأله المُوالي لأبي بكر وعمرَ عن التأويل المذكور لأبي بكر وعمر، أخذَ عليه العهدَ والمواثيقَ في كتمان ما يُظهره له، ثم ذكرَ له على التدريج بعضَ التأويلات، فإن قَبِلَها منه أظهرَ الباقي، وإن لم يقبل منه التأويل الأوَّل ربطَه في الباقي وكتمَه عنه؛ وشكَّ الغِرُّ من أجل ذلك في أركان الشريعة.

والذين يَرُوجُ عليهم مذهبُ الباطنيَّة أصناف:

أحدُها: العامَّة الذين قلَّت بصائرُهم بأصول العلم والنَّظر؛ كالنَّبَط، والأكراد، وأولاد المَجوس.

والصِّنف الثاني: الشُّعوبيَّة الذين يَرَونَ تفضيلَ العَجَم على العرب،

ويتمنَّون عَودَ المُلك إلى العَجَم.

والصِّنف الثالث: أغتام بني ربيعة؛ من أجل غَيظِهم على مُضَر لخروج النبيِّ منهم، ولهذا قال عبد الله بن حازم السُّلَمِيُّ في خُطبته بخُراسان: «إنَّ رَبيعةَ لم تَزَل غِضابًا على الله مُذ بعثَ نبيَّه من مُضَر»، ومن أجل حسدِ رَبيعةَ لمُضَر بايعَت بنو حَنيفةَ مُسَيلِمَة الكذَّاب؛ طمعًا في أن يكونَ في بني رَبيعةَ نبيٌّ كما كان في مُضَر نبي.

فإذا استأنسَ الأعجميُّ الغِرُّ أو الرَّبَعيُّ الحاسد المبغِض يقولُ الباطنيُّ له: قومُك أحقُّ بالملك من مُضَر، فيسأله عن السبب في عَودِ المُلك إلى قومه، فإذا سألَه عن ذلك قالَ له: إنَّ الشريعة المُضَرِيَّة لها نهاية، وقد دَنا انقضاؤها، وبعد انقضائها يعود المُلك إليكم، ثم ذكرَ له تأويلَ إنكار شريعة الإسلام على التدريج، فإذا قَبِلَ ذلك منه صارَ ملحدًا صريحًا، واستثقلَ العبادات، واستطابَ استحلال المحرَّمات، فهذا بيانُ درجة التفرُّس منهم.

ودرجة **التَّأنيس** قريبةٌ من درجة التفرُّس عندَهم؛ وهي تزيينُ ما عليه الإنسان من مذهبه في عَينه، ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه، وتشكيكه إيَّاه في أصول دينه، فإذا سألَه المدعوُّ عن ذلك قال: عِلمُ ذلك عند الإمام، ووصلَ بذلك منه إلى درجة **التشكيك** حتى صارَ المدعوُّ إلى اعتقاد أنَّ المراد بالظواهر والسُّنن غيرُ مقتضاها في اللغة، وهانَ عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات.

و**الرَّبط** عندهم تعليقُ نفس المدعوِّ بطلب تأويل أركان الشريعة، فإمَّا أن يقبلَ منهم تأويلها على وجهٍ يؤول إلى رفعها، وإمَّا أن يبقى على الشكِّ والحَيرة فيها.

ودرجة **التدليس** منهم قولُهم للغِرِّ الجاهل بأصول النظر والاستدلال: إنَّ الظواهر عذابٌ وباطنها فيه الرحمة، وذكرَ له قولَه في القرآن: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، فإذا سألهم الغِرُّ عن تأويل باطن الباطن قالوا: جَرَتْ سنَّة الله تعالى في أخذِ العهد والميثاق على رُسُلِه؛ ولذلك قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وذكروا له قولَه: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، فإذا حلفَ الغِرُّ لهم بالأيمان المغلَّظة وبالطَّلاق والعِتق وتسبيل الأموال فقد ربطوه بها، وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤدِّي إلى رفعها بزعمهم، فإن قَبِلَ الأحمق ذلك منهم دخلَ في دين الزنادقة باطنًا واستترَ بالإسلام ظاهرًا.

وإن نَفَرَ الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنيَّة الزنادقة كتمَها عنهم؛ لأنَّه حلفَ لهم على كتمان ما أظهروه له من أسرارهم، وإذا قَبِلَها منهم فقد حلَّفوه وسلخوه عن دين الإسلام، وقالوا له حينئذٍ: إنَّ الظاهر كالقِشر والباطن كاللُّب، واللُّبُّ خيرٌ من القِشر.

قال عبد القاهر: حكى لي بعض مَن كان دخلَ في دعوة الباطنيَّة، ثم وفَّقه الله تعالى لرُشده، وهداه إلى حَلِّ أيمانهم، أنَّهم لمَّا وَثِقوا منه بأيمانه قالوا له: إنَّ المسلمين يؤمنون بالأنبياء؛ كنُوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمَّد، وكلِّ مَن ادَّعى النبوَّة وكانوا أصحاب نواميس ومخاريق أحبُّوا الزَّعامةَ على العامَّة فخدعوهم بنِيرَنْجات، واستعبدوهم بشرائعهم.

قال هذا الحاكي لي: ثم ناقضَ الذي كشفَ لي هذا السِّر؛ بأن قالَ له: ينبغي أن تعلمَ أنَّ محمَّد بن إسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران

من الشجرة وقال له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه: ١٢].

قال: فقلت: سَخِنَت عينُك! تدعوني إلى الكفر بالربِّ القديم الخالق للعالم، ثم تدعوني مع ذلك إلى الإقرار بربوبيَّة إنسانٍ مخلوق! وتزعم أنَّه كان قبل ولادته إلهًا مرسِلًا لموسى! فإن كانَ موسى عندكَ مُمخرِقًا فالذي زعمتَ أنَّه أرسلَه أكذب!

فقال لي: إنَّك لا تفلح أبدًا!

ونَدِمَ على إفشاء أسراره إليَّ، وتُبتُ من بدعتهم.

فهذا بيانُ وجهِ حِيَلِهم على أتباعهم.

وأمَّا أيمانهم فإنَّ داعيَهم يقول للحالف: جعلتَ على نفسكَ عهدَ الله وميثاقَه وذِمَّتَه وذِمَّةَ رسولِه وما أخذَ الله تعالى على النبيِّين من عهدٍ وميثاق أنَّك تسترُ ما تسمعُه مِنِّي، وما تعلمُه من أمري، ومن أمرِ الإمام الذي هو صاحبُ زمانك، وأمرِ أشياعِه وأتباعِه في هذا البلد وفي سائر البُلدان، وأمرِ المطيعين له من الذكور والإناث؛ فلا تُظهر من ذلك قليلًا ولا كثيرًا، ولا تُظهر شيئًا يدلُّ عليه من كتابة أو إشارة إلَّا ما أذِنَ لك فيه الإمامُ صاحب الزمان، أو أذِنَ لك في إظهاره المأذون له في دعوته، فتعمل في ذلك حينئذٍ بمقدار ما يُؤذن لك فيه، وقد جعلتَ على نفسك الوفاءَ بذلك، وألزمتَه نفسكَ في حالتَي الرِّضا والغضب والرغبة والرهبة.

قال: نعم.

فإذا قال: نعم؛ قال له: وجعلتَ على نفسِكَ أن تمنعني وجميعَ من أسمِّيه لك ممَّا تمنع منه نفسك بعهد الله وميثاقه عليك وذِمَّته وذِمَّة رسوله،

وتنصحَهم نُصحًا ظاهرًا وباطنًا، وألَّا تخونَ الإمام وأولياءه وأهلَ دعوته في أنفسهم ولا في أموالهم، وأنَّك لا تتأوَّل في هذه الأيمان تأويلًا ولا تعتقد ما يحلُّها، وأنَّك إن فعلتَ شيئًا من ذلك فأنتَ بريءٌ من الله ورسوله وملائكته ومن جميع ما أنزلَ الله تعالى من كتبه، وأنَّك إن خالفتَ في شيءٍ ممَّا ذكرناه لك فللَّه عليك أن تحُجَّ إلى بيته مئة حجَّةٍ ماشيًا نذرًا واجبًا، وكلُّ ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه صدقةٌ على الفقراء والمساكين، وكلُّ مملوك يكون في مِلكك يومَ تخالف فيه أو بعدَه يكون حرًّا، وكلُّ امرأة لك الآن أو يومَ مخالفتكَ أو تتزوَّجها بعد ذلك تكون طالقًا منك ثلاثَ طلَقات، والله تعالى الشاهدُ على نيَّتك، وعَقْدِ ضميرك فيما حلفتَ فيه.

فإذا قال: نعم؛ قال له: كفى بالله شهيدًا بيننا وبينك.

فإذا حلفَ الغِرُّ بهذه الأَيمان ظنَّ أنَّه لا يمكن حلُّها، ولم يعلم الغِرُّ أنَّه ليس لأيمانهم عندَهم مقدارٌ ولا حُرمة، وأنَّهم لا يرونَ فيها ولا في حلِّها إثمًا ولا كفَّارة، ولا عارًا ولا عقابًا في الآخرة، وكيف يكون لليَمينِ بالله وبكتبه ورُسلِه عندَهم حُرمةٌ وهم لا يقرُّون بإله قديم؟! بل لا يُقِرُّون بحدوث العالم، ولا يثبتون كتابًا منزَّلًا من السماء ولا رسولًا ينزل عليه الوحيُ من السماء.

وكيف يكون لأَيمانِ المسلمين عندَهم حُرمَة، ومن دينهم أنَّ الله الرحمن الرحيم إنَّما هو زعيمُهم الذي يدعون إليه؟! ومَن مالَ منهم إلى دين المجوس زعمَ أنَّ الإله نورٌ بإزائه شيطانٌ قد غلبَه ونازعَه في مُلكه، وكيف يكون لنذر الحجِّ والعمرةِ عندهم مقدارٌ وهم لا يرَونَ للكعبة مقدارًا، ويسخرون بِمَن يحجُّ ويعتمِر؟! وكيف يكون للطلاق عندَهم حُرمة وهم يستحلُّون كلَّ امرأة من غير عقد؟! فهذا بيان حُكم الأيمان عندَهم.

فأمَّا حُكم الأيمان عند المسلمين فإنَّا نقول: كلُّ يمين يحلف بها الحالف ابتداءً بطَوع نفسِه فهو على نيَّته، وكلُّ يمين يحلف بها عند قاضٍ أو سلطانٍ يحلِّفه يُنظر فيها؛ فإن كانت يمينًا في دعوى لمدَّعٍ شيئًا على الحالف المنكِر، وكان المدَّعي ظالمًا للمدَّعى عليه - فيمينُ الحالف على نيَّته، وإن كان المدَّعي محقًّا والمُنكِر ظالمًا للمدَّعي - فيمينُ المنكِر على نيَّة القاضي أو السُّلطان الذي أحلفَه، ويكون الحالِفُ حانِثًا في يمينه.

وإذا صحَّت هذه المقدِّمة فالباحث عن دين الباطنيَّة إذا قصدَ إظهارَ بدعتهم للناس أو أرادَ النقض عليهم - فهو معذورٌ في يمينه، وتكون يمينه على نيَّته، فإذا استثنى بقلبه مشيئة الله تعالى فيها لم تنعقِد عليه أيمانُه، ولم يحنَث فيها بإظهاره أسرارَ الباطنيَّة للناس، ولم تَطلُق نساؤه، ولا تَعتِق مماليكُه، ولا تلزمُه صدقةٌ بذلك، وليس زعيم الباطنيَّة عند المسلمين إمامًا، ومَن أظهر سرَّه لم يظهر سرَّ إمام، وإنَّما أظهرَ سرَّ كافرٍ زِنْدِيق؛ وقد جاءَ في الحديث المأثور: «اذكُروا الفاسقَ بما فيهِ يحذَرْه الناسُ».

فهذا بيانُ حِيلَتهم على الأغمار بالأيمان، فأمَّا احتيالُهم على الأغمار بالتشكيك، فمن جهة أنَّهم يسألونهم عن مسائلَ من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلافَ معانيها الظاهرة، وربَّما سألوهم عن مسائل في المحسوسات يوهمون أنَّ فيها علومًا لا يحيط بها إلَّا زعيمُهم.

فمن مسائلهم قولُ الداعي منهم للغِر: لِمَ صارَ للإنسان أُذنانِ ولسانٌ واحد؟ ولم صارَ للرجل ذَكَرٌ واحد وخُصْيَتان؟ ولم صارت الأعصاب متَّصلةً بالدِّماغ، والأورِدة مُتَّصِلةً بالكبد، والشرايين مُتَّصِلة بالقلب؟ ولم صارَ الإنسان مخصوصًا بنباتِ الشَّعر على جَفنَيهِ الأعلى والأسفل وسائر الحيوان ينبت الشَّعر على جَفنِه الأعلى دونَ الأسفل؟ ولم صارَ ثدي الإنسان على

صدره وثدي البهائم على بطونها؟ ولماذا لم يكن للفرس غُدَد ولا كَرِش ولا كعب؟ وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض ولا يَلِد، والذي يَلِد ولا يبيض؟ وبماذا يميَّز بين السمكة النَّهريَّة والسمكة البحريَّة؟

ونحو هذا كثير؛ يوهمون أنَّ العلم بذلك عندَ زعيمهم.

ومن مسائلهم في القرآن سؤالهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السُّور كقوله: ﴿الٓمٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿يسٓ﴾، و﴿طه﴾، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وربَّما قالوا: ما معنى كلِّ حرفٍ من حروف الهِجاء؟ ولم صارت حروف الهِجاء تسعةً وعشرين حرفًا؟ ولم أُعجم بعضُها بالنَّقط وخَلا بعضُها من النَّقط؟ ولم جازَ وصلُ بعضها بما بعدها بحرف؟ وربَّما قالوا كفرًا: ما معنى قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقَّة: ١٧]؟ ولم جعلَ الله تعالى أبواب الجنَّة ثمانية وأبوابَ النار سبعة؟ وما معنى قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدَّثِّر: ٣٠]؟ وما فائدة هذا العدد؟ وربَّما سألوا عن آيات أوهموا فيها التناقض، وزعموا أنَّه لا يعرف تأويلَها إلَّا زعيمهم؛ كقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ [الرَّحمٰن: ٣٩]، مع قوله في موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحِجر: ٩٢].

ومنها: مسائلهم في أحكام الفقه؛ كقولهم: لم صارت صلاة الصُّبح ركعتين والظهر أربعًا والمغرب ثلاثًا؟ ولم صارَ في كلِّ ركعة ركوع واحد وسجدتان؟ ولم كان الوضوء على أربعة والتيمُّم على عضوَين؟ ولم وجبَ الغسل من المنيِّ وهو عند أكثر المسلمين طاهر؟ ولم لا يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع؟ ولم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تُعِد ما تركت من الصلاة؟ ولم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد وفي الزِّنى بالجلد؟ وهلَّا قُطع الفَرْجُ الذي به زنى في الزِّنى كما قُطعت اليد التي بها سرقَ في السرقة.

فإذا سَمِعَ الغِرُّ منهم هذه الأسئلة ورجعَ إليهم في تأويلها قالوا له: علمُها عندَ إمامنا وعند المأذون له في كشف أسرارنا، فإذا تقرَّرَ عند الغِرِّ أنَّ إمامَهم أو مأذونه هو العالم بتأويله اعتقدَ أنَّ المراد بظواهر القرآن والسنَّة غيرُ ظاهرها، فأخرجوه بهذه الحِيلَةِ عن العمل بأحكام الشريعة، فإذا اعتادَ تركَ العبادة واستحلَّ المحرَّمات، كشفوا له القِناع وقالوا له: لو كان لنا إلهٌ قديم غنيٌّ عن كلِّ شيء لم يكن له فائدة في ركوع العباد وسجودهم، ولا في طوافهم حولَ بيت من حجر، ولا في سعيٍ بين جبلَين، فإذا قَبِلَ منهم ذلك فقد انسلخَ عن توحيد ربِّه وصارَ جاحدًا له زِنْدِيقًا.

قال عبد القاهر: والكلام عليهم في مسائلهم التي يسألون عنها عند قصدهم إلى تشكيك الأغمار في أصول الدِّين من وجهين:

أحدهما:

أن يُقالَ لهم: إنَّكم لا تخلُون من أحد أمرين: إمَّا أن تقِرُّوا بحدوث العالم وتُثبتوا له صانعًا قديمًا عالمًا حكيمًا يكون له تكليفُ عباده ما شاء كيف شاء، وإمَّا أن تُنكروا ذلك وتقولوا بقِدَم العالم ونفي الصانع؛ فإن اعتقدتُّم قِدَمَ العالم ونفيَ الصانع فلا معنى لقولكم: لم فرضَ الله كذا؟ ولم حرَّمَ كذا؟ ولم خلقَ كذا؟ ولم جعلَ كذا على مقدار كذا؟ إذا لم تقرُّوا بإلهٍ فرضَ شيئًا أو حرَّمه، أو خلقَ شيئًا أو قدَّره، ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدَّهريَّة في حدوث العالم.

وإن أقررتُم بحدوث العالم وتوحيد صانعه، وأجزتُم له تكليفَ عباده ما شاءَ من الأعمال، كان جوازُ ذلك جوابًا لكم عن قولكم: لم فرضَ ولم حرَّمَ كذا؟ لإقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به وبجواز تكليفه، وكذلك سؤالهم عن خاصِّية المحسوسات يبطُل إن أَقرُّوا أنَّ الصانع أحدثَها، وإن

أنكروا الصانع فلا معنًى لقولهم: لم خلقَ الله ذلك؟ مع إنكارهم أن يكونَ لذلك صانع قديم.

والوجه الثاني من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان أن يُقالَ لهم: كيف يكون زعماء الباطنيَّة مخصوصين بمعرفة عِلَل ذلك وقد ذكرته الأطبَّاء والفلاسفة في كتبهم، وصنَّف أرسطاطاليس في طبائع الحيوان كتابًا، وما ذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئًا إلَّا مسروقٌ من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة من العرب القَحطانيَّة والجُرْهُمِيَّة والطَّسْمِيَّة وسائر الأصناف الحِمْيَرِيَّة، وقد ذكرت العرب في أشعارها وأمثالها جميعَ طبائع الحيوان، ولم يكن في زمانها باطنيٌّ ولا زعيمٌ للباطنيَّة.



عودة لقتال شيخ الإسلام للدُّروز

ويروي الشيخ محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه "العقود الدرِّيَّة، في مناقب شيخ الإسلام ابن تيميَّة" عن أحد الأمراء الشاميِّين ما يُثير الإعجابَ من شجاعة شيخ الإسلام وجَلَدِه في قتال التتار، قال: ثم لم يَزَل الشيخ بعد ذلك على زيادةٍ في الحال والقال والجاه، والتحقيق والعرفان، حتى حرَّكَ الله سبحانه عَزَماتِ نفوس ولاة الأمر لقتال أهل جبل كِسِروان، وهم الذين بَغَوا وخرجوا على الإمام، وأخافوا السُّبل وعارَضوا المارِّين بهم من الجيش بكلِّ سوء.

وقامَ الشيخ في ذلك أتمَّ قيام، وكتبَ إلى أطراف الشام في الحثِّ على قتال المذكورين وأنَّها غَزاةٌ في سبيل الله، ثم تجهَّزَ هو بِمَن معه لغزوهم بالجبل صُحبةَ وليِّ الأمر نائب المملكة المعظَّمة - أعزَّ الله نصرَه - والجيوش الشاميَّة المنصورة، وما زالَ مع وليِّ الأمر في حصارهم وقتالهم حتى فتحَ الله الجبل وأجلى أهلَه، وكان من أصعب الجبال وأشقِّها ساحة، وكانت الملوك المتقدِّمة لا تُقدِم على حصاره، مع علمها بما عليه أهلُه من البغي والخروج على الإمام والعصيان؛ وليس إلَّا لصعوبة المَسلَك ومشقَّة النزول عليهم، وكذلك لمَّا حاصرَهم بَيدرا بالجيش رحلَ عنهم ولم يَنَل منهم مَنالًا لذلك السبب ولغيره، وذلك عَقِيبَ فتح قلعة الرُّوم، ففتحَه الله على يدَي وليِّ الأمر نائب الشام المحروس أعزَّ الله نصرَه، وكان فتحُه أحد المَكرُمات والكرامات المعدودةِ للشيخ لسببين، على ما يقوله الناس:

أحدهما: لكون أهل هذا الجبل بُغَاةً رافضةً سبَّابة تعيَّنَ قتالُهم.

والثاني: لأنَّ جبل الصالحيَّة لمَّا استولَت الرافضة عليه في حال استيلاء

الطاغية قازان، أشارَ بعض كبرائهم بنهب الجبل وسَبي أهلِه وتحريق مساكنهم انتقامًا منهم؛ لكونهم سُنيَّة، وسمَّاهم ذلك المُشير (نواصب)، فكان ما كان من أمر جبل الصالحيَّة بذلك القول وتلك الإشارة، قالوا: فكُوفئ الرافضة بمثل ذلك بإشارة كبيرٍ من كُبَراء أهل السنَّة؛ وزنًا بوزنٍ جزاءً على يدِ وليِّ الأمر وجيوش الإسلام، والمُشِير المذكور هو الشيخ المشار إليه.

ولمَّا فُتحَ الجبل وصارَ الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة - عكفَ خاصَّة الناس وعامَّتهم على الشيخ بالزِّيَارة والتسليم عليه والتهنئة بسلامته، والمسألة له منهم عن كيفيَّة الحصار للجبل، وصورة قتال أهله، وعمَّا وقعَ بينهم وبين الجيوش من المراسلات وغيرها، فحكى الشيخ ذلك.

وحكى أيضًا أنَّه تجادَلَ مع كبيرٍ من كُبَراء أهل جبل كِسِروان له اطِّلاعٌ على مذهب الرافضة، قال: وكان الجدلُ والبحثُ في عِصمَة الإمام وعدم عِصمَته، وفي أنَّ أمير المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب ﵁ معصومٌ من الصغائر والكبائر في كلِّ قول وفعل؛ وهذه دعوى الجَبَليِّ، وأنَّ الشيخ حاجَّه في أنَّ العِصمَة لم تثبُت إلَّا للأنبياء عليهم السلام.

قال: وإنَّني قلتُ له: إنَّ عليًّا وعبد الله بن مسعود ﵄ اختلفا في مسائلَ وقعَت، وفتاوى أفتى بها كلٌّ منهما، وإنَّ تلك الفتاوى والمسائل عُرِضَت على النبيِّ ﷺ فصوَّبَ فيها قولَ ابن مسعود ﵁؛ هذا معنى كلام الشيخ في حديثه عن المجادلة مع الرافضيِّ الجَبَلِيِّ وإن اختلفَت العبارة، انتهى ما ذكرَه.

ثم قالَ ابن عبد الهادي: وكان توجُّه الشيخ تقيِّ الدِّين ﵁ إلى الكسروانيِّين في مستهلِّ ذي الحِجَّة من سنة أربع وسبعمئة وصحبته الأمير

قراقوش، وتوجَّه نائب السلطنة الأمير جمال الدِّين الأفرم بِمَن تأخَّر من عسكر دمشق إليهم لغزوهم واستئصالهم في ثاني شهر المحرَّم من سنة خمس وسبعمئة، وكان قد توجَّه قبلَه العسكرُ طائفةً بعد طائفة في ذي الحجَّة، وفي يوم الخميس سابعَ عشرَ وصلَ النائب والعسكر معه إلى دمشق بعد أن نصرَهم الله تعالى على حزبِ الضَّلال من الرَّوَافِض والنُّصيريَّة وأصحاب العقائد الفاسدة، وأبادَهم الله من تلك الأرض، والحمد لله ربِّ العالمين.

ثم إنَّ الشيخ رحمه الله بعد وقعةِ جبل كِسِروان أرسلَ رسالةً إلى السُّلطان الملك الناصر يذكر فيها ما أنعمَ الله على السُّلطان وعلى أهل الإسلام بسبب فتوح الجبل المذكور؛ وهي هذه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من الدَّاعي أحمد بن تيميَّة إلى سُلطان المسلمين، ومن أيَّد الله في دولته الدِّين، وأعزَّ بها عبادَه المؤمنين، وقمعَ فيها الكُفَّار والمنافقين والخوارجَ المارقين، نصرَه الله ونصرَ به الإسلام، وأصلحَ له وبه أمورَ الخاصِّ والعام، وأحيا به معالمَ الإيمان، وأقامَ به شرائعَ القرآن، وأذلَّ به أهلَ الكفر والفسوق والعِصيان.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنَّا نحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهلٌ وهو على كلِّ شيء قدير، ونسأله أن يصلِّيَ على خاتَم النبيِّين وإمام المتَّقين محمَّد عبدِه ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد:

فقد صدقَ الله وعدَه، ونصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه،

وأنعمَ الله على السُّلطان وعلى المؤمنين في دولته نِعَمًا لم تُعهَد في القرون الخالية، وجُدِّد الإسلام في أيَّامه تجديدًا بانَت فضيلتُه على الدُّوَل الماضية، وتحقَّقَ في وِلايته خبرُ الصادق المصدوق أفضلِ الأوَّلين والآخرين؛ الذي أخبرَ فيه عن تجديد الدِّين في رؤوس المِئين، والله تعالى يُوزِعُه والمسلمين شكرَ هذه النِّعم العظيمة في الدُّنيا والدِّين، ويتمُّها بتمام النصر على سائر الأعداء والمارقين.

وذلك أنَّ السُّلطان - أتمَّ الله نعمته - حصلَ للأمَّة بيُمنِ وِلايتِه وحُسنِ نيَّته، وصحَّةِ إسلامه وعقيدته، وبركةِ إيمانِه ومعرفته، وفضلِ همَّته وشجاعته، وثمرةِ تعظيمه للدِّين وشِرعته، ونتيجةِ اتِّباعه لكتاب الله وحِكمَته - ما هو شبيهٌ بما كان يجري في أيَّام الخُلفاء الراشدين، وما كانَ يقصده أكابر الأئمَّة العادلين من جهاد أعداء الله المارقين من الدِّين، وهم صِنفان:

- أهل الفجور والطُّغيان، وذوو الغَيِّ والعُدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان؛ طلبًا للعلوِّ في الأرض والفساد، وتركًا لسبيل الهُدى والرَّشاد، وهؤلاء هم التتار ونحوهم من كلِّ خارجٍ عن شرائع الإسلام، وإن تمسَّكَ بالشهادتَين أو ببعض سياسة الإسلام.
- **والصِّنف الثاني**: أهل البدع المارقون، وذوو الضَّلال المنافقون، الخارجون عن السُّنَّة والجماعة، المُفارِقُون للشِّرعَة والطاعة، مثل هؤلاء الذين غُزُوا بأمر السُّلطان من أهل الجبل والجَرَد والكِسِروان، فإنَّ ما مَنَّ الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطَّغام، هو من عزائم الأمور التي أنعمَ الله بها على السُّلطان وأهل الإسلام.

وذلك أنَّ هؤلاء وجِنسَهم من أكابر المُفسدين في أمر الدُّنيا والدِّين؛ فإنَّ اعتقادَهم أنَّ أبا بكر وعمر وعثمان وأهلَ بدر وبَيعَة الرِّضوان، وجمهور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وأئمَّةَ الإسلام وعلماءَهم أهلَ

المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخَ الإسلام وعبَّادهم، وملوكَ المسلمين وأجنادَهم، وعوامَّ المسلمين وأفرادهم - كلَّ هؤلاء عندهم كفارٌ مرتدُّون، أكفرُ من اليهود والنصارى؛ لأنَّهم مرتدُّون عندهم، والمرتدُّ شرٌّ من الكافر الأصلي، ولهذا السبب يقدِّمون الفَرَنْجَ والتتار على أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لما قَدِمَ التتار إلى البلاد، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يُحصَى من الفساد، وأرسلوا إلى أهل قُبْرُصَ فملكوا بعض الساحل، وحملوا رايةَ الصَّليب، وحملوا إلى قُبْرُصَ من خَيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يُحصي عددَه إلَّا الله، وأقامَ سوقُهم بالساحل عشرين يومًا يبيعون فيه المسلمين والخَيل والسِّلاح على أهل قُبْرُص، وفرحوا بمجيء التتار هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون مثل أهل جِزِّين وما حولَها، وجبل عامل ونواحِيه، ولمَّا خرجَت العساكر الإسلاميَّة من الدِّيار المصريَّة ظهرَ فيهم من الخِزي والنَّكال ما عرفَه الناس منهم، ولمَّا نصرَ الله الإسلام النُّصرةَ العظمى عند قدوم السُّلطان كان بينهم شبيهٌ بالعَزاء.

كلُّ هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جنكيز خان إلى بلاد الإسلام وفي استيلاء هولاكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب وفي نهبِ الصالحيَّة، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله؛ لأنَّ عندَهم أنَّ كلَّ مَن لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافرٌ مرتد، ومن استحلَّ الفُقَّاع - شراب فيه زَبَد - فهو كافر، ومَن مسحَ على الخُفَّين عندهم فهو كافر، ومَن حرَّم المُتعةَ فهو عندَهم كافر، ومَن أحبَّ أبا بكر أو عمرَ أو عثمانَ أو تَرَضَّى عنهم أو عن جماهير الصَّحابة فهو عندَهم كافر.

ومَن لم يؤمن بمُنتَظَرِهِم فهو عندَهم كافر، وهذا المنتظَر صبيٌّ عمره سنتان

أو ثلاث أو خمس، يزعمون أنَّه دخلَ السِّرداب بسامَرَّاء من أكثر من أربعمئة سنة، وهو يعلمُ كلَّ شيء، وهو حُجَّة الله على أهل الأرض، فمَن لم يؤمن به فهو عندَهم كافر، وهو شيءٌ لا حقيقةَ له ولم يكن هذا في الوجود قطُّ.

وعندَهم مَن قال: إنَّ الله يُرى في الآخرة فهو كافر، ومَن قال: إنَّ الله تكلَّمَ بالقرآن حقيقةً فهو كافر، ومَن قال: إنَّ الله فوقَ السَّماوات فهو كافر، ومَن آمَنَ بالقضاء والقدر وقال: إنَّ الله يهدي مَن يشاء ويُضِلُّ مَن يشاء، وإنَّ الله يقلِّب قلوبَ عباده، وإنَّ الله خالق كلِّ شيء - فهو عندَهم كافر، وعندَهم مَن آمنَ بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبرَ بها في كتابه وعلى لسان رسوله فهو عندَهم كافر.

هذا هو المذهب الذي تُلَقِّنه لهم أئمَّتُهم، مثل بني العُود فإنَّهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين ويُفتونهم بهذه الأمور.

وقد حصلَ بأيدي المسلمين طائفةٌ من كتبهم تصنيفَ ابن العُود وغيره، ومنها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنَّهم الذين علَّموهم وأمروهم، لكنَّهم مع هذا يظهرون التقيَّة والنِّفاق، ويتقرَّبون ببذل الأموال إلى مَن يقبلُها منهم، وهكذا كانت عادةُ هؤلاء الجَبَلِيَّة، فإنَّما قاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النِّفاق، ويبذلونه من البِرْطِيل لمن يقصدهم.

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة، ذكرَ أهلُ الخبرة أنَّهم لم يَرَوا مثلَه؛ ولهذا كَثُر فسادُهم، فقتلوا من النُّفوس وأخذوا من الأموال ما لا يعلمه إلَّا الله، ولقد كان جِيرانُهم من أهل البِقاع وغيرها في أمرٍ لا يُضبَط شرُّه، كلَّ ليلةٍ تنزل عليهم منهم طائفةٌ، ويفعلون من الفساد، ما لا يُحصيه إلَّا ربُّ العباد، كانوا في قطع الطُّرقات وإخافة سكَّان البُيوتات، على أقبح سِيرةٍ عُرِفَت من أهل الجِنايات، يَرِدُ إليهم النصارى من أهل قُبْرُصَ

فيُضيِّفونهم، ويعطونهم سلاح المسلمين، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين، فإمَّا أن يقتلوه أو يسلُبوه، وقليلٌ منهم من يُفلِت منهم بالحِيلة.

فأعانَ الله ويسَّرَ بحُسن نيَّة السُّلطان وهمَّته في إقامة شرائع الإسلام، وعنايته بجهاد المارقين أن غُزوا غزوةً شرعيَّةً كما أمرَ الله ورسوله، بعد أن كُشِفَت أحوالُهم، وأُزيحَت عِلَلُهم، وأُزيلَت شُبَهُهم، وبُذِلَ لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به، وبُيِّنَ لهم أنَّ غزوهم اقتداءٌ بسيرة أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قتال الحَرُورِيَّة المارقين، الذين تواترَ عن النبيِّ ﷺ الأمرُ بقتالهم ونعتُ حالهم من وجوهٍ متعدِّدة.

أخرجَ منها أصحاب الصحيح عشرةَ أوجه من حديث عليِّ بن أبي طالب، وأبي سعيدٍ الخُدْرِي، وسَهل بن حُنَيف، وأبي ذَرٍّ الغِفاري، ورافع بن عمرو، وغيرهم من أصحاب النبيِّ ﷺ، قال فيهم: «يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامِهم، وقراءَته مع قراءتِهم، يقرؤون القرآنَ لا يُجاوز حناجرَهم، يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السَّهمُ من الرَّمِيَّة، لئن أدركتُهم لأقتُلنَّهم قَتلَ عاد، لو يعلمُ الذين يُقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمَّد ﷺ لاتَّكلوا عن العمل، يقتلون أهلَ الإسلام ويَدَعون أهلَ الأوثان، يقرؤون القرآنَ يحسَبون أنَّه لهم وهو عليهم، شرُّ قتلى تحتَ أَدِيم السماء، خيرُ قتلى مَن قتلوه».

وأوَّل ما خرجَ هؤلاء زمنَ أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه وكان لهم من الصلاة والصِّيام والقراءة والعبادة والزَّهادة ما لم يكن لعموم الصَّحابة، لكن كانوا خارجين عن سُنَّة رسول الله ﷺ وعن جماعة المسلمين، وقتلوا من المسلمين رجلًا اسمه عبد الله بن خبَّاب، وأغاروا على دوابِّ المسلمين.

وهؤلاء القوم كانوا أقلَّ صلاةً وصيامًا، ولم نجِد في جبلهم مصحفًا ولا فيهم قارئًا للقرآن، وإنَّما عندَهم عقائدُهم التي خالفوا فيها الكتاب

والسنَّة، وأباحوا بها دماء المسلمين، وهم مع هذا فقد سفكوا من الدِّماء وأخذوا من الأموال ما لا يحصي عددَه إلَّا الله تعالى.

فإذا كان عليُّ بن أبي طالب قد أباحَ لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج مع أنَّه قتلَهم جميعَهم، كان هؤلاء أحقَّ بأخذ أموالهم، وليس هؤلاء بمنزلة المتأوِّلين الذين نادى فيهم عليُّ بن أبي طالب يومَ الجمل: أنَّه لا يقتلُ مُدبِرَهم، ولا يُجهِزُ على جريحهم، ولا يغنَمُ لهم مالًا، ولا يسبي لهم ذُرِّيَّة؛ لأنَّ مثلَ أولئك لهم تأويل سائغ، وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ، ومثلَ أولئك إنَّما يكونون خارجين عن طاعة الإمام، وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله ﷺ وسُنَّتِه.

وهم شرٌّ من التتار من وجوهٍ متعدِّدة، لكنَّ التتر أكثرُ وأقوى؛ فلذلك يظهر كثرةُ شَرِّهم، وكثيرٌ من فساد التتر هو لمخالطةِ هؤلاء لهم؛ كما كان في زمن قازان وهولاكو وغيرهما؛ فإنَّهم أخذوا من أموال المسلمين أضعافَ ما أخذوا من أموالهم وأرضهم فَيْئًا لبيت المال، وقد قالَ كثيرٌ من السَّلَف: إنَّ الرَّافضةَ لا حقَّ لهم في الفَيء؛ لأنَّ الله إنَّما جعلَ الفَيءَ للمهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحَشر: ١٠]، فمَن لم يكن قلبُه سليمًا لهم ولسانُه مستغفرًا لهم لم يكن من هؤلاء.

وقُطعَت أشجارُهم؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا حاصرَ بني النَّضِيرِ قطعَ أصحابُه نخلَهم وحرَّقوه؛ فقال اليهود: هذا فسادٌ، وأنت يا محمد تنهى عن الفساد، فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحَشر: ٥]، وقد اتَّفق العلماء على جواز قطع الشجر

وتخريب العامر عندَ الحاجة إليه، فليس ذلك أولى من قتل النفوس، وما أمكنَ غيرُ ذلك فإنَّ القوم لم يحضروا كلُّهم من الأماكن التي اختفَوا فيها، وأَيِسوا من المُقام في الجبل إلَّا حين قُطعت الأشجار، وإلَّا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم، وما أمكنَ أن يسكنَ الجبل غيرُهم؛ لأنَّ التُّركمان إنَّما قصدهم الرعي، وقد صارَ لهم مرعًى، وسائر الفلاحين لا يتركون عمارةَ أرضهم ويجيئون إليه، فالحمد لله الذي يسَّرَ هذا الفتح في دولة السُّلطان بهمَّته وعزمه وأمره، وإخلاء الجبل منهم وإخراجهم من ديارهم.

وهم يشبهون ما ذكرَه الله في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الحشر: ٢-٥].

وأيضًا فإنَّه بهذا قد انكسرَ من أهل البدع والنِّفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق ما يرفع الله به درجاتِ السُّلطان ويعزُّ به أهلَ الإيمان.



فصل

تمام هذا الفتح وبركته: تقدُّم مَراسم السُّلطان بحسم مادَّة أهل الفساد، وإقامة الشريعة في البلاد، فإنَّ هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان في قرًى كثيرة مَن يقتدون بهم، وينتصرون لهم، وفي قلوبهم غلٌّ عظيم وإبطانُ معاداةٍ شديدة؛ لا يُؤمنون معها على ما يُمكنهم، ولو أنَّه مُباطنةُ العدو، فإذا أُمسِكَ رؤوسهم الذين يضلُّونهم مثل بني العُود زالَ بذلك من الشرِّ ما لا يعلمه إلَّا الله.

ويتقدَّم إلى قُراهم - وهي قرى متعدِّدة بأعمال دمشق وصَفَد وطَرابُلُس وحَماة وحِمص وحَلَب - بأن يُقامَ فيهم شرائع الإسلام والجُمُعةِ والجَماعة وقراءة القرآن، ويكون لهم خُطباء ومؤذِّنون كسائر قُرى المسلمين، وتُقرَأ فيهم الأحاديثُ النبويَّة، وتُنشَر فيهم المعالم الإسلاميَّة، ويُعاقَب مَن عُرِفَ منهم بالبدعة والنِّفاق بما توجبه شريعةُ الإسلام؛ فإنَّ هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جُهَّال وهؤلاء كانوا يعلِّموننا ويقولون لنا: أنتم إذا قاتلتُم هؤلاء تكونون مجاهدين، ومَن قُتِل منكم فهو شهيد.

وفي هؤلاء خلقٌ كثير لا يقرُّون بصلاة ولا صيام، ولا حجٍّ ولا عمرة، ولا يحرِّمون المَيتةَ والدَّمَ ولحمَ الخنزير، ولا يؤمنون بالجنَّة والنار، من جنس الإسماعيليَّة والنُّصيريَّة، والحاكميَّة والباطنيَّة، وهم كفَّارٌ أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين، فتقدُّم المراسيم السُّلطانيَّة بإقامة شرائع الإسلام من الجمعة والجماعة وقراءة القرآن وتبليغ أحاديث النبيِّ ﷺ في قُرى هؤلاء - من أعظم المصالح الإسلاميَّة وأبلغ الجهاد في سبيل الله.

وذلك سببٌ لانقِماع مَن يُباطن العدوَّ من هؤلاء، ودخولهم في طاعة الله ورسوله وطاعة أُولي الأمر من المسلمين؛ وهو من الأسباب التي

يُعين الله بها على قَمع الأعداء، فإنَّ ما فعلوه بالمسلمين في أرض سيس نوعٌ من غدرهم الذي به ينصر الله المسلمين عليهم، وفي ذلك لله حكمةٌ عظيمة، ونُصرةٌ للإسلام جسيمة؛ قال ابن عبَّاس: ما نقضَ قومٌ العهدَ إلَّا أُدِيلَ عليهم العدو.

ولولا هذا وأمثاله ما حصلَ للمسلمين من العزم بقوَّة الإيمان وللعدوِّ من الخِذلان ما ينصر الله به المؤمنين، ويذِلُّ به الكُفَّار والمنافقين، والله هو المسؤول أن يتمَّ نعمته على سُلطان الإسلام خاصَّة، وعلى عباده المؤمنين عامَّة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله وحدَه، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

عنوان الكتاب ظاهره: سلطان المسلمين، ومن أيَّد الله في دولته الدين، وقمع الكفَّار والمنافقين، أيَّد الله به الإسلام، ونشر عدله في الأنام.



الدُّروز عبر التاريخ

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" تحقيقٌ تاريخيٌّ حول كلمتي (درزي، ودروز):

«المراجع التي بين أيدينا المدوَّنة بالقرنين الرابع والخامس للهجرة اللَّذَين عاشَ بهما الحاكم، تلك المراجع لا سيَّما التي اعتنَت بحوادثه كـ"خُطط المَقرِيزي" مثلًا و"أخبار ملوك بني عُبيد وسيرتهم" لابن جاد - لم تذكر كلمة (دروز).

والكتب التي أخذت على عاتقها الاعتناءَ بالفِرَق الإسلاميَّة وأُلِّفت بعد عهد الحاكم ككتاب عبد الرزَّاق الرَّسْعَنِيِّ المتوفَّى عام **٦٨٩**هـ لم تذكر كلمة (دروز).

بل إنَّ محمَّد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتانيَّ الذي جاءَ بعد عصر الحاكم - إذ هو متوفًّى عام **٥٤٨**هـ - لم يذكر في كتابه المسمَّى بـ"المِلَل والنِّحل" كلمة (دروز)، رغم أنَّ كتابه هذا دليلٌ على سَعَةِ علمه ووافر اطِّلاعه.

وأكثر من هذا أنَّ البغداديَّ صاحب "الفَرْق بين الفِرَق" متوفًّى عام **٤٢٩**هـ، والإسفَراييني صاحب كتاب "التبصير في الدِّين، وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين" متوفًّى عام **٤٧١**هـ، وابن حزم العالم الكبير الذي حدَّثنا عن فِرَق الهند متوفًّى عام **٤٥٦**هـ، كلُّ هؤلاء جاؤوا بعد الحاكم، إذ هو متوفًّى عام **٤١١**هـ، بل إنَّ بعضهم عاصره كما يرى القارئ من تقارب أرقام الوفاة.

نعم، لا دروز في التاريخ؛ إذ كلُّ ما رأيناه في المراجع القديمة قولهم:

إنَّ بعض أهل وادي التَّيم يرون ألوهيَّة الحاكم، أو إنَّ بعض الباطنيَّة ألَّف كتابًا يدعو لألوهيَّة الحاكم، كما قال الأمير حيدر الشملاني.

إذًا لا دروز في التاريخ بل درزي واحد، نُسِبَ إليه في مصر شِرذمةٌ فطُورد وأُخرج، ثم حلَّ لبنان فطارده المسلمون وقتلوه، فإذا رأينا بعض الرحَّالين يذكر كلمة دروز تحقَّقنا أنَّه أراد بها مردِّدي أفكار هذا الدرزي، وهي أفكارٌ نحن جميعًا متَّفقون على انحرافها.

قطعًا المراجع التي عاصرت فترةَ الحاكم وعُنِيَت بها عنايةً لم نَرَها لسِواها، وحدَّثتنا عن ابن كِلِّس وابن إلياس وجوامع الحاكم ومدارسه وأوقافه وحجِّه... ولم تنسَ حتى (المقس)، تلك المراجع - وفي مقدِّمتها المَقْرِيزِي - لم تُشِر لكلمة (دروز) كفرقة، وهذا كتاب "تاريخ بيروت" لصالح بن يحيى الذي عاش بعد الحاكم بثلاثة قرون، وكتبَ ما يتناول منطقة الشُّوف بالذات - لم يعرفها مسكونةً بالدُّروز؛ بل بالتَّنوخِيِّين المسلمين، والأمير السيِّد المتوفَّى في عَبيه عام ٨٨٤هـ؛ أي: بعد الحاكم بنحو خمسة قرون لم نَرَ في تَرِكَته إلَّا إسلامًا صريحًا، وإن حاوَلت الأيدي التي تعوَّدت الحياة في الظلام أن تُلصقَ به ما ألصقت.

وهذه كتب ابن تيميَّة - ومعلومٌ أنَّه عاشَ بعد الحاكم - تحدِّثنا عن الزيديَّة والنُّصيريَّة، ولم تترك بابًا حولَ هذا الموضوع إلَّا وَلَجَته، ومع ذلك لم نَرَ بها إشارةً لكلمة (دروز)[1].

إذًا فكلمة (دروز) لم تكن معروفةً منذ عهد الحاكم مرورًا بالعهد الأيُّوبيِّ والمملوكيِّ والفترة الأولى من العصر التُّركي؛ إذ كان المنسوبون للدُّرزيِّ قلَّةً قابعةً في وادي التَّيم، قد يتجنَّد بعض أفرادها تحتَ لواء المَعْنِيِّين

---

(١) كذا! وهو غير صحيح. (الألوكة).

والأَرْسِلانِيِّين وتتظاهر بالإسلام وتقول: نحن لسنا أتباعَ الدُّرزي بل نبرأ منه، وهي صادقةٌ بتلك البراءة؛ إذ هي ليست دُرزيَّةً وإن غلبت عليها هذه التسمية.

ثم أخذَ اسم دروز يُعرَف، لكن في الفترة الثانية من العصر العثماني؛ أي: في فترة الضعف والتفكُّك التي أصبحَ بها مُلكُ بني عثمان ضعيفًا عجوزًا مريضًا، في هذا العصر شرعنا نرى كلمة (دروز) كطائفة، كما نرى في "حاشية" الفقيه الدِّمَشقي ابن عابِدِين.

هذا التحقيق يُرِينا كلمة (دروز) أصبحت في الفترة الثانية من العصر العثماني تُطلَق على قوم يعيشون بوادي التَّيم منضَوين تحتَ لواء الأكثريَّة الإسلاميَّة، ولا تكاد تتحدَّث بكلمة (دروز).

وهكذا مرَّت القرون العديدة، ولا يرى الباحثون لكلمة (دروز) أثرًا إلَّا في ذلك المحيط العقائديِّ المحدود والكامن تحتَ تآويلَ مكتومة، المستتر بصلاة الجنازة كالمسلمين والوصيَّة، مع بعض التعديل، وعقود الزواج والاعتراف لله بالوحدانيَّة ولرسوله بالرِّسالة، لكن أمام الجنائز فقط.

والذين عرفناهم أخيرًا بالدُّروز كامنون بين التَّنوخِيِّين والمعنيِّين والأرسِلانيِّين المسلمين، يشاهدون مساجدَ هؤلاء المسلمين ومدارسَهم الفقهيَّة وقوافلَ حجَّاجهم تتردَّد بين مكَّة والشُّوف، مستترون بكلمة (محمَّديِّين).

إذًا - ودونَ رَيب - في أواخر العصر العثمانيِّ وهو أشدُّ عصورنا انحطاطًا، شرعنا نرى بعض الأمراء الشِّهابيِّين المسلمين المخزوميِّين الحَورانيِّين يجنح للنصرانيَّة أو الدُّرزيَّة؛ حرصًا على دعم كراسيِّ الإمارة، ويتقرَّب لدُول الغرب التي أصبحَ نفوذها قويًّا في لبنان على مقدارِ ما أخذَ

الرجل المريض من شَفير الموت.

ورأينا الدُّروز يحاولون تخفيف الاستتار ويأخذون بتأسيس مجالس أو خَلَوات، أو بالأحرى يضمُّون لخَلَواتهم المنزوية بالشواهق والشِّعاف وبطون الأودية خَلَوات جديدة، ولكن رغمَ هذه الطوارئ رأينا للدُّروز شيوخًا فقهاء؛ كالشيخ حسن حمادة، والشيخ سعيد حمدان.

وصفوة القول: الدُّروز فرقة باطنيَّة أُسِّسَت بمصر أوَّل القرن الخامس الهجري، وانتقلَت انتقالًا سريعًا إلى وادي التَّيم ولواء حلب، ثم تسلَّقت لبنان، ومنه هاجرَ بعضها لحَوران لا سيَّما على إثر موقعة عَين دارة القَيسيَّة اليَمنيَّة ١٧١٠ - ١٧١١، والدُّرزيَّة الحقيقيَّة هي التي نراها في المخطوطات التي لا تزال مستورةً تدعو للمُجاملة والاستتار بالمألوف، مستترةً بصلاة الجنائز وعقود الزواج والوصيَّة وإقامة القبور على الطريقة الإسلاميَّة.

عاشَت منذ تأسيسها حتى القرن الحادي عشر للهجرة مستظلَّةً براية الشريعة الإسلاميَّة، مجرَّدة من قُضاة أو مشيخة عقل أو كِيان خاصٍّ، ثم أخذت بالظهور تدريجيًّا، لا سيَّما بعد أن أخفقَ السُّلطان أحمد في حصار فِيِنَّا؛ إذ تضاعفَ انهيار الدَّولة العثمانيَّة، وتضاعفَ تدخُّل دول أوروبَّا، لا سيَّما تدخُّل فرنسا في لبنان، فأخذَ بعض الأمراء كبعض بني شهاب يتظاهرون باعتناق النصرانيَّة؛ تزلُّفًا لدول أوروبَّا، وطمعًا بمساعدتها وتأييدها.

لقد جاءت هذه الظروف فرصةً للدُّروز؛ إذ أخذوا يخلقون لأنفسهم كيانًا بتأسيس أو مضاعفة تأسيس الخَلَوات، فدعَوا أحدهم شيخًا للعقَّال، وما لبثت هذه الكلمة أن أصبحت شيخًا للعَقل، ورغمَ هذه الفرصة التي حاولوا اغتنامها أغلقَت الدَّولة التركيَّة في وجوههم باب الاعتراف، ولم

تمنَح مشيخةَ العقل ما منحَته الطوائف المسيحيَّة إلَّا بعد اشتعال الحرب العالميَّة الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م، ولم تمنحهم محاكمَ مذهبيَّة تمارس شؤون الزَّواج والنفقة والوصيَّة، بل لم تمنح درزيًّا وظيفةً إلَّا بعد أن أفلَتَ من يدها الزِّمام بعهد المُتصرِّفيَّة في لبنان، إذ شرعنا نرى اسم (قائم مقام المنطقة الدُّرزيَّة).

والواقع أنَّ هذه المنطقة ليست درزيَّة، بل مسلمة سنِّيَّة، أقامَ قُراها ومُدنَها العشائرُ المسلمة السُّنِّية التي حلَّت لبنان منذ منتصف القرن الثاني للهجرة، وأقامت فيها الجوامع ومدارس القرآن والقصور والمنازل، ولكن تنازُع هذه الإمارات واستعانتها بالدُّروز على بعضها بعضًا مكَّن الدُّروز أنفسَهم من وراثة ديارها، والظهور بمظهر أصحابها ومؤسِّسيها.

نعم، الدُّروز شِرذمةٌ لم تتعدَّ في الأصل واديَ التَّيم، أمَّا القرى التي تسكنها الآن في لبنان فقد أسَّسها كلَّها المسلمون من بني مَعْن وتَنُوخ وأَرسِلان وبُحْتُر، ولكن انتهى أَجَلُ هؤلاء؛ فأصبحَ الدُّروز - وهم الذين عاشوا تحتَ جناح الأمراء جنودًا ومزارعين - يرثون تلك القرى الطافحة بالآثار الإسلاميَّة، بل ويحاولون طمسَها كما نرى في جوامع عَبيه وعرمور والشويفات وبيصور وسواها من جوامع القرى التي أسَّسها الأمراء المسلمون؛ كنبع الصفا، والمختارة، وعين داره، وبعقلين.

نعم؛ توارث الإمارات التَّنوخِيَّة والبُحْتُرِيَّة والأَرسِلانيَّة والمَعْنِيَّة وكان الشِّهابيُّون آخرَ ورثة الجميع، وما إن أخذَ بعض هؤلاء بالتنصُّر حتى شرعوا يهبون بعض التَّرِكَة التي ورثوها دونَ جهدٍ للنصارى وبعضها للدُّروز، أمَّا ما بَقِيَ من فُتات تلك التركة فقد أوقفته الدَّولة التركيَّة للمدرسة الداوديَّة في عَبيه.

نعم؛ لا دروزَ في التاريخ منذ القرن الخامس للهجرة إلى القرن الحادي عشر، بل شرذمةٌ باطنيَّةٌ تعيش بالاستتار والكتمان ليس لها شأنٌ في حكم لبنان وإماراته، ثم ساعَدَها ضعفُ الدَّولة العثمانيَّة، وتنازُع الإمارات وخُرطوم دول أوروبَّا الذي أصبحَ يتَّخذ منها تُكَأَةً لمآربه السِّياسيَّة التوسُّعيَّة».

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" بعنوان (العَلَم السِّياسي وعلاقته بالحدود):

«ما كادَ يتمُّ للفَرنسِيِّين احتلال سورية حتى خلقوا منها دُويلات وإمارات؛ منها ما دَعَوه: (إمارة جبل الدُّروز المستقلَّة)، وما هي إلَّا أيَّام بعد إعلان الاستقلال حتى ارتفعَ على المراكز الرسميَّة علمٌ ذو ألوان خمسة.

وقد حاولَ كثيرٌ من العرب والأجانب معرفةَ ما يرمز له ذلك العلم، ولكنَّ الجميع عادوا بأجوبة متضارِبة؛ مثل: يشير إلى الأقضية الخمسة التي تتألَّف منها أقضية محافظة الجبل، وسوى ذلك من الأجوبة المُرتَجَلَة البعيدة عن الحقيقة.

لقد فاتَ الجميعَ أنَّ اللَّون الأخضر يرمز لإمام الزمان الحدِّ الأوَّل مولاي العقل؛ الذي عاش بصدر الإسلام باسم سلمان الفارسي، وعاش بعصر الحاكم باسم حمزة بن عليٍّ الزَّوْزَني، واللَّون الأحمر يرمز للحدِّ الثاني مولاي النفس؛ الذي ظهرَ في صدر الإسلام باسم المقداد بن الأسود الكِنْدي، وفي عهد الحاكم باسم إسماعيل بن محمَّد التميميِّ الراعي الملقَّب بأبي إبراهيم، واللَّون الأصفر يرمُز للحدِّ الثالث مولاي الكلمة؛ الذي ظهرَ بصدر الإسلام باسم أبي ذَرٍّ الغِفاري، وفي عهد الحاكم باسم محمَّد بن وهب القُرشي الملقَّب بأبي عبد الله، واللون الأزرق يرمُز للحدِّ الرابع مولاي السابق؛ الذي ظهرَ بصدر الإسلام باسم عمَّار بن ياسر، وفي عهد

الحاكم باسم سلامة بن عبد الوهاب السامَرَّائي الملقب بأبي الخير، واللَّون الأبيض يرمُز للحدِّ الخامس مولاي التالي؛ الذي ظهرَ في صدر الإسلام باسم رِفاعَة بن مَظْعون النَّجاشي، وفي عهد الحاكم باسم عليِّ بن أحمد الطائي السموقي - نسبةً لقريته السموقيَّة قرب حلب - الملقَّب ببهاء الدِّين.

إذًا فالعَلَم الدُّرزيُّ الذي رُفعَ على جبل حَوران إبَّان استقلاله، ورُفعَ على بيت الطائفة الدُّرزيَّة في بيروت - ولا يزال مرفوعًا - أُخِذَ من الألبِسَة التي كان يرتديها الحدودُ أنبياءُ ورسلُ الحاكم، أو بالأحرى رسلُ وأنبياءُ حمزة».

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك"، (حمزة مصمِّم على هدم الشريعة الإسلاميَّة):

هدم الشريعة الإسلاميَّة هو الهدف الأوَّل والأخير من جميع الحركات الباطنيَّة، وما تأليهُ فلان وتمتُّع فلان بامتياز التأويل، بل وما فتنةُ (لكلِّ ظاهر باطن، ولكلِّ تنزيل تأويل) - إلَّا أسلحةٌ لهذا الهدم.

وإذا صنَّفنا الهدَّامين جاءَ حمزة في طليعتهم، ولذا لا نعجب إذا مهَّدَ لهذا الهدف بقوله في "رسالة وليِّ الحقِّ قاصد الحاكم": «صاحب القُدس والطهارة، ومعنى الرموز والإشارة، الإمام القائم الحاكم بأمره».

حمزة يرى جميعَ الرُّسل والأنبياء والشرائع والحكماء في العهود التي سبقَت عهدَ الحاكم الأخير- يراها رمزًا وإشارة له وأدلَّة عليه، وقد انتهى مفعولُها بعهده كما ينتهي الرمز بحضور المرموز، ويبطُل مفعول الأمثال بحضور الممثول، ويذهب أثرُ التيمُّم بتدفُّق الماء، وتنتهي الحاجةُ للقناديل بإشراق الشمس؛ لقد ذهبَ بحضور الحاكم دَورُ الرِّسالات والنبوَّات، وانتهى وقتُ شريعة محمَّد الظاهرة وشريعة عليٍّ الخفيَّة، وآنَ أوانُ المسلك

الثالث أو العدد الخامس وهو شريعة حمزة الرُّوحيَّة التَّوحيديَّة المجرَّدة من التكاليف.

قال حمزة في "رسالة الشمعة" ما نصُّه: «أهل الظاهر يُقال لهم: مسلمون، وأهل الباطن يُقال لهم: مؤمنون، وأهل قائم الزمان يُقال لهم: موحِّدون؛ إذ هم الفرد بين الزوجَين، وكلُّ من ذكرَ عن نفسه أنَّه موحِّد وهو متمسِّك بشيء من الشرع - يعني: الشريعة الإسلاميَّة - فقد أبطلَ وكذبَ في قوله، بل هو ملحِد كافر».



معنى أركان الإسلام لدى حمزة

وقد شحنَ حمزة رسائلَه بهذا المعنى، بل جعلَ الميثاق قائمًا عليه، ثم توالَت الشُّروح والتفاسير والتأويلات، وتمخَّض فكر متقمِّصي حمزة فولَّد - كما نرى في "النقط والدوائر" - المعانيَ الآتية:

١- الصَّلاة في الظاهر الرُّكوع والسُّجود، وفي الباطن الاتِّصال بعهد علي، وفي الحقيقة صلة قلوبنا وقلوبكم بتوحيد مولانا - جلَّ ذكرُه - في كلِّ عصر وأَوان.

٢- الصَّوم في الظاهر ترك الأكل والشُّرب، وفي الباطن وَلاية علي، وفي الحقيقة صِيانة القلوب بتوحيد مولانا الحاكم.

٣- الزَّكاة في الظاهر زكاة الأموال، وفي الباطن وَلاية علي، وفي الحقيقة تزكية القلوب بتوحيد مولانا الحاكم.

٤- الحجُّ في الظاهر المجيء لمكَّة، وفي الباطن البيت يدلُّ على الناطق، والحَجَر يدلُّ على الأساس، وفي الحقيقة توحيد مولانا.

٥- الجهاد في الظاهر قتال الكفار، وفي الباطن قتال النواصب والحشويَّة، وفي الحقيقة توحيد مولانا.

أمَّا وحدانيَّة الله ورسالة محمَّد فقد استغنى حمزة عنهما هنا؛ إذ نادى في مناسبات كثيرة أنَّ كلمة الله؛ تعني: لاهوت الحاكم، ورسالة محمَّد انتهت برسالة إسماعيل.

وأمَّا وَلاية عليٍّ التي يراها معاصرو حمزة من الفاطميِّين ركنًا سابعًا فقد هدمَها حمزة منذ انتزعَ من عليٍّ وظيفةً أساسًا، ودَلَعَ عليه لسانًا حادًّا أو قلمًا مسمومًا.

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك"، بعنوان (مؤلِّفون غير دروز عالجوا الموضوع معالجة مباشرة):

أ- فيليب حِتِّي في كتاب "الدُّروز" وقد عالجَ الموضوع معالجةَ مَن لا يدري الحقيقة، أو يَدريها ويتجاهلها، وقد ردَّ عليه كثيرون من دُروز المهجَر.

ب- الدكتور محمَّد كامل حسين في كتابه "الحقيقة الدُّرزيَّة" المطبوع بالقاهرة، وهو كتاب سَداه الصراحة ولُحْمَتُه التحقيق.

ج- محمَّد علي الزُّعبيُّ[1] في كتابه "الدُّروز ظاهرهم وباطنهم" المطبوع في بيروت، وهو كتاب وفَّر سهمَه فلم يصوِّبه لكبد الحقيقة.

مؤلِّفون غير دروز ألقَوا أضواء على هذا الموضوع:

أ- مصطفى غالب في أكثر كتبه، لا سيَّما "الحركات الباطنيَّة، وتاريخ الإسماعيليَّة".

ب- عادل العوَّا في كتاب "منتخَبات إسماعيليَّة" طبع الجامعة السورية بدمشق عام ١٩٥٨م؛ إذ تناولَ رسائل مخطوطةً ملتقيةً مع الدرزيَّة بنقط الباطنيَّة المعلومة.

ج- عبد الله عنان في كتابه "الحاكم بأمر الله"، و"الجمعيَّات السِّريَّة".

د- عارف تامر في كتابه "خمس رسائل"، و"أربع رسائل إسماعيليَّة"، وما نشرَه بالعدد الخامس من "مجلة العرفان" عام

(١) الظاهر أنَّه رجل آخر غير محمَّد علي الزعبي الذي نسبَ له المؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودة إلى عرينك"، وقد جهدنا في البحث عن هذا الكتاب للتأكُّد من اسم مؤلِّفه فلم نحلَ بطائل، ولم نجد فيما وقفنا عليه من مصادر مَن سمَّى مؤلِّفه، والله أعلم. (الألوكة).

١٩٥٨م؛ حيث أنارَ الطريق ووضعَ الكفَّ على عَلاقة الدُّرزيَّة والإسماعيليَّة بإخوان الصَّفا.

هـ أحمد علي باكثير في كتابه "سرُّ الحاكم بأمر الله".

و- "تاريخ الإسلام السِّياسي" لحسن إبراهيم حسن (٣/ ٣٦٦).

ز- "مجلة الهلال" (٤٢/ ٣١٤).

ح- "سورية تحت حكم محمَّد علي" (ص١٩٨).

ط- "الحركات في لبنان" نشر عارف أبي شقرا (ص١٥٥).

ي- "خُطط الشام" (٢/ ١٥٩)، و(٦/ ٢٧٢) وهنا رأي الأمير شكيب أرسلان.

ك- "الدُّروز" للكابيتان بورون، ترجمة عادل تقي الدِّين، طُبع في بيروت عام ١٩٣٣م.

ل- "المعزُّ لدين الله وعبيد الله المهدي" لحسن إبراهيم حسن، وطه مشرف.

م- "مجلة المشرق اليسوعيَّة" في بيروت، (٢/ ١٦٠)، و(٣/ ٨١٢).

ن- مجموعة مخطوطة مقيَّدة برقم (٤٠٤) بدار الكتب بدمشق، الرِّسالة السابعة منها بخطِّ عبد الرحمن العِمادي مفتي دمشق في القرن الماضي، وينحو فيها نحو آراء ابن تيميَّة في الباطنيِّين.

س- "الحاكم بأمر الله؛ الخليفة المفترى عليه" للدكتور عبد المنعم ماجد، مصر ١٩٥٩م، طُبعَ في مكتبة الأنجلو المصريَّة، وهو كتاب غنيٌّ في مراجعه، ثمينٌ في تحقيقاته، أمينٌ في ما نقلَه عن المخطوطات.



ما جاء به داعيهم حمزةُ من الضلالات

في كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك":

«**حمزة يعطي ترجمة نفسه بنفسه:**

وقد يرانا بعض القرَّاء مُغالين بترجمة حمزة؛ ولذا أفسحنا له المجال فقال: «الإله الموجود، الحاكم المعبود، لا يعدم في وقتٍ من الأوقات، وهو أحقُّ بالوجود من سائر الموجودات، مبدِع الأشياء وربُّ الآخرة والأولى، أبدعَ العقل من محضِ نُوره».

«لأنَّ مولانا الحاكم سبحانه أبدعَ العقل وهو الإمام حمزة، ولم يكن سماء نطقيَّة، ولا سماء استُقُصِّيَّة، ولا أرواح في القِدَم أزليَّة، ولا أرواح في العالَمين غريزيَّة».

«الحمد لله الذي أبدعني وخصَّني وأطلعني وفوَّض إليَّ».

«أنا أصلُ مبدَعات الله، وصاحبُ سرِّه وأمانته، المخصوصُ بعلمه وبركاته، وأنا صراطُ الله المستقيم، وبأمره عليم، وأنا الطُّور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور، وصاحب البعث والنُّشور، وإمام المتَّقين، والعلم المبين».

وعلى هذا فحمزة بِكرُ الخليقة ومُلهِمُ الفلاسفة، وناقلُ نصوص الشرائع للرُّسل، وهو السابق الحقيقيُّ الذي عاشَ مع جميع الرُّسل كأساس، وهو فلاسفة اليونان السَّبعة، وهو الصورة والإرادة والهَيُولَى، ونقطةُ الإبداع في قائم الزمان، وقائمُ الحقِّ ومسيحُ الأُمم، وإمامُ الأئمَّة الموجودُ في كلِّ عصر وزمن، وهو علَّةُ العِلَل وذو معه، وموضعُ تجلِّي الله منذ الدَّور الأوَّل من

السبعين دورًا، وهو نقطة البيكار، والمسيحُ النَّصيح، وشطنيلُ الحكيم، وسليمانُ وداود، وصفوةُ الخلق!

تقرَّبَ له الخالقُ بصفة إنسان، وناداه بألفاظ معنويَّة فقال له: أَقبِل؛ فأَقبَل، وأَدبِر؛ فأَدبَر؛ أي: أقبِل إلى طاعتي، وأدبِر عن معصيتي، إذ هو حجابُ عظمة الله، وقابِلُ وحي الله، وعالِمُ مُراد الله، وفريدُ سرِّ الله، ونورُ عرش الله، وشاهدُ جلال الله، الكون به كان نُورًا بلا ظُلمة».



هو الأوّل والآخر

يقول في "رسالة التحذير والتنبيه": «فعلى يدي يكون الجزاء والقصاص، ولي يُسأل في المغفرة والإخلاص، وأنا الإمام المطلوب والمراد، وعلى يدي سيكون جزاء العباد».

«أنا صاحب المنزلتين، وأنا صاحب الراجِفَة، وعلى يدي تكون لأتباعي النِّعَم المترادِفَة، وغَيبتي عنكم غَيبةُ امتحانٍ لكم ولجميع الأديان».

وهكذا منحَ حمزة نفسَه هذه الصلاحيات، وجعلَها واسطةَ النجاة الوحيدة، ومنحَه صاحبُ "النقط والدوائر" ألقاب: حُجَّة، داعي، ناطق، رسول، هادي، راعي، مجازي، مفيد، آمر، ناهي، محجَّة، رحمة، وسيلة، سعادة... ولا تزال ألقابه تتصدَّر صفحاتِ المؤلَّفات الحديثة.

نعم؛ ألقابه كثيرةٌ ومركزه سام، جاءَ هذا العالم بأدوار وأقمِصَة مختلفة؛ إذ هو بالأقمصة: شطنيل، وهو فيتاغور، وهو داود، وهو شعيب، وهو يسوع، وهو سلمان، وهو حمزة الزَّوْزَني، بل هو فلاسفة اليونان السبعة، وهو مَلاك الوحي الذي أوحى للفلاسفة ما ينفع الحكماء، وأوحى للرُّسل ما ينفع العامَّة.

وأكثر من هذا، لقد جاءَ هذا العالم بظروف وأقمصة لا ندريها، فقال في "رسالة الغاية والنصيحة" ما نصُّه: «دعوتُكم إلى توحيد مولانا - جلَّ ذكرُه - في سبعين عصرًا، ما منها عصرٌ إلَّا ويُظهرني مولانا - جلَّ ذكرُه - فيكم بصورة أخرى، واسم آخر، ولغةٍ أخرى، أعرفكم ولا تعرفون أنفسكم، والآن قد استدارت الأدوار».

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي؛ عودةً إلى عَرينك"، بعنوان (ماذا تعرف

عن الحدود؟):

«حمزة هو الأوَّل والآخر، رافَقَ بالتقمُّص جميع الأدوار والأعصار، انبثقَ من الله فكان العقل الكلي، وزارَ هذا العالَم بسبعين قميصًا، آخرُها بعهد التجلِّي الحاكمي، حمزة موجود قبلَ التجلِّي الأوَّل، ورافَقَ نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّدًا بأقمصةٍ مختلفة، ولقَّنَ محمَّدًا الوحيَ متقمِّصًا سلمان، كما لقَّنَ الرُّسل بأقمصةٍ مختلفة.

وحمزة وإخوانه الأربعة خمسةُ أقانيم يساوون الله، وقد أشارَ لهذا بقوله: الله كلمة تصويرها ٥: (١- قلم، ٢- قِرطاس، ٣- مِداد، ٤- مَحبرَة، ٥- كاتب)؛ يعني: أنَّ هؤلاء الخمسة - حمزة وإخوانه الأربعة - هم هو، أو يدلُّون عليه، أو هم بابُه الوحيد، أو هم ملقِّنو الرُّسل بجميع العهود، لكن أصبحوا في عهد الحاكم حمزةَ والتَّميميَّ والطائيَّ والقُرَشيَّ والسموقي، وحمزة هو رأس هؤلاء الخمسة، وهم المحمودون النِّحلة الذين تحدَّثت عنهم "رسالة الشمعة" طويلًا، ودعتهم شمعةَ التوحيد؛ إذ لا يُستغنى بأحدهم عن الآخر، كما أنَّ الشمعة لا تكمُل إلَّا بأجزائها الخمسة.

هؤلاء الخمسة - حمزة وإخوانه - زاروا هذا العالم بظروف وأدوار مختلفة؛ إذ هم ليسوا مولودين بل موجودين لا يمسُّهم الموت؛ إذ هم الرُّوح الحقيقيُّ الذي لا يخلو منه عصر، وهم القائمون مقامَ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّد؛ ولذا قامت شريعتهم الرُّوحيَّة مقامَ النَّواميس التكليفيَّة التي جاءَ بها الرُّسل الخمسة المذكورون.

صنَّف حمزة الحدود فخصَّ نفسَه بالرِّياسة والإمامة فقال في "رسالة التحذير والتنبيه" ما نصُّه: «أبدعَ الحدود الرُّوحانيَّات، ورفعَ بعضهم فوقَ بعض درجات، وفضَّلني عليهم بالتَّأييد والبركات، فالحمد لِمَن أبدعني من

نُوره، وأيَّدني برُوح قدسه وخصَّني بعلمه، وفوَّض إليَّ أمره، وأطلعني على مكنون سِرِّه».

هؤلاء الخمسة هم رسل ألوهيَّة الحاكم في كلِّ دَور وإن أخذوا أسماءً مختلفةً وأقمِصَةً متعدِّدة، وقد أشارت الرسائل لحمزة تارةً بالاسم الصريح وطَورًا بالألقاب: السابق الحقيقي، أو العقل الكلي، والنفس والكلمة؛ إذ كانَ قد أطلقَ هاتين الكلمتين على بعض الحدود، ثم عادَ فاستردَّهما وحفظَهما لنفسه.

هؤلاء الخمسة هم العدد المحمود، ولكن الصحابة والفقهاء والمفسِّرين أعرضوا عنهم وصفَّقوا للخمسة المذمومين حسبَ زعمهم: محمَّد، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي؛ حرصًا على حُطام الدُّنيا وزخارفها.

وقد كرَّرَ حمزة هذا المعنى بمناسبة وبدون مناسبة، وصرَّحَ بأنَّ هؤلاء الخمسة المذمومين هم عبيدٌ لمولانا الحاكم، وهم أشباحٌ بلا أرواح، بل ذكرَ حمزة أسماء (عبد الرحمن بن إلياس، وختكين، وجعفر الضرير، وعبَّاس بن شعيب، وأحمد بن العوَّام) في مواضع كثيرة من رسائله؛ وقصدَ بهم محمَّدًا رسول الله وأصحابَه الأربعة الراشدين.

نعم؛ خصَّ حمزة نفسَه بمراتبَ ومراكزَ وألقابٍ سامية، وتكرَّمَ على إخوانه ببعضها، فذاعت أسماء الخمسة الرُّوحيَّة والجسميَّة وألقابُهم وكُناهُم والمراسيم التي صدرت حولهم، ورأينا حولهم رسالة تُدعى "ذكر معرفة الإمام وأسماء الحدود العُلويَّة رُوحاني جسماني".

ولذا أقسمَ المستجيبون بأسمائهم، وتغزَّل بهم الشُّعراء المتَّقون؛ ومنهم الشيخ يوسف العقيلي صاحب كتاب "الطُّقوس الدُّرزيَّة" المطبوع عام ١٨٩٩م، الذي أعادَ طبعَه الشيخ أسعد العقيلي عام ١٩٣٥م، وقد جاءَ فيه هذه السُّبحانيَّة، ونقتطف منها هذه الأبيات:

سُبحانَهُ حاكِمًا جَلَّت شَرِيعَتُهُ — وحُكمُهُ في البَرايا غَيرُ حُكمِهِمِ
سُبحانَهُ مُنزِلًا فِي العَقلِ حِكْمَتَهُ — والعَقلُ أَفضَلُ ما يُعطى منَ النِّعَمِ
سُبحانَهُ واهِبًا للنَّفْسِ عِزَّتَهُ — وعِزَّةُ النَّفْسِ أصلُ الجُودِ والكَرمِ
سُبحانَهُ مُودِعًا في الرُّسْلِ كِلْمَتَهُ — وكِلْمَةُ اللهِ تَقْدِيسٌ لكُتْبِهِمِ
تَبارَكَ الرُّسْلُ بَرُّوا في رَسائلِهِمْ — مِنْ سابِقٍ ثُمَّ مِنْ تالٍ ومُخْتَتِمِ
الجَدُّ جاءَ بِفَتحٍ في خَيالِهِمُ — فأصبَحوا المَثَلَ الأعلى بدِينِهِمِ

ويلاحظ أنَّ العقيليَّ حرَصَ على التنويه بالحدود؛ إذ معلومٌ أنَّ العقل هو حمزة وهو السابق الحقيقي، بل هو آدم الحقيقيُّ الأوَّل، والنفس هو التميميُّ وهو التالي أيضًا، والكلمة هو القرشي، والسابق هو سلامة السامري.

هؤلاء هم الخمسة المحمودون، أمَّا الثلاثة الباقون فهم: الجدُّ؛ وهو رفاعة ابن عبد الوارث، والفتح هو أيُّوب ابن علي، والخيال هو محسن بن علي.

وقد دُعِيَ الأوَّل جدًّا؛ لأنَّه جدَّ في طلب العلم، كما دُعِيَ الفتح كذلك؛ لأنَّه فتحَ باب العهد والميثاق، أمَّا الخيال فلأنَّه يلوح بعلمه ليُنقِذَ الضالِّين، ويُحيلَهم مُستجِيبين.

(راجع رسالتي "الرشد والهداية"، و"الزناد").

أجل؛ إنَّ كلمة الحدود تشمل أوَّلًا الخمسةَ المحمودين؛ إذ هم علَّة الكون كما نرى في "رسالة سبب الأسباب"، وهم طبائع العقل الخمسة؛ يمثِّلون التَّواضُع والحِلم والنُّور والسُّكون واللُّيونة؛ كما نرى في "رسالة الغاية والنصيحة"، أمَّا الثلاثة فهم تكملة الثمانية، وقد جَهِدَ حمزة ليقيمَ الدليل على منزلتهم، واستدلَّ بحرف (ح) إذ تُساوي في الأبجديَّة الصغرى ثمانية، وهم حملة العرش الثمانية المقصودون في الآية.

هذا؛ وقد أقامت رسالة "النقض الخفي" على هؤلاء الثلاثة بنايتها الكبرى؛ فزعمت أنَّهم دليلٌ على ثلاث كلمات هي: (محمَّد رسول الله)؛ يعني: أنَّ وجودَهم دليل على نهاية الرِّسالة الإسلاميَّة؛ إذ هم يُغنون عنها، ومَن عرفَهم وتمتَّع بعلومهم استغنى عن (محمَّد رسول الله).

وهكذا رأينا معرفة الحدود وعلومهم تُغنِي عن جميع الرُّسل والأديان؛ ولذا جاءت "رسالة كشف الحقائق" تقول: «من ادَّعى أنَّه مستجيبٌ طالِبوه بمعرفة الحدود وعلومهم».

هذا؛ وقد سطا حمزة بكلمة (جد) على الاصطلاح الإسماعيلي؛ إذ يرمُزون للداعي - لا سيَّما بدور السِّتر - بكلمة (جد)؛ أي: يجدُّ في التبشير بقُرب نهاية عهد الطُّغيان (العبَّاسي)، ويرمُزون بكلمة (الفتح) للمأذون؛ أي: يفتح الباب للذين يُبايعون الداعي.

ويرمُزون للمكاسر بكلمة (خيال)؛ لأنَّه: يلوح بعلمه دونَ كشف، كأنَّه المقصود بكلمة (مكلَّب) باصطلاح قدَّاح أو بكلمة (كلب رفيع الدرجات) بالاصطلاح الماخوسي.

نقلَ حمزة هذا الاصطلاح عن أسلافه، وأطلقَ هذه الألقاب على ثلاثةٍ معروفين مثَّلوا هذه الأدوار مستترين بهذه الكلمات؛ حرصًا على أنفسهم من الوقوع في قفص السِّياسة، كما أنَّ كلمات (داعي، وداعية، ودعاة معصومون، وحجَّة، ومكاسر، وباب، ونقيب) تُطلق على جماعة معروفين مستترين بهذه الكلمات.



عِصمة الحدود

ذكرَ حمزة مرارًا أنَّ الحدود معصومون، وأنَّهم لم يَلِدوا ولم يُولَدوا إلَّا فيما يبدو للناس؛ ولذا لم يموتوا ولم يدفنوا، وهذا طبعًا يقتضي تنزيهَهم عن الزواج، ذكرَ هذا ثم عادَ في "رسالة تقليد الرِّضا" بقوله ما نصُّه: «ومَن رأيت مِن جميع الحدود والدُّعاة والمأذونين قصَّر عن الخدمة، وبانَ لك منه زلَّة فأبدِله بغيره بعد أن تتبيَّنَ لك جارحته بشاهدين ثقتَين موحِّدَين».

قال هذا كأنَّ الحقيقة أبَت إلَّا أن ترفعَ رأسها، وأردفَه بما جاء في "رسالة التنزيه" بهذا النص: «الشُّيوخ المتقدِّمون حيث قالوا: س ت ج ف خ رُوحانيُّون في العلوِّ لا يشاهدهم أحد، إنَّما أرادوا بذلك استدراجًا للمؤمنين وتدليسًا عليهم».

قالَ هذا، ثم نسيَ وعادَ يعرضهم بأسماءٍ روحيَّة وألقابٍ مشحونة بالمبالغة والغلوِّ؛ كما نرى في "مراسيم تقليد الأربعة" و"رسالة معرفة الإمام"، وقد لفتَ نظرنا هذا التناقض، وما كِدنا نستفتي الراسخين في الحمزويَّة حتى قالوا: هناك حدود أصليُّون، وحدود ثانويُّون، هم مئة وتسعة وخمسون، يُساوون بالإضافة للخمسة حروفَ الصِّدق، وهم معروفون متنكِّرون.

وفي كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" نقلًا عن كتاب "مذهب الدُّروز والتوحيد الدُّرزي" د. عبد الله النجَّار؛ الذي أمرَت مشيخة الدُّروز بمُصادرته ومنعَت من تداوله، وقد طُبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٥م.

جاءَ في هذا الكتاب (ص٨): «إنَّ أصحاب المذهب لا يُطلِعون عليه إلَّا كلَّ مختار أمين، مشهودٍ له بصحَّة اليقين، في مراحل تثبُّتٍ وامتحانٍ أشبه ما يكون بأساليب الدُّخول في الماسونيَّة والتدرُّج في مراتبها، بما فيها من علامات ورموز وإشارات».

وفي (ص٤٨): «إنَّ الدُّروز يقولون: إنَّ إخوان الصَّفا إخوانهم، وقد تكون كتب الحكمة الستَّة إتمامًا لرسائل إخوان الصَّفا؛ إذ أوجهُ الشَّبه بينها عديدة».

ويتحدَّث مؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" عن الغُلاة ويقول: «انطلقوا من نقطةٍ مُنهارة؛ فزعموا أنَّ رسول الله قال: «أنا صاحبُ التنزيل، وعليٌّ صاحبُ التأويل»، وأخذوا يسيرون بالدَّرجات اليهوديَّة الماسونيَّة سيرًا، عبَّرَ عنه صاحبُ كتاب "الحاكم المفترى عليه" في صفحة (٨٤) بهذا النص: «وقد ترتَّبَ على العُمقِ في دراسة المذهب بظهور علم الباطن أنَّ الدعوة لم تَعُد محاضراتٍ أو دروسًا مبسَّطة علنيَّة، وإنَّما أصبحت عِدَّة دعوات - أي: درجات - متدرِّجة عددها سبعة أو تسعة، دعوة بعد دعوة تتَّسم بالسرِّية؛ خوفًا من اختلاطها أو التغيير فيها، ولم يكن المستجيبون لها يُنقلون إلى الدرجة السادسة فيها إلَّا إذا درسوا كلَّ نواحيها ومعانيها الباطنيَّة الفلسفيَّة». اهـ.

طبعًا الدرجة السادسة تُشبه الدرجة **٣٢** من الماسونيَّة؛ أي: لا يوجد بعدَها إلَّا السِّرُّ العميق، وهو هنا:

١- أُلوهيَّة إسماعيل.

٢- نسخ الشرائع، وإنهاء مهمَّة الرِّسالة الإسلاميَّة.

ومَن وصلَ إلى السادسة اندفعَ إلى السابعة وأقسمَ على الكتمان؛ إذ هذه

الأسرار - كما يقولون - وديعةُ الله بين خلقه، ومَن عرفَها يجب ألَّا يتَّفقَ مع الذين لا يعتقدونها، ولا يستعينَ بهم ولا يُعايشَهم، وإذا لم يفعل فنساؤه طوالق وأملاكه وقف».



تأليه حمزة للحاكم

يقول مؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" : «أمَّا الحاكم بنظر حمزة فهو الإله الأزليُّ الأبديُّ معلُّ عِلَّة العِلَل، زارَ العالم متجسِّدًا بأدوارٍ كثيرة في عصور الطَّمِّ والدَّم، والجنِّ والحنِّ والبن؛ أي: قبلَ آدم الترابيِّ بمئات الملايين من السِّنين، ثم زارَ هذا العالم بعد آدم الترابيِّ بأثوابٍ مختلفة، وأخذَ ينسُب جسمَه الترابيَّ بعد الإسلام لأهل البيت النبويِّ تقيَّة، إذ كان عبادُه قلَّة، وقد ظهرَ مرَّة واختفى مرَّة؛ كما أشارَ حمزة لهذا في "رسالة النِّساء الكبيرة" بقوله: «لمَّا خَفِيَ الأمر أخفيناه، ولمَّا ظهرَ أظهرناه».

وأشارَ لهذا الشَّرحُ المنسوب للسيِّد أيضًا؛ وُجِدَ الحاكم من أبٍ وأمٍّ، وأنجبَ ذرِّيةً لكنَّ هذا كلَّه فيما يبدو للناس، ثم أصبحَ إمامًا عام **٣٨٦**هـ وصعِدَ سُلَّم التجريد - أي: الألوهيَّة الكاملة - عام **٤٠٨**هـ، ثم سترَ ألوهيَّته عام **٤٠٩**هـ.

قال في شرح السيِّد ما نصُّه: «وكان في استتاره تعالى حكمةٌ بالغة؛ إذ بانَ الموحِّد من المشرك، ثم حلَّت السنة العاشرة وظهرَ - جلَّ جلاله - كما كان في الثامنة، وبقيَ الظهور مستمرًّا طَوالَ الحادية عشرة». اهـ.

طبعًا؛ وفي الحادية عشرة (مات) أو احتجبَ بلاهوته في الشهر الحادي عشر منها، ولن يظهرَ إلَّا يومَ القيامة؛ حيث يأتي بالناس متجلِّيًا في شُرفَة القصر بالقاهرة راكبًا حمارًا، إحدى يديه ورجليه في الشُّرفة، وإحدى يديه ورجليه في الهواء، ويحكم العالم بسيف حمزة، وينتقم من الذين لم يؤمنوا بألوهيَّته ومنهم أهل الظاهر (المسلمون السنيُّون) وأهل التأويل (المسلمون

الشِّيعة)، ويهبهم غنيمةً للمؤمنين بلاهوته (أي: الدُّروز).

هذه خلاصةُ رأي حمزة في الحاكم.

ثم يتحدَّث مؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" عن الألقاب التي لقَّبَ حمزة بها الحاكم: رسمَ الحاكمَ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، وقطعَ صِلةَ المستجيبين بِمَن مضى أو حضرَ أو يُنتظَر، ورشَّحَه ونجَّحَه، وأقامَ حولَه هالةً من الرسائل وأخذَ يفتتحها بـ: «توكَّلت على مولانا الحاكم المعبود وحدَه، المنجِز للإمام الهادي (حمزة يعني نفسَه) وعدَه».

وأخذَ يرينا الحاكم يزور هذا العالم بمقامات ناسوتيَّة، ما زالت الشروح والرِّوايات والتأويلات تُباركها وتضخِّمها، حتى رأينا صاحبَ "النقط والدوائر" يقول ما نصُّه: «جاءَ الحاكم **٤٩٩** مرَّة إمامًا، و**٧٢** مرَّة متجرِّدًا»؛ أي: إلهًا كاملًا.

نعم؛ ألوهيَّة الحاكم ثوبٌ خلعَه عليه حمزة، وزركشَه بنصوص كثيرة، نكتفي منها بهذا القدر اليسير:

١- في "رسالة الغيبة": «أظهرَ لنا ناسوت صورته تأنيسًا للصُّور؛ فحارَ فيها الفكر حينَ فكَّر».

٢- في "رسالة البلاغ والنهاية": «الحذر من أن يقولَ واحدٌ منكم بأنَّ مولانا - جلَّ ذِكرُه - هو ابن العزيز وأبو علي؛ لأنَّ مولانا سبحانه هو هو في كلِّ عصرٍ وزمان، يظهر في صورةٍ بشريَّة كيف شاء ومتى شاء».

٣- في "رسالة كشف الحقائق": «لكنَّه سبحانه أظهرَ لنا حجابَه الذي هو محتجِبٌ فيه، ومقامَه الذي ينطق فيه ليُعبَدَ موجودًا ظاهرًا؛ رحمةً منه لهم ورأفةً بهم».

٤- وفيها: «صاحب النصر الوكيد (كذا)، والأمر الشديد، والقصر المشيد، والنُّور العتيد، والقوَّة والتأييد، والدُّعاء والتمجيد، الظاهر في كلِّ عصر جديد».

٥- وفي "رسالة التنزيه": «المظهِر ناسوتَه للعالم، إلى مقامه الحاكم».

٦- وفي "الصُّبْحَة الكائنة": «سبحان لاهوتِه المحجوب عنَّا، وعزَّ ناسوتُه الظاهر لنا، ظهرَ لخلقه كخلقه بخلقه من حيث هو خلقه».

٧- وفي "رسالة الدامغة": «دعا الخلقَ بنفسِه إلى نفسِه، وباشرَ العبيد بالصُّورة المرئيَّة، ومخاطبة البشريَّة».

٨- وفي "رسالة كشف الحقائق": «مَن وَلِيَ على عدد رجال كان له عقلُ الكلِّ... وإنَّ لمولانا عقلَ الأمَّة».

٩- وفي "رسالة تقسيم العلوم": «تقرَّب إلينا بنا، وأنَّسَ عقولنا بصُورنا، وظهرَ لنا بجميع أفعالنا».

١٠- وفي "رسالة الزِّناد": «ظهرَ لخلقه كخلقه؛ امتحانًا وامتنانًا».

١١- وفي "رسالة البلاغ والنِّهاية": «ومَن قال: إنَّ مولانا نقلَ عظمتَه للأمير عليٍّ فقد أشرك».

١٢- وفي "رسالة كشف الحقائق": «والعبادة في كلِّ عصر وزمان لذاك المقام الذي نراه ونشاهده ونسمع كلامَه».

١٣- وفي "رسالة مناجاة وليِّ الحق": «سبحانه شاءَ فأحدثَهم بلُطفه، وظهرَ لنا حقًّا وصدقًا، ثم تأنَّس إليهم؛ فثبتَت الحجَّة عليهم».

١٤- وفي "رسالة النِّساء الكبيرة": «الظاهر لنا بصورتنا؛ تأنيسًا لنا وطمأنينةً لعقولنا، استترَ وقتَ شاء، وظهرَ كما يشاء، لا معارضةَ لحُكمِه».

١٥- وفيها: «ظهرَ لنا الناسوت، رفقًا بنا وطمأنينةً لقلوبنا؛ لأنْ ليس في طاقتنا مقابلةُ اللاهوت».

١٦- وفي "رسالة تقسيم العلوم" : «لم تُوجب الحكمة من المولى - جلَّ ذِكرُه - أن يظهرَ بين أقوام مثلُهم كمثل الميِّت».

١٧- وفي "رسالة بدء التوحيد" : «مولانا الحاكم سبحانه بين أيديكم ظاهر مكشوف، قد أغنى ذوي العقول عن البحث».

١٨- وفي "رسالة تقسيم العلوم" : «تنظر بعين الطبيعة فتظنُّها (يعني صورةَ الحاكم) كصورتك، فإذا دنوتَ منها بعين العلم لم تجِدها صورة، ووجدتَّ الله عندَها».

١٩- وفيها : «كالناظر في المرآة؛ ينظر صورةً بغير لمس، ولا إدراك كيفيَّة، ولا تحديد».

٢٠- وفي "رسالة النقط والدوائر" صفحة (١٥) من طبعة سيبولد: «في الصورة البشريَّة ظهرَ سبحانه لخلقه كخلقه في مقام العليِّ الأعلى، بناسوتٍ مرئيٍّ، ومعجزاتٍ باهرة».

٢١- وفي صفحة (٢٤) منه: «وتجلَّى الحاكم سبحانه بالوَحدانيَّة وكشفَ توحيدَه عام ٤٠٨هـ، وظهرَ القائم المنتظَر حمزة بن عليٍّ - صلَّى الله عليه - بالإمامة الحقيقيَّة».

وقد كان من المفروض أن يكشفَ هذا السرَّ المكنون منذ أوَّل عهد الكشف؛ أي: منذ جاءَ بصورة القائم، ولكنَّه تريَّث قرنًا حتى كثُرَ أنصاره ومؤيِّدوه.

هذه أدلَّةٌ من رسائل حمزة و"النقط والدوائر" ، وكأنَّ مُرَتِّبي الشرح الملصَق بالسيِّد لم يكتفوا بها؛ ولذا أمرونا بجديد فقالوا: «يحمل كفَّة الحاكم أربعةُ أشخاص، فإن تَعِبَ أحدهم حملَها ثلاثة، وإن تَعِبَ أحدهم حملَها اثنان، وإن تَعِبَ أحدهما حملَها واحد، وإن تَعِبَ هذا سارت وحدَها دون محرِّك ولا ريح».

ثم وصفوا الحاكم بقولهم: «يركب في الشمس ولا ظلَّ له».

وهكذا نرى تأنُّسَ الله بالحاكم أمرًا لدى حمزة وأتباعه مهمًّا، وقد أشارَ لها صاحب شعر النفس بقوله:

هُوَ الحاكِمُ المَولى بِناسُوتِهِ يُرى ... ولاهُوتُهُ يَأتي بِكُلِّ العَظائِمِ
ظُهورًا بأَفعالِ العَبِيدِ وشَكلِهِمْ ... ويُؤنِسُهُم والخَلْقُ شِبهُ البَهائِمِ

وقد بالغَ صاحب شرح السيِّد بثورة أبي رَكْوَة، واتَّخذ من نصر الحاكم دليلًا على لاهُوته، وعبَّرَ عن قصده بهذا النص: «اجتمعَ على الحاكم الملوك من الشرق والغرب، وانتصرَ عليهم وهو راكبُ أتان».

كما بالغَ مؤيِّدو تلك الألوهيَّة فألصقوا بالحاكم ما ينذُر؛ مثل:

وثَبَّتُّ في الجَفْرِ أنِّي امْرُؤٌ ... كَثِيرُ الغِنى وقَصِيرُ العُمُرْ
ويُخطَبُ في الشَّامِ لِي عَنْوَةً ... وفي غَيرِها من بِلادٍ أُخَرْ
وتَغْتالُني في الجِبالِ يَدٌ ... ويُستَرُ أَمري ولا يُشتَهَرْ

ومثل:

ولو شِئتُ أَحيَيتُ الرَّمِيمَ منَ الثَّرى ... وأَعجَزتُ أهلَ الدَّهرِ أَن يَسلُكوا خَلفي
أنا فَيلَسُوفُ الدَّهرِ والحاكِمُ الذي ... أطاعَتْ ليَ الأَرواحُ بالعلمِ والعُرْفِ
أنا الخَضْرُ في عَصْري وعِلمي لأَنَّني ... تَلَقَّيتُهُ عَن مالِكٍ جَلَّ عَن وَصْفي

وهناك أدلَّةٌ كثيرة ساقَها حمزة؛ لا سيَّما في "رسالة البلاغ والنهاية"، وساقَها سواه من الشُّرَّاح.

ونحن إذ نطالعها ونضيعُ في دَيجورها نتمنَّى لو راجعَها كمال جنبلاط وسامي مكارم وهاني باز وسليم حاطوم، وسواهم من الذين يحملون لواء التمسُّك بالرسائل، ولكن هذه الأدلَّة الحمزويَّة الكثيرة أرتنا تناقضاتِ حمزة؛

إذ تارةً يقول في "رسالة كشف الحقائق" : «قولنا: إنَّ الباري لا يُدرَك هذا نفسُ الشِّرك»، وتارةً يقول بهذه الرِّسالة نفسِها: «ولا أقول بأنَّ له (لله تعالى) نفسًا ولا رُوحًا؛ فيكونَ يشبه المخلوقين، ويدخلَ تحت الزِّيادة والنُّقصان، ولا أقول: إنَّ له شخصًا ولا جسمًا ولا شَبَحًا، ولا جَوهرًا ولا عَرَضًا؛ لأنَّ كلَّ اسم منها لا بُدَّ له ضرورةً من شَبَه».

ولعلَّ حمزة قصدَ بهذه المتناقضات ما يَعنيهِ القرآن والعهدان حولَ بحث المُحكَم والمتشابه، ولكنِّي أرى يدَ حمزة تقصُر عن خوض هذا البحر.

هذا؛ ولم يَفُت حمزة أن يغوصَ بحرًا من عقائد الوثنيِّين؛ ليعترضَ على أدلَّة احتجاب الناسوت في اللاهوت، أو ظهور اللاهوت في الناسوت، ولذا التقى بالحلَّاج والتقى بهما ماسيشين، فرأوا الإنسان طينًا أُلصق بمرآه؛ أي: إلهًا أُلصق به مادَّة الطِّين (هيكله الترابي)؛ فإذا جُرِّد من هذا الهيكل عاد للتجريد؛ أي: عادَ إلهًا.

جَهِدَ حمزة في تركيز تلك الألوهيَّة مغتنمًا المناسبات، محاولًا إقامة الأدلَّة حتى من المُثُل الأفلاطونيَّة، والقياس مع الفارق.

وهكذا، لم يأتِ حمزة بترشيح الحاكم للألوهيَّة وإنجاحه بها بجديد، وإن فاقَ الباطنيَّة دهاءً ومكرًا وتلاعُبًا بالألفاظ، وتآويل حلزونيَّة لو رآها القارئ لولَّى منها فِرارًا.

لقد سبقَ الغُلاةَ الذين خلعوا ثوبَ الألوهيَّة على جَواد الحاكم وسَيفِه المَزْدَكِيُّون؛ الذين يُصعدون المُوبَذان لمقام الأُلوهيَّة وسيفَه المُقَنَّع حين قالَ للأطفال الملتحين الذين تبعوه: «سأصعد للسماء ليعودَ الناسوت للَّاهوت».

وحمزة بعد هذا كلِّه (يرى) في كلِّ شيء دليلًا على ألوهيَّة الحاكم؛ إذ لِينُه وتواضعُه وكرمُه دليلٌ على اللاهوت، وشجاعته وشدَّته دليل، بل إنَّ

سَدْلَ شَعرِه وارتداءه الصُّوفَ دليل، كما أنَّ نصر القائم على أبي يزيد دليلٌ على اللاهوت، ودليلٌ على أنَّ أبا يزيد هو الفيل، وأنَّ جنود القائم هم طير أبابيل.

وهكذا عاشَ حمزة بالقاهرة ناعمًا كالأفعى، وأخذَ ينتدب من الفِرَقِ السريَّة مَن يجرِّب إعلان ألوهيَّة الحاكم كما انتدبَ الأخرم والفَرْغاني، وساعدَ الحاكم سريُّون آخرون حَلُّوا القاهرة قبلَه لهذه المهمَّة نفسِها؛ كأحمد حميد الدِّين الكِرماني الذي رأى ألوهيَّة الحاكم، ولا يُضعفها عدم الأدلَّة وراءَ طلوع الشمس من مغربها؛ يعني: ألوهيَّة الحاكم؛ إذ كلمة شمس بالأبجديَّة تساوي **٤٠٠** وهو القرن الذي أشرقَت به شمس ألوهيَّة الحاكم، وأنَّ نقش خاتم الحاكم (بنصر العظيم العلي، ينتصر أبو علي) دليلٌ على لاهوته، بل رأى كلمة (الحاكم) دليلًا على اللاهوت، غيرَ عالم أنَّ ثلاثةً من ملوك بغداد سيأتون بعد الحاكم ويلقَّبون بهذا اللقب نفسه؛ هم: أحمد بن أبي بكر المتوفَّى عام **٧٠١**، وأحمد بن المستكفي المتوفَّى عام **٧٥٣**، وأخوه عبد الله المتوفَّى عام **٧٦٣**.

هؤلاء لو شاهدَهم حميد الدِّين وهو طبعًا شاهدَهم وشاهدَنا بالأقمصة!! لمنحَهم من فضله مقامَ الألوهيَّة؛ وبذلك تصبح الألوهيَّة لديه مربَّعةَ الأقانيم!



حركة حمزة وألقابه وصلاحيَّاته

وقال مؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" : «قال الأمير علي خان حينَ زار السَّلَمْيَة عام ١٩٥١م ما نصُّه: «إنَّ عَلاقاتِنا مع الدُّروز أسمى من العواطف والمشاعر؛ فهي عَلاقات رُوحيَّة باطنيَّة، والطائفتان كانتا - وما تزالان - تُشَكِّلان وحدةً كاملةً في جميع نواحي الحياة».

هذا صحيح؛ إذ الفكر الإسماعيليُّ الإخوانيُّ ورِثَه حمزة وطوَّره، واتَّفقَ معهم في أنَّ العقل البشريَّ باتِّصاله بالعقل الفعَّال يستفيد حكمة.

إنَّ حمزة ومُشايعيه من أقطاب الباطنيَّة غاصوا مع الفارابي في مستنقع الأفلاطونيَّة الحديثة حولَ العقل الكُلِّي، والفعَّال، والمفارق، والمنفعل، والمستفاد، ولم يختلفوا مع فلاسفة الأفلاطونيَّة إلَّا بالأسماء.

ولذا رأينا للعقل في رسائل حمزةَ مكانَ الصدارة؛ فهو نورٌ أزليٌّ يتجسَّد أشخاصًا (أو شخصًا واحدًا هو حمزة)، يزورون (أو يزور) هذا العالم بأزمنةٍ وأقمِصَةٍ متعدِّدة، لقد جاءَ هذا العقل (حمزة) قبل آدم الترابيِّ المخلوق من ماء وطين بأقمِصَةٍ ولغاتٍ وديار متعدِّدة، ثم جاءَ في دَور آدم الترابيِّ متقمِّصًا شطنيل، وفي دَور نوح متقمِّصًا فيتاغور، وفي دَور إبراهيم متقمِّصًا داود الصَّفي، وفي دَور موسى متقمِّصًا شُعَيبًا، وفي دَور عيسى متقمِّصًا المسيح يسوع، وفي دَور محمَّد متقمِّصًا سلمان، وفي دَور الحاكم متقمِّصًا حمزة، بل إنَّ حمزة نفسَه جاءَ بتلك الأقمِصَة.

هذا العقل (حمزة) الموصوف بالكُلِّيِّ والأَزَليِّ والأوَّل منبثقٌ من الله (الحاكم) عِلَّة العِلَل أو مُعِلِّ عِلَّة العِلَل قبل الدُّهور.

هذا العقل جاءَ بسبعين دورًا من دَور العلي لدَور الحاكم، أو اثنين وسبعين دَورًا، كما تدَّعي كشفات حمزة، وبين كلِّ دَور ودَور سبعون أسبوعًا، وبين كلِّ أسبوع وأسبوع سبعون عامًا، والعام كألف سنة من السِّنين المعروفة لدى الناس، وهناك حقولٌ من الرَّسائل تتحدَّث عن حمزة، ومن مجموعها نستخلص الصِّفات الآتية:

معصوم عن الزواج والخطأ وهو الكمال المطلق، يعلم الغيب ويطَّلع على أسرار العقول والنفوس، يحصي أعمال الخلائق، هو المحاسِب للناس، هو مُرسِل الرُّسل والأنبياء، ومُلهِم الفلاسفة، هو مدبِّر الكون، المحيي المميت، الخالق الرازق، واجب الوجود لذاته، العقل المطلق الذي انبعثَت عنه الكائنات وصدرَت الحياة، هو قلم القدرة ورُوح الله ووجهه، هو الابتداء والانتهاء للأمر، ذو معه، الإرادة، العقل الكلي، وهو الصُّورة الصافية التي أظهرَها الله من نُوره الشعشعاني قبلَ الدُّهور، وهو الهَيُولَى، وهو السماء، وهو آدم الكليُّ الذي جاءَ بالعلم الحقيقي، وهو المسؤول أمامَ الحاكم.

قال في "كشف الحقائق": «واعلموا أنَّ قائم زمانكم يُطالب بما يُطلعه عليه مولاكم، وهو النُّور القائم في كلِّ عصر وزمان، ووقتٍ وأوان، وفترةٍ واطمئنان، ينقُله المولى سبحانه في كلِّ عصر وزمان باسم وصفةٍ، داعيًا إلى التوحيد المحض»، وهو في عصرنا هذا كما يقول أبو إبراهيم في "رسالة تقسيم العلوم": حمزة بن عليٍّ هادي المُستجِيبين، وهو الباب والسابق الحقيقي، وسابق السوابق الرُّوحانيَّة الذي سبقَ خلقُه ونورُه كلَّ شيء، وهو أجلُّ داعٍ في الحقيقة، وهو الذي أتى بما ضُمِّنَ كلُّ كتاب، وهو هادم القِبلتَين مكَّة والقدس، ومُبيد الشريعتَين؛ شريعة محمَّد وشريعة علي.

ذلك لأنَّ حمزة خيَّلَ لأتباعه أنَّ ما جاءَ به هو دين أُمَم جاءت قبلَه، فقال في "رسالة كشف الحقائق" : «والآن فقد دارَت الأدوار، وظهرَ ما كان مخفيًّا من مذهب الأبرار، وبانَ للعالم ما جعلوه تحتَ الجِدار، وعادَت الدائرة إلى نقطة البِيكار».



بيان كذبهم في ادّعاء النَّسب الشريف

قال السُّيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء" (ص٤-٦): «ولم أُورد أحدًا من الخُلفاء العُبيديِّين؛ لأنَّ إمامتهم غيرُ صحيحة لأُمور؛ منها: أنَّهم غير قُرشيِّين، وإنَّما سمَّتهم بالفاطميِّين جهلةُ العوام، وإلَّا فجدُّهم مجوسي، قال القاضي عبد الجبَّار البصري: اسمُ جدِّ الخُلفاء المصريِّين سعيد، وكان أبوه يهوديًّا حدَّادًا نشَّابة.

وقال القاضي أبو بكر الباقِلَّاني: القدَّاح جدُّ عبيد الله الذي يسمَّى بالمهدي، كان مجوسيًّا، ودخلَ عبيد الله المغرب وادَّعى أنَّه علوي، ولم يعرفه أحدٌ من علماء النسب، وسمَّاهم جَهَلَة الناس الفاطميِّين.

وقال ابن خَلِّكان: أكثر أهل العلم لا يصحِّحون نسبَ المهديِّ عبيد الله جدِّ خلفاء مصر، حتى إنَّ العزيز بالله ابن المعزِّ في أوَّل ولايته صعِدَ المنبر يومَ الجمعة، فوجدَ هناك ورقةً فيها هذه الأبيات:

إنَّا سَمِعنا نَسَبًا مُنكَرًا ... يُتلى على المِنبَرِ في الجامعِ
إن كُنتَ فِيما تَدَّعي صادِقًا ... فاذكُرْ أَبًا بعدَ الأَبِ السَّابعِ
وإن تُرِدْ تَحقِيقَ ما قُلتَهُ ... فانسُبْ لنا نَفسَكَ كالطَّائعِ
أَوْ لا دَعِ الأَنسابِ مَستورَةً ... وادخُلْ بِنا في النَّسَبِ الواسِعِ
فإنَّ أَنسابَ بني هاشمٍ ... يَقصُرُ عنها طَمَعُ الطَّامِعِ

وكتبَ العزيز إلى الأمويِّ صاحب الأندلس كتابًا سبَّه فيه وهجاه؛ فكتبَ إليه الأموي:

«أمَّا بعدُ:

فإنَّك قد عرفتَنا فهجوتَنا، ولو عرفناكَ لأجبناك»؛ فاشتدَّ ذلك على العزيز فأفحمَه عن الجواب؛ يعني: أنَّه دَعِيٌّ لا تُعرف قبيلتُه.

قال الذهبي: المحقِّقون متَّفقون على أنَّ عبيد الله المهديَّ ليس بعلوي، وما أحسنَ ما قالَ حفيدُه المعز صاحب القاهرة؛ وقد سألَه ابن طَباطَبا العلويُّ عن نسبهم، فجذبَ نصلَ سيفه من الغِمد وقال: هذا نسبي، ونثرَ على الأمراء والحاضرين الذهب، وقال: هذا حَسَبي.

ومنها: أنَّ أكثرَهم زنادقةٌ خارجون عن الإسلام، ومنهم مَن أظهرَ سبَّ الأنبياء، ومنهم مَن أباحَ الخمر، ومنهم مَن أمرَ بالسجود له، والخيِّر منهم رافضيٌّ خبيثٌ لئيمٌ يأمر بسبِّ الصحابة ﷺ ومثلُ هؤلاء لا تنعقِد لهم بَيعَة، ولا تصحُّ لهم إمامة.

قال القاضي أبو بكر الباقلَّاني: كان المهديُّ عبيد الله باطنيًّا خبيثًا، حريصًا على إزالة ملَّة الإسلام، أعدمَ العلماء والفقهاء؛ ليتمكَّن من إغواء الخلق، وجاءَ أولاده على أُسلوبه؛ أباحوا الخمرَ والفُروج، وأشاعوا الرَّفْض.

وقال الذهبي: كان القائم بن المهدي شرًّا من أبيه، زِنْدِيقا ملعونًا؛ أظهرَ سبَّ الأنبياء.

وقال: وكان العبيديُّون على ملَّة الإسلام شرًّا من التَّتَر.

وقال أبو الحسن القابسي: إنَّ الذين قتلَهم عبيد الله وبنُوه من العلماء والعبَّاد أربعة آلاف رجل؛ ليردُّوهم عن الترضِّي عن الصَّحابة، فاختاروا الموت، فيا حبَّذا لو كان رافضيًّا فقط، ولكنَّه زِنْدِيق.

وقال القاضي عياض: سُئِل أبو محمَّد القَيْرَوانيُّ الكِيزانيُّ من علماء

المالكيَّة عمَّن أكرهَه بنو عُبيد (يعني: خلفاء مصر) على الدُّخول في دعوتهم أو يُقتل؟ قال: يختار القتل، ولا يُعذَر أحدٌ في هذا الأمر، كان أوَّلَ دخولهم قبلَ أن يُعرَف أمرُهم، وأمَّا بعدُ فقد وجبَ الفرار، فلا يُعذر أحدٌ بالخوف بعد إقامته؛ لأنَّ المُقام في موضعٍ يُطلَب من أهله تعطيلُ الشرائع لا يجوز، وإنَّما أقامَ مَن أقامَ من الفقهاءِ على المبايَنَة لهم؛ لئلَّا تخلوَ للمسلمين حدودُهم فيفتنوهم عن دينهم.

وقال يوسف الرُّعَيني: أجمعَ العلماء بالقَيْرَوان على أنَّ حالَ بني عُبيد حالُ المرتدِّين والزنادقة؛ لما أظهروا من خلاف الشَّريعة.

وقال ابن خَلِّكان: وقد كانوا يدَّعون علمَ المغيَّبات، وأخبارهم في ذلك مشهورة، حتى إنَّ العزيز صعِدَ يومًا المنبر فرأى ورقةً، مكتوبٌ فيها:

بالظُّلم والجَورِ قَد رَضِينا ... وليسَ بالكُفرِ والحَماقَهْ
إن كُنتَ أُعطِيتَ عِلمَ غَيبٍ ... بَيِّنْ لَنا كاتِبَ البِطاقَهْ

وكتبت إليه امرأةٌ قِصَّة فيها: بالذي أعزَّ اليهود بميشا، والنصارى بابن نسطور، وأذلَّ المسلمين بك، إلَّا نظرتَ في أمري، وكان ميشا اليهوديُّ عاملًا بالشام، وابن نسطور النصرانيُّ بمصر.

قال السُّيوطي في "تاريخ الخلفاء" (ص٢٥): «**فائدة:**
المتسمَّون بالخلافة من العُبيديِّين أربعةَ عشر:

ثلاثة بالمغرب: المهدي، والقائم، والمنصور.

وأحدَ عشرَ بمصر: المعز، والعزيز، والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والآمر، والحافظ، والظافر، والفائز، والعاضد.

وكان ابتداءُ أمر مملكتهم سنة بضع وتسعين ومئتين، وانقراضها في سنة

سبع وستِّين وخمسمئة.

قال الذهبي: وهي الدولة المجوسيَّة واليهوديَّة لا العَلويَّة، والباطنيَّة لا الفاطميَّة، وكانوا أربعةَ عشرَ متخلِّفًا لا مستخلَفًا. انتهى».



بيان مبدأ أمرهم

قال الشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمَّاديُّ اليماني - من فقهاء أهل السنَّة في اليمن في أواسط المئة الخامسة للهجرة - في كتابه "كشف أسرار الباطنيَّة وأخبار القرامطة" (ص١٦-٢٠): «وأصل هذه الدَّعوة الملعونة التي استهوى بها الشيطانُ أهلَ الكفر والشِّقْوَة ظهورُ عبد الله بن ميمون القدَّاح في الكوفة، وما كان له من الأخبار المعروفة، والمنكرات المشهورة الموصوفة، ودخوله في طُرق الفلسفة، واستعماله الكتبَ المزخرفة، وتَمشِيَتِه إيَّاها على الطَّغام، ومَكيدتِه لأهل الإسلام.

وكان ظهوره في سنة ستٍّ وسبعين ومئتين من التاريخ للهجرة النبويَّة؛ فنصبَ للمسلمين الحبائل، وبغى لهم الغَوائل، ولبَّس الحقَّ بالباطل: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، وجعلَ لكلِّ آيةٍ من كتاب الله تفسيرًا، ولكلِّ حديثٍ عن رسول الله ﷺ تأويلًا، وزخرفَ الأقوال، وضربَ الأمثال، وجعلَ لآي القرآن شكلًا يُوازيه، ومَثَلًا يُضاهيه، وكان الملعون عارفًا بالنُّجوم، معطِّلًا لجميع العلوم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصَّف: ٨].

فجعلَ أصل دعوته التي دعاها، وأساسَ بِنيَته التي بَناها، الدُّعاءَ إلى الله وإلى رسوله، ويحتجُّ بكتاب الله ومعرفة مَثَلِه ومَمثولِه، والاختصاصِ لعليِّ ابن أبي طالب رضي الله عنه بالتَّقديم والإمامة، والطعنِ على جميع الصَّحابة بالسبِّ والأذى؛ فأفسدَ بتمويهه قلوبَ الجُهَّال، وزيَّنَ لهم الكفرَ والضلال، وله شرحٌ يطول فيه الخِطاب، غير أنِّي أختصر، وفيما أشرحه كفايةٌ واعتبارٌ لأُولي الألباب والأبصار.

وكان هذا الملعون يعتقد اليهوديَّة ويظهر الإسلام، وهو من اليهود من ولد الشلعلع، من مدينة بالشام يُقال لها: سَلَمْيَة، وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميعَ المذاهب، وكان صائغًا يخدُم شيعة إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمَّد الباقر بن عليٍّ زين العابدين بن الحسين ابن عليٍّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وكان حريصًا على هدم الشَّريعة المحمديَّة؛ لما ركَّبَ الله في اليهود من عداوة الإسلام وأهله، والبغضاءِ لرسول الله ﷺ، فلم يَرَ وَجهًا يدخل به على الناس حتى يردَّهم عن الإسلام ألطفَ من دعوته إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، وكان قد خرجَ في أيَّام قِرْمِط البقَّار - وكان اسمَه أو لقبَه؛ لأنَّه كان يُقَرمِط في سَيره إذا مشى - ولذلك نُسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون إلى قِرمِط؛ لأنَّهما اجتمعا وعمِلا ناموسًا يدعوان إليه، وكانا يعرفان النُّجوم وأحكام الأزمان؛ فدلَّهما الوقت على تأسيس ما عمِلاه.

فخرجَ ميمون إلى الكوفة وأقامَ بها مُدَّة، وله أخبارٌ يطول شرحها ممَّا كان منه ومن عليِّ بن فضل والمنصور صاحب مِسوَر وأبي سعيد الجَنَّابي، وأنا أشرحُ ذلك عند انتهائي إليه إن شاء الله تعالى، وأمَّا قِرْمِط البقَّار فإنَّه خرجَ إلى بغداد فقُتِلَ هنالك، لا رحمه الله.

وكان أوَّلَ أولاده عُبيد وهو المهدي، ثم محمَّد وهو القائم، ثم إسماعيل المنصور، ثم المعز، ثم العزيز، ثم الحاكم، ثم الظاهر، ثم بعدَه المستنصر، هؤلاء الذين يُنسبون إليه إلى عصرنا هذا، فانتسبوا إلى ولد الحسين بن عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهَه، وانتحالهم إليه انتحالٌ كاذب؛ وليس لهم في ذلك برهان، وأهل الشَّرف يُنكرون ذلك؛ فإنَّهم لم يجدوا لهم في الشَّرَف أصلًا مذكورا، ولا عرفوا لهم في كتاب "الشجرة"

نسبًا مشهورًا، بل الكلُّ يُقصيهم عن الشَّرف، وينفيهم عن النَّسَب، إلَّا مَن دخلَ معهم في كفرهم وضلالتهم، فإنَّه يشهد لهم بالزُّور، ويساعدهم في جميع الأمور.

وقد زعموا أنَّهم من ولد محمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحَاشَ لله! ما كان لمحمَّد بن إسماعيل من ولد، ولا عرفَ ذلك أحد، بل هم ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنَّهم يقولون: مَعَدٌّ المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعزِّ بن المنصور بن القائم بن المهديِّ وهو عُبيد بن ميمون، ثم يقولون: ابن الأئمَّة المستورين من ولد إسماعيل ابن جعفر الصادق، فإذا سألَهم سائلٌ عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب، وكان للسائل لهم الارتياب، وقالوا: هم أئمَّة قُهِروا فتستَّروا، ولم يُؤمروا بإظهارهم ولا ذكرهم لأحد.

وهذا من أعظم الشواهد على بُطلان ما ذكروه وانتسبوا إليه.

والدليل على أنَّهم من وَلَدِ اليهود استعمالُهم اليهود في الوزارة والرِّياسة، وتفويضُهم إليهم تدبيرَ السِّياسة، وما زالوا يحكِّمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم، وذلك مشهورٌ عنهم يشهد بذلك كلُّ أحد.

باب خروج ميمون القدَّاح من سَلَمْيَة إلى الكوفة:

وقد وُلِد له عُبيد وهو الذي يسمُّونه عُبيد الله المهدي، فأقاما بالكوفة مُدَّةً طويلةً حتى تهيَّأ لهما ما كانا يطلبان، وإلى أن أجابَهما إلى ذلك تسعةُ رهطٍ يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ منهم: علي بن فضل الجدني اليماني، وأبو القاسم بن زاذان الكوفي المسمَّى المنصور عند كونه في اليمن في مَسْوَر، وأبو سعيد الجَنَّابي صاحب الأحساء والبحرين، وأبو عبد الله

الشِّيعي صاحب كُتامة في المغرب، والحسن بن مِهران المسمَّى بالمقنَّع الخارج فيما وراء النهر من خُراسان، ومحمَّد بن زكريا الخارج في الكوفة، ولا بُدَّ أن أذكرَ أصحَّ خبر عن كلِّ واحد منهم مختصرًا إن شاء الله تعالى».

قال ابن الأثير في تاريخه "الكامل" (٦/ ١٢٤-١٢٧) في حوادث سنة **٢٩٦**، بعد أن ذكرَ الخلافَ في نَسَبِ بني عُبيد القدَّاح؛ فقيل: إنَّهم فاطميُّون علويُّون، وقيل: إنَّه نسبٌ مَدخول، وقيل: إنَّ نسبَهم يرجع لليهود:

«وقد كُتبَ في الأيَّام القادريَّة محضرٌ يتضمَّن القدحَ في نسبه ونسبِ أولاده، وكتبَ فيه جماعةٌ من العلويِّين وغيرهم أنَّ نسبَه إلى أمير المؤمنين عليٍّ غير صحيح؛ فممَّن كتبَ فيه من العلويِّين: المرتضى وأخوه الرَّضي وابن الطحاوي وابن الأزرق العلويُّون، ومن غيرهم: ابن الأكفاني، وابن الخرزي، وأبو العبَّاس الأبِيوَردِي، وأبو حامد، والكَشْفُلي، والقُدوري، والصَّيْمَري، وأبو الفضل النَّسَوي، وأبو جعفر النَّسَفي، وأبو عبد الله بن النُّعمان فقيه الشِّيعة.

وزعمَ الأمير عبد العزيز صاحب "تاريخ إفريقيَّة والمغرب" أنَّ نسبَه معروف في اليهوديَّة، ونقلَ فيه عن جماعة من العلماء.

وقال: لمَّا بعثَ الله تعالى سيِّدَ الأوَّلين والآخرين محمَّدًا ﷺ عَظُمَ ذلك على اليهود والنصارى والرُّوم والفُرس وقريش وسائر العرب؛ لأنَّه سفَّه أحلامهم، وعابَ أديانهم وآلهتهم، وفرَّقَ جمعَهم؛ فاجتمعوا يدًا واحدةً عليه، فكفاه الله كيدَهم، ونصرَه عليهم، فأسلمَ منهم مَن هداه الله تعالى.

فلمَّا قُبِضَ ﷺ نَجَمَ النِّفاق، وارتدَّت العرب، وظنُّوا أنَّ الصحابة يضعُفون بعدَه، فجاهدَ أبو بكر رضي الله عنه في سبيل الله؛ فقتلَ مُسيلِمة، وردَّ الرِّدَّة، وأذلَّ الكفر، ووطَّأ جزيرة العرب، وغزا فارسًا والرُّوم، فلمَّا حضرته

الوفاة ظنُّوا أنَّ بوفاته يُنتقَص الإسلام فاستخلفَ عمر بن الخطَّاب؛ فأذلَّ فارسًا والرُّوم، وغلبَ على ممالكها؛ فدسَّ عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتلَه؛ ظنًّا منهم أنَّ بقتله ينطفئ نورُ الإسلام، فوَليَ بعدَه عثمان؛ فزادَ في الفُتوح، واتَّسعت مملكة الإسلام، فلمَّا قُتلَ ووَليَ بعدَه أمير المؤمنين عليٌّ قامَ بالأمر أحسن قيام.

فلمَّا يئسَ أعداء الإسلام من استئصاله بالقوَّة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضَعَفَة العقول في دينهم بأمور قد ضبطَها المحدِّثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه، فكان أوَّلَ من فعلَ ذلك أبو الخطَّاب محمَّد ابن أبي زينب مولى بني أسد، وأبو شاكر ميمون بن دَيْصان صاحب كتاب "الميزان" في نُصرة الزندقة وغيرهما، فألقَوا إلى مَن وَثِقوا به أنَّ لكلِّ شيء من العبادات باطنًا، وأنَّ الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومَن عرفَ من الأئمَّة والأبواب صلاةً ولا زكاةً ولا غير ذلك، ولا حرَّمَ عليهم شيئًا، وأباحوا لهم نكاح الأمَّهات والأخوات، وإنَّما هذه قيودٌ للعامَّة ساقطةٌ عن الخاصَّة، وكانوا يظهرون التشيُّع لآل النبيِّ ﷺ؛ ليستروا أمرهم ويستميلوا العامَّة.

وتفرَّقَ أصحابهم في البلاد، وأظهروا الزُّهد والعبادة؛ يُغرون الناس بذلك وهم على خِلافه، فقُتلَ أبو الخطَّاب وجماعةٌ من أصحابه بالكوفة، وكان أصحابه قالوا له: إنَّا نخاف الجُند، فقال لهم: إنَّ أسلحتهم لا تعمل فيكم، فلمَّا ابتدؤوا في ضربِ أعناقهم قال له أصحابه: ألم تقُل إنَّ سيوفهم لا تعمل فينا؟ فقال: إذا كان قد أرادَ الله فما حِيلَتي!

وتفرَّقت هذه الطائفة في البلاد، وتعلَّموا الشَّعْبَذَةَ والنارنجيات والزُّور والنُّجوم والكيميا، فهم يحتالون على كلِّ قوم بما ينفُقُ عليهم، وعلى العامَّة

بإظهار الزهد، ونشأ لابن دَيْصان ابنٌ يُقال له: عبد الله القدَّاح؛ علَّمه الحِيَل وأطلعَه على أسرار هذه النِّحلَة، فحَذَقَ وتقدَّم.

وكان بنواحي كَرْخ وأصبهان رجلٌ يُعرف بمحمَّد بن الحسين ويُلقَّب بدندان يتولَّى تلك المواضع، وله نيابةٌ عظيمة، وكان يُبغض العرب ويجمع مساويَهم.

فسارَ إليه القدَّاح وعرَّفه من ذلك ما زادَ به محلُّه، وأشارَ عليه ألَّا يُظهر ما في نفسه؛ إنَّما يكتُمه ويُظهر التشيُّع والطعن على الصحابة؛ فإنَّ الطعن فيهم طعنٌ في الشريعة؛ فإنَّ بطريقهم وصلَت إلى من بعدَهم، فاستحسنَ قوله وأعطاه مالًا عظيمًا يُنفقه على الدُّعاة إلى هذا المذهب، فسيَّره إلى كُوَر الأهواز والبصرة والكوفة وطالَقان وخُراسان وسَلَمْيَة من أرض حِمص وفرَّقه في دُعاته.

وتُوُفِّي القدَّاح ودندان - وإنَّما لقِّبَ القدَّاح لأنَّه كان يُعالج العيون ويقدَحها - فلمَّا تُوُفِّي القدَّاح قامَ بعدَه ابنُه أحمد مقامَه، وصَحِبَه إنسانٌ يُقال له: رستم بن الحسين بن حوشب بن دادان النجَّار، من أهل الكوفة، فكانا يقصدان المشاهد، وكان باليمن رجلٌ اسمه محمَّد بن الفضل كثيرَ المال والعشيرة من أهل الجُند يتشيَّع، فجاءَ إلى مشهد الحسين بن عليٍّ يزوره، فرآه أحمد ورستم يبكي كثيرًا، فلمَّا خرجَ اجتمع به أحمد وطمِعَ فيه لما رأى من بكائه، وألقى إليه مذهبَه فقَبِلَه، وسيَّرَ معه النجَّار إلى اليمن، وأمرَه بلزوم العبادة والزُّهد ودُعاء الناس إلى المهدي، وأنَّه خارج في هذا الزمان باليمن، فسارَ النجَّار إلى اليمن، ونزلَ بعَدَنٍ بقُربِ قوم من الشِّيعة يُعرفون ببني موسى، وأخذَ في بيع ما معه، وأتاه بنو موسى وقالوا له: فيم جئت؟

فقال: للتجارة.

قالوا: لستَ بتاجر؛ وإنَّما أنت رسول المهدي، وقد بلغَنا خبرُك ونحن

بنو موسى، ولعلَّك قد سمعتَ بنا فانبَسِط، ولا تحتشِم فإنَّا إخوانك.

فأظهرَ أمرَه وقوَّى عزائمهم، وقرَّب أمرَ المهدي؛ فأمرَهم بالاستكثار من الخَيل والسِّلاح، وأخبرَهم أنَّ هذا أَوانُ ظهور المهدي، ومن عندِهم يظهر.

واتَّصلت أخبارُه بالشِّيعة الذين بالعراق فساروا إليه؛ فكَثُرَ جمعُهم وعَظُم بأسُهم وأغاروا على ما جاوَرهم، وسَبَوا وجَبَوا الأموال، وأرسلَ إلى مَن بالكوفة من وَلَدِ عبيد الله القدَّاح هدايا عظيمة، وكانوا أنفذوا إلى المغرب رجلَين أحدهما يُعرف بالحلواني، والآخر يُعرف بأبي سفيان، وقالوا لهما: إنَّ المغرب أرض بُور؛ فاذهبا فاحرُثا حتى يجيءَ صاحب البَذْر، فسارا فنزلَ أحدهما بأرض كُتَامة ببلد يسمَّى مرجنة، والآخر بسوق حمار، فمالَت قلوب أهل تلك النواحي إليهما، وحملوا إليهما الأموال والتُّحَف، فأقاما سنين كثيرة، وماتا، وكان أحدُهما قريبَ الوفاة من الآخر».

وفي كتاب "كشف أسرار الباطنيَّة وأخبار القرامطة" (ص**٤٣، ٤٤**) في ذكر عليِّ بن محمَّد الصُّلَيْحي: «فالحذر الحذر - أيُّها المسلمون - من مقاربته ومخالطته والرُّكون إلى قوله؛ فإنَّه وأهلَ مذهبه يستدرجون العقولَ ويضلُّون مَن ركنَ إليهم، لقد سمعتُه مِرارًا وأسفارًا وهو يقول لأصحابه: «قد قَرُب كشفُ ما نحن نُخفِيه وزوالُ هذه الشَّريعة المحمديَّة»، والله سبحانه أكرم من أن يبلِّغَه مأموله من فساد الدِّين وهلاك المسلمين.

عبادَ الله، إنِّي لم أزل أتلطَّف بخاصَّته وأهل مذهبه، ولم أقنَع حتى خالطتُه وأطمعتُه بقَبول ما هو عليه من مذهبه وضلالته، وكفره وبدعته، وأعماله الشنيعة، وضلالته الفظيعة، التي تُنكرها القلوب وتشمئزُّ منها النفوس، وذلك أنَّ الصُّلَيحيَّ ومَن على مذهبه يدعون إلى ناموسٍ خفي، كلَّ جَهول غبي، بعهود مؤكَّدة، ومواثيقَ مغلَّظَةٍ مشدَّدة، على كتمان ما بُويِعَ

عليه، ودُعِيَ إليه، وأنَّه لا يكشف لهم سرًّا، ولا يُظهر لهم أمرًا.

ثم يُطلعه على علوم مموَّهة، وروايات مشبَّهة، يدعوه في بدء الأمر إلى الله ورسوله؛ كلمةَ حقٍّ يُراد بها الباطل، ثم يأخذه بعد ذلك بالرَّفض والبُغض لأصحاب رسول الله ﷺ، فإذا انقادَ له وطاوعَه أدخلَه في طريق المهالِكِ تدريجًا، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفًا وتعويجًا، بكتب مصنَّعة وأقوال مزخرفة، إلى أن يلبِّس عليه الدِّين؛ فيخرج منه كما تخرج الشَّعرة من العَجين.

وقُصارى أمره إبطال الشرائع، وتحليل جميع المحارم؛ فسارعَ إليه مَن لم يكن له بالشَّرع معرفة؛ لأنَّه صادفَ أكثر الناس عوامَّ، فأجابَه إلى دعوته الرَّعاع والطَّغام، ومَن لم يكن له معرفةٌ قبلُ بالإسلام، فحرَّم الحلال وأحلَّ الحرام، وناقضَ بجَهدِه الإسلام، وأبطلَ الصلاة والصِّيام، والزكاة والحجَّ إلى بيت الله الحرام؛ فأهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق».



الكتب المقدَّسة عندهم

ذكر مؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" ما يلي:

«لا سيَّما وحمزة نفسُه يقول في "رسالة التنزيه" ما نصُّه: «وقد ذكرتُ في كتابي المنفرد بذاته ما يُبطل مذهبَ كلِّ فرقة»، وهذا الكتاب لم أعرفه، ولا أظنُّ أحدًا سواي يعرفه، ولا ريبَ أنَّ فقدَه يشكِّل ثُغرةً حاولَ كمال جنبلاط الدِّفاع عنها بالدَّعوة بأنَّه عثرَ على نسخةٍ منه فريدة ما زالت منذ قرون في مكتبات فينَّا.

ويذكر مؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي" في موضع آخر ما يلي: «رسائل حديثة إخالُها من وضع كمال جنبلاط بالتعاون مع عاطف العجمي وخطِّ الشيخ عبد الخالق أبو صالح:

١- المنفرد بذاته:

رأيتُ في الرسائل المخطوطة اسم "المنفرد بذاته" في مواضعَ كثيرة، وكنتُ أظنُّه مفقودًا، وما لبثَ أن رأيتُ كتابًا يُدعى "مصحف المنفرد بذاته" مؤلَّفًا من (**٢٦٩**) صفحة سوى الملاحق والاصطلاحات الحديثة، مطلع هذا الكتاب دائرةٌ تشتمل على حروف مقطَّعة تساوي آية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقَّة: ١٧]، وفي زواياها حروف (له مرجعكم ثم ننشئكم)، هذا المنفرد ترديدٌ لما في الرسائل، وإن جاء بأسلوب آخر؛ إذ أشارَ في الثمانية للخمسة والثلاثة المعروفين، وأشارَ بعدها للتجلِّيات، وأكثرَ من سرد الآيات القرآنيَّة، لكن مع تعديلٍ كتقديم أو تأخير اقتضاه الاستشهاد مثل: (ألم تروا كيف ضربَ الله الأمثال للناس لعلَّهم بالحجَّة يوقنون فاستمعوا

يا أولي الألباب)، وضربٍ على وَتيرةِ الظاهر والباطن المعلومة.

٢- الصُّحف الموسومة بـ"الشريعة الرُّوحانيَّة في علوم اللطيف والبسيط والكثيف":

وهذا كتاب آخر كـ"المنفرد بذاته" مؤلَّف من نحو (**٣٦٠**) صفحة، وأراهما حديثي التأليف، تعاوَنَ على إخراجهما كمال جنبلاط وشخص آخر معروف لدي.

هذا الكتاب من عِدَّة مؤلَّفات:

١- "رسالة رِكز العاجلة"؛ وقد اهتمَّت كسابقتها بالثمانية وعرضتهم بهذا النص: «فمَنَّ عليكم (طبعًا الحاكم) كما مَنَّ على الثمانية الذين من قبلكم» صفحة (٤).

وردَّدت انبثاق العقل (حمزة) من الله قبل الدُّهور بهذا النص: «المبدَعات من مولانا العقل صلوات المهيمن عليه» (ص٧).

٢- "رسالة شِرعة الإبداع"؛ وهي لا تخرج عمَّا في الرسائل وإن تجدَّد الأسلوب.

٣- "رسالة شِرعة المثالات"؛ وقد اهتمَّت بالتجلِّيات، وأمدَّتنا بهذا النص: «فكانوا (يعني: الناس) هم الناظر والمنظور إليه» (ص١١٠).

٤- "رسالة شِرعة استبانة الشريعة"؛ وقد أكثرت الاستشهاد بأسماءٍ لم نرَها في جميع ما نعرف مثل (أبي إسحاق المَجْرِيطي اللُّدِّي).

٥- "شِرعة الأمَّة الواحدة"؛ وهذه جعلت من الدُّروز أمَّة كاملة، ورأت الدُّرزيَّ إذا قتلَ غير درزيٍّ لا يُقتل به (ص١٧).

٦- "رسالة شِرعة العرفان"؛ وبها هذا النص: «هذه آيات بيِّنات من صحف مولاكم الحكيم الفاضل المثلث بالحكمة (ذي إمحت به) هو هِرْمِس

الهَرامِسة، ولا تكونوا كالذين وعظَهم مالك بن دينار» (ص٢٢).

٧- "رسالة رِكز العاجلة"؛ وبها هذا النص: «يا أيُّها الموحِّدون، كُتِبَ عليكم الصلاة من ليلة الجمعة جامعة، فاسعَوا إليها واقرؤوا ما تيسَّر من ألواح الحكمة» (ص١٤٢).

هذه الرسائل تحاول أن تقدِّمَ للدُّروز شريعةً تُغنيهم عن الشرائع السماويَّة والأنظمة المدنيَّة؛ ولذا أخذَت كلَّ جميل وجدَته من مطلق مصدر، وسبكَته في القالب التوحيديِّ وعَزَته إلى مولاها الحاكم؛ فقالت في صفحة (١٤٩، ٢٢٤): «لا حبسَ على مُعسِر».

وفي صفحة (١٩٠): «ومن المحرَّمات على الموحِّدين المؤمنين قتلُ الموحِّدين عمدًا، والفرارُ من الزحف مع الموحِّدين على الأعداء».

وفي صفحة (٢٢١): «لا تُسمع شهادة أهل الأهواء على الموحِّدين، الحُكم بما ليس في الحكمة كفرٌ وإلحاد وارتداد».

وفي صفحة (٢٣٩): «ومَن تزوَّجَ غير موحِّدة فقد فَجَر، وخرجَ من الموحِّدين، وحرامٌ على الموحِّدين والموحِّدات التزوُّج من أبنائه وبناته».

وفي صفحة (٢٤٣): «كلُّ مَن حكمَ بغير شريعتكم فحُكمه رَدٌّ»؛ ويعني بشريعتهم - طبعًا - ما جاء بالحكمة مرويًّا عن الحدود الخمسة؛ كما نرى في هذا النص: «مَن اتَّخذ شريعة الخمسة له سبيلًا وقاه الله شرَّ المنقلَب» صفحة (٢٤١).

٨- "رسالة الشفاء" كرَّرت هذه الرسالة كلمة (هِرْمِس) وأشارت للمعلِّم، وأعتقد أنَّ جنبلاط يعني بهذا اللقبِ نفسَه، كما أتحقَّق هذا من دراسة نفسيَّته التي عرفتُها بعد اجتماعاتي المتعدِّدة معه، فرأينا هذا النص: «لمولاكم الحكيم، أسد الأسود، هِرْمِس الهَرامِسة، ومولاكم الحكيم

أدسُّ العلَّة المرشد والمعلِّم. .. فلا تجعلوها في أيدي الذين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير» صفحة (٢٥٢).

وكأنَّ جنبلاط الذي لا أكاد أرتاب في أنَّه مؤلِّف هذه الرسائل كأنَّه أحسَّ أنَّ كلَّ شيء لدى الدُّرزيِّ أصبح كاملًا، ولم يَعُد ينقصهم إلَّا النصائح الطبِّية، والاعتماد على معرفة أنباء المستقبل من الكواكب والأفلاك، ومعرفة ما يُضمر الناس بواسطة سِحَنِ وجوههم؛ ولذا كتبَ نحو مئة صفحة حول الطبِّ والفِراسة، وأسندَ آراءه - كعادة حمزة وإخوان الصَّفا - لأسماءٍ سمَّاها، هو؛ مثل: (الحكيم أومنير، وباس، والحكيم أسكلب)، ولم يفُت المؤلِّف أن يعتمدَ على نصائح أرسطو للإسكندر صفحة (٢٨٥)، بل رأى أرسطو يتحدَّث عن الحكماء الثمانية الذين اطَّلعوا على العلوم الخفيَّة من سرِّ الخليقة صفحة (٣٠٢).

وهكذا نقلَ عن هؤلاء، وبُوذا، وداود الأنطاكي، والفقهاء، والقرآن، والسِّيرة النبويَّة، والقوانين المدنيَّة، ونقلَ ما يريد وألصقَ هذا كلَّه بحمزةَ والحاكم، وختمَ الكتاب بقوله: «يا أيُّها المؤمنون الموحِّدون، لقد أُعطيتُم هذا المصحفَ المقدَّس الشريف، وقد كان محفوظًا لدى عنايةِ مولاكم» صفحة (٣٥٦).

ولم يَفُته أن يذيِّلَ الكتاب في الختام بتاريخ: **١١** لظهور حمزةَ بن علي.

وصفوةُ القول: إنَّ مجلَّد "البسيط والكثيف" يخلُص إلى ما يلي:

١- إثبات كلِّ ما جاءَ عن حمزة. صفحة (١٣٩)، والرمز لأبي إبراهيم بـ (ذي امنحتب به).

٢- حضٌّ قويٌّ جدًّا على الكتمان، ورؤية منكري الحكمة معرَّضين لتقمُّصات مخيفة.

٣- إثبات قصَّة الدَّينُونة كما جاءت في الرَّسائل المخطوطة مع تعديل الأسلوب. صفحة (١٤١).

٤- فرض العبادة ليلةَ الاثنين مع المحافظة على فرضها ليلةَ الجمعة. صفحة (١٤٢).

٥- إدخال الفكر البوذي، ونظام اليُوجا، والاعتماد على التعاويذ لشفاء الأمراض.

٣- "**رسائل إلجام الجاحدين" وما بعدَها**، وهذا كتاب جديد كـ"المنفرد بذاته"، و"البسيط والكثيف" وضعًا وخطًّا، واقتباسًا من القرآن، توِّجَ بهذا النص: «أُصدرَ من ديوان الإنشاء بمصر بتاريخ شهر صفر أربعمئة هجريَّة، وعُمِّمَ على جميع البلاد حتى الهند والسِّند والعراق وفلسطين».

وفي صفحة (٦) ما نصُّه: «وما جمالُ العوالم غيرَ جمال المبدِع، ورُوح الجمال هو الظهور بذاته، وهذا هو سر ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩]».

وفي صفحة (٧): «وكم سَما أُناسٌ بحبِّنا إلى الفَنا في ذاتنا! ولولا المحبَّة لما فَنَوا، ولما وصلوا إلى طريق الارتقاء إلى العالم الأقدس».

وفي صفحة (١١): «وإن تعجَب فعجبٌ أن اتَّخذتم الكتاب (القرآن) حجَّةً لكم على ذلك، وأنتم الذين جهِلوا حقيقة ما يدعو إليه الكتاب، وعَمِيَت قلوبُكم وألبابُكم عن لغته وباطنه وظاهره، واستعاراته ومجازاته، وحقيقة تأويله، فكم قُلنا لكم: اخرُجوا من ظُلمات أفئدتكم التي حجبتكم عن نُور الحق».

وفي صفحة (١٣): «وكلَّما ننتهي من فِرْيةٍ في كتابكم نأتي على فِريَةٍ أسميتُموها أحاديثَ محمَّد أشدَّ فتكًا، وتنفطِر من زعمكم السماء، وتخِرُّ

الجبال من اختلاقها هذا».

"رسالة الهند الأولى"؛ مطلعها هذا النص:

«من عبدِ مولانا وليِّ الزمان، قائم الحقِّ وسراج البرهان، إلى الشيخ الرشيد، والمطلع المقدَّس النضيد، صاحب الرأي السديد، والصادق الأمين، إلى فرع الدَّوحة الرجباليَّة وسليل الحكيم شومار».

وفي صفحة (٢٨): «إلى الشيخ الرشيد ابن صومار رجه بال».

وفي صفحة (٤٠): «جاثا بن صومار».

"رسالة الهند الثانية": قاف سين ميم با كاف نون، هذه أسرار لا تزال محتجبةً وكلام مغلق رأيناه في صفحة (٢٥، ٣٢، ٣٥) بمثل هذا الرسم:

«هكاكب هطاطر، عضر، نضر، كاهول، أشاهل، هسو، هكغب، إههكا، طرش».

وفي هذا الكتاب صفحة (٣١-٣٧) أمرٌ بنسخ الشرائع، وسبٌّ للمسيح الكذَّاب - عيسى بن مريم - ودعوةٌ للتمسُّك بإمام الزمان مسيح الحق - حمزة - ودعوة لخلع جميع العقائد، والوقوف عند حمزةَ فحسب، ودعوة معلَّلة بمثل هذا النص:

«كيف آمنتُم بعيسى وتركتُم شريعة موسى؟! وآمنتُم بمحمَّد وتركتُم شريعة عيسى؟!»؛ ولا ريبَ أنَّ المعنى: آمنوا بألوهيَّة الحاكم وشريعته الرُّوحيَّة التي جاءَ بها حمزة واتركوا سواه؛ إذ حمزة هو الذي تكلَّم بجميع أصحاب الشرائع المعروفة لديم؛ كما جاء في صفحة (٤٣): «الذي تكلَّم بالمسيح وموسى ومحمَّد هو نحن الكامنون».

ولذا فحمزة «ناسخُ الأديان، هادم مباني إفكِها المؤسَّس على

الضَّلالات، وفاضح عقائد سحرها» صفحة (٣٢، ٣٥).

وحدة الوجود؛ في صفحة (٤٣) ما نصُّه: «إذا لم تسمعوا قولَ الحكيم الواحد المبارك بُوذا الذي أخبركم قبلَنا بقولنا وقول إخواننا وذواتنا أنَّ كلَّ وجميع الأشياء هي من أصلٍ واحد، وسبب واحد، وزمن واحد، واسم بالحقيقة واحد، كلُّ ذلك منبثقٌ من ذلك النَّسَبِ الذاتيِّ الواحد، ومَن عرفَ ذلك فقد وجدَ ضالَّته».

وهكذا وجَّهَ هذا الكتاب عنايةً للهند بنحو سبع رسائل، حملَ فيها حملاتٍ قاسيةً على جميع أديان العالم ودعاها: «دُمًى أشغلَت الأبناء عن آبائهم، وأعمَتهم عن المُنعِم» صفحة (٥٨)، وبشَّرَ بقرب زوالها؛ فقالَ في صفحة (٧٥): «ولسوف تغربُ هذه الشمس التي ترونها عن العباد، وتختفي هذه المَرايا عن الأبصار»، ورآها ممَّا عمِلَت أيدي الناس؛ فقالَ في صفحة (٦٧٦): «يا أيُّها الذين نهديهم إلى ينابيع جنَّاتنا، ألم ننهَكُم من قبلُ عن اتِّباع ما عمِلَته أيديكم؟! وما قُلنا لكم: اطرَحوا ما وجدتُّم عليه آباءكم؟!».

هذه ثلاثة كتب حديثة خيَّلها جنبلاط قديمة، وزعمَ أنَّه استحضرَها من مكتبات فينَّا، وعلَّق عاطف العجمي - قبَّحه الله - على هذا الزعم قائلًا: تكاد تفوق القرآن بلاغة.

حافظت هذه الرسائل على مقاصد حمزة، واحتفظت بأسرار ما تزال دفينة، وشدَّدت على تحريم زواج الدُّرزيِّ من غير الدُّرزيَّة، ودعَت لخلع ثوب جميع الأديان، والاكتفاء بارتداء الثوب الذي فصَّله حمزة.

"شرح السيِّد" كلمة السيِّد هنا تعني دائمًا الأميرَ عبد الله التَّنوخيَّ دفينَ عَبيه بلبنان، وإخالُه ملصقًا بالسيِّد؛ إذ يذكر الحدودَ وخروجَهم من الصِّين، إذ كانوا وراءَ جبل قاف المحيط بالدُّنيا، ثم لا بُدَّ أن يخرجوا ليخرِّبوا مكةَ،

ويهدموا الكعبة ويقتلوا ابن البربريَّة - محمَّد بن عبد الله، رسول الله ﷺ، قبَّحهم الله! - ويطوفون بالعبَّاس مغلولًا ويذبحونه في بَلْخ.

وهذا الذَّبح - كما لا يخفى - يعني: الإجهاز على الدَّولة العبَّاسيَّة، وقد يرمُزون للشَّريعة الإسلاميَّة بالعبَّاس؛ والمعنى: أنَّ خروج الحدود من الصِّين إجهازٌ على محمَّد بن عبد الله وشريعته.

وهكذا نرى دُعاة حمزة - كبهاء الدِّين قديمًا، وكمال جنبلاط حديثًا - يسيرون في طريق يُفضِي للإجهاز على الأديان، لا سيَّما الإسلام؛ تنفيذًا لتصاميمَ يهوديَّة مجوسيَّة، ويلتقون مع التَّلْمود اليهودي في نقاطٍ كثيرة كما نرى مثلًا: التَّلْمود لا يرى الصِّدق واجبًا إلَّا أمام اليهود، ويرى استباحة دمِ جميع الناس ومالِهم، والمخطوطات الدُّرزيَّة تضرب على هذه الوتيرةِ بمناسبات عديدة، إذ بين يديَّ المجلَّد الأوَّل من مجلَّدات الحكمة السبعة، وها أنا أنقُل منه هذا النصَّ بحروفه:

«وليس يلزمُكم أيُّها الإخوان أن تصدُقوا لسائر الأُمَّة؛ أهل الجهل والغُمَّة، والعمى والظُّلمة، وألَّا يلزمكم فيه شيء لهم، والصِّدق فهو من نفس الأدب، وليس لغيركم عليكم فرض ولا ذلك إلَّا لبعضكم».

وقال تفريعًا على هذه القاعدة ما نصُّه:

«مثل أن يكونَ أحدكم قتلَ رجلًا من عالم السَّواد؛ فإذا سألوه عن ذلك جازَ ألَّا يصدُقَهم، ولا يحقِّقوا عليه القتل بإقراره، وأقاموا عليه الشهادة بقلَّة إنكاره، وما أشبَهَ ذلك، مثل أن يكونَ قد أخذَ لأحدهم دَينًا أو غصبَه، أو كان للضدِّ عندَه دَينٌ بغير وثيقة، أو وديعةٌ بغير بيِّنة، وكان معسِرًا عن وفائه، غيرَ واصل إلى رَخائه - يجوز له الإنكار، وقلَّة الصِّدق عند الإعسار؛ خيفةً من ثبوت البيِّنة عليه، ومطالبته بما لم يصِل يدَه إليه، وإن كان ذا يَسارٍ فلا

بأس أن يصدُقَه».

هذه ثَقابة ممَّا عرفنا من الرسائل القديمة والحديثة؛ إذ هناك رسائل لم تَصِلنا، فـ"المنفرد بذاته" الذي أشارت له الرسائل القديمة لم يصِلنا، وإن حاولَ جنبلاط أن يصدرَ هذا باسم ذاك.

وهناك رسائلُ أُشِيرَ إليها في المخطوطات الحديثة مثل: "سبيل الحقائق، إلى معرفة الرقائق والدَّقائق" لم تصلنا، ولعلَّ جنبلاط يعثُر عليها في إحدى مكتبات الغرب أو الهند!».



هدم الإسلام هو الهدف عندهم

وفي (ص٣١-٣٣) من "تاريخ الجمعيَّات السرِّية والحركات الهدَّامة" تحت عنوان (الحركات الهدَّامة التي قامت لهدم الإسلام):

«كانت مبادئ الغُلاة من الشِّيعة مهدًا لدعوة ثوريَّة تُمعِن في الهدم، وترمي إلى سَحْق تعاليم الإسلام كلِّها؛ سعيًا إلى تحطيم السُّلطة السِّياسيَّة التي تقوم على هذه التعاليم، وكانت الإسماعيليَّة أنشطَ طوائف الشِّيعة في بثِّ مبادئ الخروج والهدم، وإليهم ينتمي أعظمُ الدُّعاة الثوريِّين والمتآمرين.

وقد كانت الحركة الشِّيعيَّة حتى منتصف القرن الثالث تميل إلى الاصطِباغ بالصِّبغة الدِّينيَّة، ولا تقصد بالهدم من المبادئ إلَّا ما ترى أنَّه يخالف مبادئها، ويتعارض مع غاياتها السِّياسيَّة، غير أنَّها تحوَّلت بعد ذلك إلى أداةٍ رائعة لهدم جميع المعتقدات الدِّينيَّة والنُّظُم السِّياسيَّة، وسَحقِ جميع المبادئ الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة، إسلاميَّةً أو غيرها.

وكان أوَّلَ من أشهرَ مِعوَل الهدم على هذا النحو الشامل رجلٌ لعلَّه أعظمُ هدَّامٍ وأذكى متآمرٍ عرفَه التاريخ هو عبد الله ابن ميمون القدَّاح، وهو ابن فقيه ملحدٍ من جنوب فارس هو ميمون بن دَيْصان.

وكان ابن دَيْصان إمامَ جماعةٍ من الملاحدة يزيِّفون الأحاديث، وينشرون في العامَّة مبادئ الإنكار والهدم والإباحة، ويظهرون في نفس الوقت تشيُّعًا لآل البيت؛ حجبًا لحقيقة مقاصدهم، وتعلَّمَ دُعاتهم الشعوذة والكيمياء، وتفرَّقوا في الأنحاء يدعون كلَّ طائفة بما يُناسب مُيولَها وعقليَّتها، ويظهرون للعامَّة في ثوب الوَرَع والزهد.

ونشأ ابنه عبد الله منذ حداثته في جوِّ المبادئ الحرَّة والتعاليم الفلسفيَّة والمادِّية، وتفقَّه في جميع الأديان، وكان شديدَ الإلحاد والإنكار، غيرَ أنَّه ادَّعى اعتناق مبادئ الشِّيعَة الإسماعيليَّة، وزعمَ أنَّه وقفَ على الأسرار الرُّوحيَّة والعلوم الخفيَّة التي يقول الإسماعيليَّة: إنَّ إمامهم إسماعيل علَّمها لابنه محمَّد المكتوم.

فذاعَت دعوته في جنوب فارس حوالي سنة **٢٦٠**هـ - أواخر القرن التاسع من الميلاد - والتفَّ حولَه الإسماعيليَّة، ولم يلبَث أن قبضَ على ناصية الحركة الشِّيعيَّة.

ولم تكن دعوته إلى إمامة إسماعيل وبَنيهِ إلَّا قناعًا يستتر وراءه، وقد كانت غايته الحقيقيَّةُ بثَّ التعاليم المادِّية، فنشِطَ إلى إدماجها في مذهبٍ خاصٍّ، ونظَّم طائفة الباطنيَّة إلى جمعيَّة سرِّية هائلة ذات مراتب سبع».

ثم ينقُل المؤلِّف عن المؤرِّخ دوزي قولَه: «ولم يبحث ابن ميمون عن أنصاره الحقيقيِّين بين الشِّيعة الخُلَّص؛ ولكن بين الثَّنَوِيَّة والوثنيِّين وطلَّاب الفلسفة اليونانيَّة، ولم يكن يعتمد إلَّا على الطائفة الأخيرة، وإليهم وحدَهم استطاعَ أن يُفضِيَ بسرِّه وخَفِيِّ عقيدته؛ وهي أنَّ الأئمَّة والأديان والأخلاق ليست إلَّا ضلالًا وسخرية، وأنَّ باقيَ البشر - أو الحُمُر كما يسمِّيهم - ليسوا أهلًا لفَهم هذه التعاليم.

غير أنَّه تحقيقًا لغايته لم يكن يمقُت مؤازرتهم، بل كان يلتمسها، ويحذر في نفس الوقت من أن يضمَّ الأنفسَ المخلصةَ الخائفةَ إلَّا إلى المرتبة الأولى من طائفته.

وكان دُعاته - الذين علِموا أنَّ أوَّل ما يجب عليهم هو إخفاءُ حقيقة عواطفهم واعتناقُ آراء سامعِيهم - يظهرون في أثواب مختلفة، ويُحادثون كلَّ

طبقةٍ باللُّغة التي تروق لها، يغنَمون العامَّة والبُسَطاء بأعمال الشَّعوذة؛ فيعتبرونها معجِزات، أو يُثيرون طلعتَهم بالألغاز والأحاديث الخفيَّة، ويتحجَّبون أمامَ المخلِصين بقناع الزُّهد والفضيلة، ويتظاهرون أمامَ الصوفيَّة بأنَّهم صوفيَّة، ويكشفون عمَّا خَفِيَ من معاني الغيب أو يشرحون الأساطير ومجازاتها...

أسفرَت هذه الوسائل عن نتيجةٍ مدهشة؛ هي أنَّ جمهورًا عظيمًا من الرجال يعتنقون مذاهبَ مختلفةً كانوا يعملون معًا لتحقيق غاية لا يعلمها سوى القليل منهم!

وسنرى أنَّ هذا البرنامج الذي ابتدعَه ذكاءُ ابن ميمون كان مستقًى لكثير من الجمعيَّات السرِّية الحديثة في صَوغِ مبادئها وتنظيم صفوفها، وأنَّ فكرته الجوهريَّة - وهي حشدُ جمهور كبير من الأنصار، ودفعُهم إلى العمل لغايةٍ يجهلونها - كانت نَواةً لبرامج هذه الجمعيَّات وجهودها، سواءٌ كانت ترمي إلى غاياتٍ دينيَّة أو اجتماعيَّة أو سياسيَّة، بل سوف ترى أنَّه نفس البرنامج الذي اتبعَه فيسهاوبت في تأليف "الشُّعلة البافاريَّة" في القرن الثامن عشر».

ويقول الأستاذ محمَّد عبد الله عنان في كتابه "تاريخ الجمعيَّات السرِّية والحركات الهدَّامة" (ص٤٠-٤٥): «بينما كان القرامطة يسيرون بأنفسهم إلى الفَناء في غِمار من المعارك الطاحنة والسَّفك المستمر، كانت دعوة عبد الله ابن ميمون السرِّية تجتاح مجتمعًا آخر، وتسير في طريقها بخطواتٍ ثابتة، غير أنَّه توفِّيَ قبلَ أن يشهدَ نتائجها المادِّية؛ فقامَ بها بنوه من بعده، وأرسلوا إلى اليمن داعيةً يبُثُّ الدَّعوة ويبشِّر بقرب ظهور المهدي، فانتشرت الدعوة هنالك بين القبائل الشِّيعيَّة بسرعة، وأغاروا على مَن حولَهم من القبائل بالسَّبي والنَّهب، وأرسلوا أموالًا كثيرة إلى ولد ابن القدَّاح.

وأنفذَ الدُّعاة في نفس الوقت رجلَين منهما إلى إفريقيَّة التي أَنِسُوا في قبائلها المتوحِّشة مهدًا خصيبًا لِبَثِّ بذور الدعوة، فذهبا إلى أرض كُتَامةَ والتفَّ حولهما كثيرٌ من القبائل.

وكان ممَّن اعتنقَ الدَّعوة في اليمن رجل يُدعى: أبا عبد الله الشيعي، وكان ذا ذكاء وعزم؛ فلمَّا انتشرت الدَّعوة في قبائل المغرب سارَ إلى إفريقيَّة، وبشَّرَ بظهور المهدي، واستمالَ البربر بحِيَلِه وشعوذتِه، وزهدِه وورَعِه، وقاتلَ في أنصاره جندَ بني الأغلَبِ أُمراءِ إفريقيَّة وهزَمهم في عدَّة مواقع.

وكان ولدُ ابن القدَّاح يدَّعون أنَّهم من سلالة آل البيت، وكان حفيدُه الحسين قد سارَ إلى سَلَمْيَةَ من أرض حِمص، واستولى على ما أودعَه جدُّه عبد الله هنالك من مال ووُكَلاء وغِلمان، وكان هو الذي يُدِير الدَّعوةَ ويرسل الدُّعاة، ويُكاتبه شيعةُ اليمن والمغرب، كانت زوجته يهوديَّةً رائعةَ الحُسن تزوَّجها بعد أن ماتَ عنها زوجها الأوَّل وهو يهودي، ولها منه ولدٌ فائق الذكاء والظَّرْف، فتبنَّاه الحسن وعلَّمَه وأدَّبَه، وعرَّفَه أسرارَ الدَّعوة من قول وفعل، وتقدَّمَ إلى أصحابه بطاعته وخدمته، وأنَّه هو الإمام والوَصِيُّ، وانتحلَ له نسبًا هو عبيد الله بن الحسن من ولد الحسين بن علي؛ وهذه روايةٌ في نسبِ عُبيد الله بن المهدي.

وهناك مَن يقول: إنَّه من وَلَدِ إسماعيل الإمام كما قدَّمنا، ومَن يقول: إنَّه ولد الحسين بن القدَّاح من زوجته اليهوديَّة، والاختلاف كثيرٌ في نسبته، غير أنَّ سَواد المؤرِّخين المسلمين لا يميل إلى تصديق نسبِ عُبيد الله اليهوديِّ سواءٌ من جهة أمِّه أو أبيه؛ إذ تأبى غَيرتُهم الدِّينيَّة - على ما يظهر - أن يكونَ المنتحلُ دعوةَ المهديِّ والمؤسِّسُ لدولة كبيرة من دول الإسلام من غير المسلمين، ويعتقد معظمُهم صحَّةَ انتسابه إلى آل البيت.

أمَّا نحن فنرجِّح أنَّه من وَلَدِ عبد الله بن ميمون؛ لأنَّ دعوة ابن القدَّاح إلى إمامة آل البيت لم تكن كما قدَّمنا إلَّا قناعًا يستتر به ووسيلةً لاستهواء العامَّة، وبعيدٌ أن يستنفِدَ بنو القدَّاح - وهم من أقطاب الإنكار والإلحاد - نشاطَهم وذكاءَهم في سبيل تأييد دعوةٍ يسخرون منها في أعماق قلوبهم، ويقيمون للدِّين دِعامةً، وما قاموا بدعوتهم إلَّا لسَحقِه وسَحقِ جميع التعاليم الدِّينيَّة والأخلاقيَّة.

وعلى أيَّة حالٍ فقد قامَ عُبيد الله بالدَّعوة بعد وفاة الحسين وبَذَلَ الأموال وبثَّ الدُّعاة، وأرسلَ إليه أبو عبد الله الشِّيعي رُسُلًا من كُتَامةَ يخبرونه بما تمَّ له هنالك من الظَّفَر، وأنَّهم ينتظرون قدومَه إلى المغرب، وكانت عينُ الخليفة المكتفي فوقَ ذلك ساهرةً ترقُب حركاته، فاعتزمَ الفِرار إلى إفريقيَّة، وبعد خُطُوب كثيرة ومطاردات جَمَّةٍ استطاعَ أن يَصِلَ إلى المغرب هو وولده أبو القاسم، غير أنَّه وقعَ في يد أمير سِجِلْماسةَ فسجنَه بإشارة زِيادة الله الأغلَبِ قبل أن يتوفَّقَ إلى لقاء أبي عبد الله.

غير أنَّ أبا عبد الله نَشِطَ إلى محاربة زيادة الله، وبعد حروب طاحنة هُزِمَت جيوش بني الأغلَب، ودخلَ أبو عبد الله مدينة القَيرَوان، وزالَ ملك الأغالبة من إفريقيَّة (تونس) سنة **٢٩٦**هـ.

ثم سارَ أبو عبد الله إلى سِجِلْماسةَ وقاتلَ أميرها وهزمَه، وأخرجَ عُبيدَ الله وولدَه من السِّجن ودعا إلى إمامته، فدخلَ عُبيد الله مدينةَ القَيْرَوان سنة سبع وتسعين وقَبَضَ على زِمام الحكم وتلقَّب بالمهدي، واستعملَ أنصاره في حُكم الثُّغور والنواحي، وقامَت بذلك دولة العُبيديِّين.

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة افتتحَ مصر جوهرُ الصِّقِلِّيُّ قائد المعِزِّ لدين الله خليفة العُبيديِّين، وأسَّس مدينة القاهرة، ثم قَدِمَ المعِزُّ إلى مصر بعد

ذلك ببضعة أعوام، ونقلَ قاعدة مُلكه إلى القاهرة فكانت منزلَه ومنزلَ أبنائه من بعده.

وكان العُبيديُّون قد اشتغلوا حينًا بالغزو عن المضيِّ في بثِّ دعوتهم، فلمَّا هدأت ثورة الفتح وثبتَت دعائمُ مُلكهم استأنَفوا دعوةَ التقويض والهدم، وكان أنشطَهم إلى بثِّها وأحرصَهم على تأييدها الحاكمُ بأمر الله بن المعز؛ الذي تبوَّأ عرشَ مصر عقبَ وفاة أبيه سنة ستٍّ وثمانين.

وكان الحاكم عنيفَ الأهواء خَطِرَ النَّزَعات فذَّ الأطوار جمَّ الصَّرامة والقسوة، مضطربًا في الجَور والعدل، والإضافة والأمن، والنُّسُك والبدعة؛ فمالَ على المصريِّين وأذلَّهم، وعاثَ في أموالهم وأرواحهم وأعراضهم، وأضناهم بغريب نَزَعاته ومتناقِض أحكامه، وقلبَ نُظُمَ الحياة الاجتماعيَّة؛ فأمرَ حينًا أن يُستبدَلَ النهار بالليل لإجراء المعاملات، ومنعَ النِّساء من الخروج والتعامل، وأطلقَ يَدَ الأجانب والسِّفْلة في شؤون الدولة؛ فانهارت صُرُوح النِّظام والأمن، وانحلَّت الأخلاق، وانحطَّت عقليَّة المجتمع المصري.

بَيْدَ أنَّ الذي يهمُّ أن نسجِّلَه من سيرة الحاكم هو استئنافه للدَّعوة السرِّية الإسماعيليَّة، ونشاطُه في إذاعتها بطريقة فعَّالة منظَّمة؛ بإنشاء دارٍ في القاهرة لبثِّ تعاليم هذا المذهب، وكان هذا المعهد الفذُّ الذي سُمِّيَ (دار الحكمة) مدرسةً عامَّةً يُفتح بابُها لكلِّ طالب، والتعليم فيها على نفقة الدولة، وكانت تعاليمها الدِّينيَّة التي اشتُقَّت من مبادئ عبد الله بن ميمون تسعَ مراتب؛ أي: بزيادة مرتبتَين على جمعيَّة ابن ميمون السرِّية.

وينقسم الطلَّاب فيها إلى قسمين كبيرين: العالم، والجاهل، ويُعتبر الدُّعاة من تلاميذ القسم الأوَّل، ويبدأ الدُّعاة بمناقشة الطالب في المسائل

الدِّينيَّة وتفاسير القرآن، ويعلمونه أنَّ مسائل الدِّين شديدةُ التعقيد تَنْبُو عن الذِّهن العادي، ولا يستطيع فهمَها إلَّا رجالٌ كالدُّعاة تبحَّروا في دروسها، ويأخذون عليه العهود بألَّا يُذيعَ شيئًا ممَّا يعلِّمونه من النظريَّات والشُّروح، وهذه هي **المرتبة الأولى**.

وفي **المرتبة الثانية** يعلَّم الطالبُ أنَّ كلَّ التفاسير والأحكام التي قالَ بها المجتهدون السابقون خاطئةٌ باطلة، وأنَّ الأحكام الصحيحة هي التي يقول بها الأئمَّة الذين تلقَّوها من الله، وفي **الثالثة** أنَّ هؤلاء هم أئمَّة الإسماعيليَّة؛ وهم سبعةٌ آخرُهم محمَّد بن إسماعيل.

وفي **الرابعة** أنَّ الأنبياء الذين تقدَّموا آل البيت سبعةٌ أيضًا: هم آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، والمسيح، ومحمَّد (النبيُّ العربيُّ ﷺ)، ثم محمَّد بن إسماعيل.

وفي **الخامسة** يبدأ الدُّعاة بتنفيذ مهمَّتهم الحقيقيَّة وهي هدم العقيدة الدِّينيَّة؛ فيعلِّمون الطالب ألَّا يؤمنَ بالسُّنة، وأن يرفضَ تعاليم محمَّد.

وفي **السادسة** أنَّ كلَّ الأديان وما أمرَت به من الفروض - كالصَّوم والصلاة وغيرها - إن هي إلَّا أكاذيبُ وحِيَلٌ ابتُكِرت لإخضاع المجتمعات البشريَّة، وأنَّ جميع الشرائع لا بُدَّ أن تخضعَ لشريعة العقل والعلم، ويدلِّلون على أقوالهم بنظريَّات أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس وأمثالهم.

وفي **السابعة** يلقَّن تعاليم الثَّنَوِيَّة؛ وبذلك تُهدم وَحدةُ الإله وهي فكرة الإسلام الجوهريَّة.

وفي **الثامنة** تُنقَض كلُّ صفات الألوهيَّة والنبوَّة، ويُعلَّم الطالب أنَّ الرُّسل الحقيقيِّين هم رسل العمل الذين يُعنَون بالشؤون الدُّنيويَّة كالنُّظُم السِّياسيَّة، وإنشاء الحكومات المُثلَى.

وفي **التاسعة** والأخيرة يدخل إلى حَظيرةِ الأسرار، ويعلَّم أنَّ كلَّ التعاليم الدِّينيَّة أوهامٌ محضَة، وأنَّه يجب ألَّا يتَّبعَ منها إلَّا ما هو لازمٌ لحفظ النِّظام بين الدَّهماء والعامَّة، ولكنَّ الرجل المستنير له أن يرفضَها جميعًا، وأنَّ إبراهيم وموسى والمسيح وغيرهم من الأنبياء ليسوا إلَّا رجالًا مستنيرين تفقَّهوا في المسائل الفلسفيَّة.

وهكذا يُهدَم كلُّ اعتقاد في الأديان المنزَّلة؛ فكانت المراتب الأخيرة تُستعمل لنقض المراتب الأولى! وقد كان الخداعُ في الواقع عِمادَ الدِّراسة في دار الحكمة، وكان الدُّعاة يتحدَّثون أمامَ كلِّ طائفة بما يُرضِيها ويتَّفق مع عقليَّتها وتعاليمها!

هكذا كان نظام الجمعيَّة السرِّية الهائلة التي نظَّمها الشِّيعة لهدم الدَّولة العبَّاسيَّة وما تستنِد إليه من التعاليم الدِّينيَّة وهدم كلِّ المعتقدات الدِّينيَّة من الأساس، وهو النِّظام الذي اتُّخِذ نموذجًا لإنشاء (الشُّعلة البافاريَّة) في القرن الثامن عشر، والذي يحملُ عليه فون هامار في كتابه عن الإسماعيليَّة في هذه العبارة القويَّة: «ألَّا يعتقدَ في شيء، وأن يقدِمَ على كلِّ شيء؛ هما خلاصة هذا النِّظام الذي هدمَ كلَّ مبدأ للدِّين والأخلاق، ولم يكُ يرمي إلَّا إلى تنفيذ المآرب والأطماع على يد وزراء هم خيرُ آلات لسياسة جهنَّميَّة، يقدِمون على كلِّ شيء ولا يعرفون شيئًا، يعتبرون كلَّ شيء خدعة، وكلَّ شيء مباحًا، نظام لا يعمل إلَّا لإطفاء شهوة التغلُّب التي لا يخمُد أُوارها بدلًا من أن يعملَ على تحقيق أمثَل الغاياتِ البشريَّة، وينحدِرُ إلى الهاوية؛ فيُقبرُ بين أطلال العُروش والهياكل، وأنقاض السعادة القوميَّة، ولعنات الإنسانيَّة بأسرِها».

وقد أسفرَت تعاليم دار الحكمة عن ظهور طائفة سرِّية جديدة هي طائفة

الدُّروز؛ أتباع إسماعيل الدُّرزي؛ وهو تركيٌّ دعا سنة ١٠١٦م في أحد مساجد القاهرة بألوهيَّة الحاكم وعبادته، وزعمَ الحاكم نفسُه في آخر عهده أنَّ الرُّوح القُدُس ماثِلةٌ في شخصه، وادَّعى الألوهيَّة ونظَّمَ وزيره الفارسيُّ حمزة بن عليٍّ رُسومَ هذا الدِّين الجديد، ثم قُتِلَ الحاكم بعد ذلك في كمين دبَّرته له أخته - على ما يُقال - وأخفِيَت جثَّته؛ فازدادَ أتباعه فتنةً، وزعموا أنَّه لم يَمُت ولكنَّه رُفِعَ إلى السماء ثم يعود ليُعاقب الكفرة، وصار هذا مذهبَ دروز الشام الذين حملَهم إسماعيل الدُّرزيُّ على اتِّباع تعاليمه.

وقد خرجَ الدُّروز في صَوغ مذهبهم عن تعاليم عبد الله ابن ميمون الأصليَّة؛ فهم دَهريَّةٌ يقولون بالحُلول، وأنَّ الله حكمة عامَّة تمثَّل في آلهة عِدَّة، وأنَّ الحاكم بأمر الله آخرُ هؤلاء الآلهة، وأنَّه يعود إلى الظهور حينما يَصِل الظُّلم في العالم غايتَه، فيفتتح العالم ويقضي على جميع الأديان الأخرى!

ومراتب الطائفة الدُّرزيَّة ثلاثة؛ هي: الجاهل، والجويد، والعاقل، ولهؤلاء تُكشَف أسرار المذهب تدريجيًّا، ويلتجئ الدُّعاة في ذلك إلى الرموز والإشارات الخفِيَّة؛ حرصًا على كتمان الأسرار والتعاليم، ويتَّبعون خُطَّة الإسماعيليَّة في نشر دعوتهم بين أبناء الدِّيانات الأخرى؛ فيتظاهرون أمامَ المسلمين بأنَّهم يؤمنون بمحمَّد، وأمام النصارى بأنَّهم يؤمنون بالمسيح، ويبرِّرون هذا المسلك بأنَّه واجبٌ ألَّا تُكشفَ أسرار مذهبهم إلى أسود أو كافر.

ومَن عاداتهم أنَّهم يجتمعون نساءً ورجالًا؛ ليتحدَّثوا في الشؤون الدِّينيَّة والسِّياسيَّة، بَيْدَ أنَّه لا يجوز لعاقل أن يشتركَ في تقرير الأمور، وتُشبه رموزهم وإشاراتهم في التعارف رموزَ البناء الحُر.

والدُّروز طائفةٌ صغيرة، لم تلعَب دَورًا كبيرًا في الثورة على الإسلام كباقي الشُّعَب الإسماعيليَّة».



دعاة الدُّروز

- ١ -

وقال الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه "تاريخ الدَّولة الفاطميَّة" ؛ بعنوان (الدُّرزيَّة) (ص٣٥٤):

«قامت في العصر الفاطمي طائفةٌ من غُلاة دُعاة الإسماعيليَّة ألَّهوا الحاكم، وخرجوا بذلك على السواد الأعظم من الإسماعيليِّين المعتدلين الذين يمثِّلون المدرسة الإسماعيليَّة القديمة، وقامت هذه الحركة على أيدي الفُرس الذين كانوا يقدِّسون ملوكهم، ويؤمنون بنظريَّة الحقِّ الملكيِّ المقدَّس، ومن أعظم هؤلاء الدُّعاة تأثيرًا في هذه الحركة حمزةُ بن عليٍّ الزَّوْزَني، والحسن بن حيدرة الفَرْغاني المعروف بالأخرم، ومحمَّد بن إسماعيل أنوشتكين البُخاريُّ الدُّرزي؛ الذين جهروا في مصر بتأليه الحاكم.

وفدَ حمزة بن عليٍّ على مصر في سنة **٤٠٥**هـ وانتظمَ في سِلك دُعاة الفُرس الذين كانوا يختلفون إلى دار الحكمة التي أسَّسها الحاكم سنة **٣٩٥**هـ، وأخذ ينشرُ في الخفاء الدَّعوة إلى تأليه الحاكم، ثم جهرَ بهذه الدَّعوة بعد أن لقيَ قَبولًا من ذلك الخليفة الفاطمي، وقد وصفَ النُّوَيرِيُّ الدَّورَ الذي قامَ به حمزةُ في بثِّ عقيدة تأليه الحاكم في هذه العبارة؛ قال: إنَّه ظهرَ من دُعاة الحاكم رجلٌ يُقال له: حمزة بن اللبَّاد الأعجميُّ الزَّوْزَني، ولازَمَ الجلوس في المسجد الذي بناه خارج باب النَّصر، وأظهرَ الدُّعاء إلى عبادة الحاكم، وأنَّ الإله حلَّ فيه، واجتمعَ إليه جماعةٌ من غُلاة الإسماعيليَّة، وتلقَّبَ بهادي المستجيبين، وكان الحاكم إذا رَكِبَ إلى تلك الجهة خرجَ إليه حمزة من المسجد وانفردَ به، وتمادى على ذلك وارتفعَ

شأنُه، واتَّخذَ لنفسه خواصَّ؛ لقَّبَ بعضهم بسفير القُدرة وجعلَه رسولًا له، وكان يرسله لأخذ البيعة على الرُّؤساء على اعتقاده في الحاكم، فلم يمكنهم مخالفتُه؛ خوفًا على نفوسهم من بَطشِه».

وفي سنة ٤٠٨هـ جهرَ حمزة بن عليٍّ بدعوة ألوهيَّة الحاكم، وصنَّفَ له كتابًا ذكرَ فيه أنَّ روحَ الله - سبحانه وتعالى - حلَّت في آدم - عليه السلام - ثم انتقلَت إلى عليِّ ابن أبي طالب، وأنَّ رُوح عليٍّ انتقلَت إلى العزيز، ثم إلى ابنه الحاكم؛ أي: إنَّ الحاكم قد أصبحَ في نظرهم إلهًا عن طريق الحُلول.

ويظهر أنَّ دعوة تأليه الحاكم التي قامَ بها حمزة بن عليٍّ قد أوهنَت صرحَ الدَّعوة الإسماعيليَّة المعتدلة في مصر، ولا غَرْوَ؛ فقد عملَ على أن يحُلَّ في رياسة هذه الدعوة محلَّ هتكين داعي دُعاة الإسماعيليَّة في هذه البلاد، ولولا مقاومة السُّنيِّين والمعتدلين من الإسماعيليَّة لآلَت رياسة الدَّعوة الإسماعيليَّة إلى حمزة منذ سنة ٤٠٨هـ.

وقد شجَّعَ الحاكم هذا الداعيَ وأنصارَه، حتى إنَّه كثيرًا ما يلتقي بهم في القَرافة، ويُظهر عطفَه عليهم وتودُّده إليهم، ويسأل حمزة عن عدد أنصاره ومدى ما وصلَ إليه في هذه الحركة من نجاح، وكان من أثرِ هذا التشجيع أن غَلا حمزة في تلقيب نفسِه بألقاب متعدِّدة مثل: الإمام، والدليل على عبادة الله، والداعي إلى توحيد الله، والناطق بحقِّ الله، والبرهان على الله، والداعي إلى توحيد الله، والرسول الذي أرسلَه الله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون، وأنَّه السبيل إلى معرفة مولانا - جلَّ ذكره - (أي: الحاكم)، والطريق إلى توحيده والحجَّة إلى عبادته.

ويعتبر حمزة بن عليٍّ المؤسِّسَ الحقيقيَّ لمذهب الدُّرزيَّة؛ فقد استغلَّ

الحسن بن حيدرة الفَرْغانيَّ الأخرم، ومحمَّد بن إسماعيل البخاريَّ الدُّرزيَّ في نشر عقائد هذا المذهب، وشجَّعَ الأخرم في سنة **٤٠٩**هـ على الجهر بتأليه الحاكم، وكان الأخرمُ مشهورًا بالجرأة والإقدام.

ويقول النُّوَيْرِي: ظهرَ رجلٌ يُقال له: حسن بن حيدرة الفَرْغانيُّ الأخرم يرى حلولَ الإله في الحاكم ويدعو إلى ذلك، ويتكلَّم في إبطال النبوَّة، فاستدعاه الحاكم وخلعَ عليه خِلَعًا سنيَّةً وحملَه على فرس مُسرَجة، وركبَه في موكبه في ثاني شهر رمضان، فبينما هو يسير في بعض الأيَّام تقدَّم إليه رجلٌ كَرْخِيٌّ فألقاه عن فرسه، ووالى الضرب عليه حتى قتلَه، وأُمسِكَ الكَرْخِيُّ فأمرَ الحاكم بقتله فقُتلَ لوقته، ونهبَ الناس دار الأخرم بالقاهرة، وكان بين الخَلع عليه وقتلِه ثمانيةُ أيَّام.

ويظهر أنَّ الأخرم قُتلَ بعد أن أثارَ هذه الاضطرابات في جامع عمرو، فقد ذهبَ على رأس خمسين رجلًا من أنصار حركة التأليه، ودخلوا الجامع راكبين دوابَّهم، وسلَّموا إلى القاضي السُّنيِّ ابن أبي العوَّام فتوى صدرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم، وأثار الأخرم بذلك حَنَقَ المصريِّين السُّنيِّين، فانقضُّوا عليه وعلى رجاله وفتكوا بهم، وتمكَّنَ هو من الهرب ولكنَّه قُتِل بعد قليل.



دعاة الدُّروز
- ٢ -

وقال الأستاذ محمَّد عبد الله عنان في كتابه "الحاكم بأمر الله، وأسرار الدَّعوة الفاطميَّة" (ص٣١٤):

«**الفصل الخامس: مذهب الدُّروز:**

إغراق الدَّعوة الإلحاديَّة. كون الدُّعاة من الأجانب. فارس مهد الثورة على الإسلام. مقاومة المجتمع المصري للدَّعوة. مذهب الدُّروز. مبادئُهم الجوهريَّة. تظاهرهم بمختلِف الأديان. موقفهم من الإسلام. دعوى الألوهيَّة البشريَّة. كيف يشرحها الداعي. الدُّروز والقرآن. حرصهم على كتمان عقائدهم. العُقلاء والجُهلاء. اجتماع الخَلَوات. بعض صفات العُقلاء. بعض رسومهم في الزواج والمواريث. إجازتهم للرَّهبَنة. استسلامهم للقَدَر. الدُّروز ليسوا عربًا. مَن هو مؤسِّس المذهب الحقيقي. حمزة والدُّرزي. حمزة إمام المذهب الحقيقي. ضعف الدَّعوة وسقمها. تبرُّؤ مصر والخلافة الفاطميَّة منها. سِجِلُّ التبرُّؤ في عهد الخليفة الظاهر. طائفة النُّصيريَّة.

هذا ما وَسِعَ المقام عرضَه من أصول تلك الدَّعوة الإلحاديَّة الغريبة التي وضعَها حمزة بن عليٍّ وصحبُه، وهذا ما وَسِعَ استعراضُه من وثائقها وشروحها، وإنَّها لصفحة من أغرب صفحات الثورة على الإسلام وأشدِّها غلوًّا وإغراقًا.

ولقد عرفَ الإسلام منذ عصره الأوَّل كثيرًا من هذه الحركات الثوريَّة الملحدة السرِّية والعلنيَّة، وعرفَ كثيرًا من الفِرَقِ الخارجة المنكَرة التي يستظلُّ معظمها بلِواء الشِّيعة والإمامة، وقد كانت النبوَّة في كثير من الأحيان

مثارَ الجدل أو موضع الادِّعاء».

وفي كتاب "كشف أسرار الباطنيَّة وأخبار القرامطة" (ص٢٠):

«**باب ذكر أبي سعيد الجَنَّابي لعنه الله:**

كان فيلسوفًا ملعونًا، مَلَكَ البحرين واليَمامةَ والأحساء، وادَّعى فيها أنَّه المهديُّ القائم بدين الله، فاستفتحَ ودخلَ مكَّة، وقتلَ الناس في المسجد الحرام، ومنعَ النَّاس من الحجِّ، واقتلعَ الرُّكن، وراحَ به إلى الأحساء، وقال في ذلك شعرًا:

ولو كانَ هذا البيتُ للهِ رَبِّنا … لَصَبَّ عَلينا النَّارَ من فَوقِنا صَبَّا
لأَنَّا حَجَجنا حَجَّةً جاهِليَّةً … مُجلَّلَةً لم نُبقِ شَرقًا ولا غَربًا
وإنَّا تَرَكنا بَينَ زَمزَمَ والصَّفا … جَنائِزَ لا تَبغِي سِوى رَبِّها رَبَّا

وله - لعنه الله - أشعارٌ في ذلك تركتُها اختصارًا، وكان دخوله مكَّة سنة سبع عشرة وثلاثمئة، وقتلَ فيها ثلاثة عشر ألفًا؛ عليه لعنة الله!

ذِكرُ الحسن بن مِهران المعروف بالمقنَّع:

خرجَ فيما وراء النهر، وله أخبارٌ شنيعة، وكان فيلسوفًا ملعونًا، ذكروا أنَّه عمل قمرًا بالطِّلَّسْم يطلُع في السنة أربعين ليلة، ولقد كنت أُكَذِّب ذلك حتى صحَّحَه لي جماعةٌ من أهل خُراسان، وذكروا أنَّه بنى حِصنًا وعمل فيه لَوالبَ، فكان المسلمون إذا أتَوا لقتاله قُذفوا بالحجارة، ولا يدرون من أين يُقذفون؛ فمالَ إليه خلقٌ كثير، حتى بعثَ الله عليهم غلامًا حكيمًا، فأمرَ المسلمين أن يحفِروا حولَ الحصن؛ فوقعوا على اللَّوالب فأخرجوها، ودخلوا عليه فقتلوه، وقيل: إنَّه أحرقَ نفسَه قبل دخولهم عليه، فأمكنَ الله - سبحانه وتعالى - منه.

باب ذكر محمَّد بن زكريَّا لعنه الله:

أحسب أنَّ اسمه زَكْرَوَيه بن مِهْرَوَيه القِرمِطي؛ وكان قد خرجَ بالكوفة؛ فخرجَ إليه المكتفي أمير المؤمنين من بني العبَّاس فقتلَه، لعنَه الله ولا رحمَه.

باب ذكر عليِّ بن فضل الجَدَني لعنه الله:

من ذرِّيَّة ذي جَدَن، والأَجْدُون من سَبَا صُهَيب، وأصلُه من جَيْشان، وكان في أوَّله ينتحل الاثني عشريَّة، فخرجَ للحج، ثم زارَ قبر النبيِّ ﷺ، ثم مضى إلى الكوفة؛ لزيارة قبر الحسين بن عليٍّ ﵁، فلمَّا وصلَ الكوفة وزارَ قبر الحسين ﵁ بكى بكاءً شديدًا، وجعلَ ينوح ويقول: بأبي أنت يا ابن الزهراء! المضرَّج بالدِّماء! الممنوع من شُرب الماء!

وكان ميمون القدَّاح على القبر وولده عُبيد، فلمَّا أبصرا به سرَّهما وطَمِعا به، وعلِما أنَّه ممَّن يميل إليهما ويدخل في نامُوسِهما، فقال ميمون: أيُّها الشابُّ، ما كنت تفعل لو رأيتَ صاحب هذا القبر؟

قال: إذًا والله أضع له خدِّي، وأُجاهد بين يدَيه حتى أموتَ شهيدًا.

فقال له ميمون: أتظنُّ أنَّ الله قطعَ هذا الأمر؟

قال له عليُّ بن فضل: لا؛ ولكن لا أعلم ذلك، فهل عندك منه خبر أيُّها الشيخ؟

ثم كشفَ له أمر مذهبه - لعنهما الله - فأصغى إليه واشرأبَّ قلبُه، وتلقَّى كلامه بالقَبول، وقال له علي: والله إنَّ الفُرصة مُمكِنةٌ باليمن، وإنَّ الذي تدعو إليه جائز هنالك وناموسُنا يمشي عليهم؛ وذلك لِمَا أعرف فيهم من ضعف الأحلام، وتشتيت الرأي، وقلَّة المعرفة بأحكام الشَّريعة المحمَّديَّة.

فقال له ميمون: أنا موجِّهك، والمنصور بن الحسن بن زاذان، وكان يُنسب إلى وَلَدِ مسلم بن عَقيل بن أبي طالب، وكان أبوه ممَّن ينتحل مذهب الشِّيعة الاثني عشريَّة، وكان من أهل الضلال، وكان من أهل الكوفة، فلمَّا دخلَ ميمون الكوفة ظَفِرَ بالحسن بن زاذان، فجعلَ ميمون يلطُف به ويرفُق، فيكشف له مذاهب الفلاسفة ومقالاتهم، فلم يزل به حتى قَبِلَ منه ورَكَن إلى قوله، وما زالَ به حتى مالَ إلى معتقده، وصارَ من دعاته الذين يدعون إليه وإلى ولده.

قال المنصور: فكنت أنا وعليُّ بن فضل وعُبيد لا نزال نُكثر المذاكرة في مجلس الشيخ، وكان يقول: عند تمام الوقت ومُضِيِّ ستَّة أدوار من الهجرة المحمَّديَّة، أبعثُكما إلى اليمن؛ تدعوان إلى ولدي هذا؛ فسيكون له ولذرِّيته عزٌّ وسُلطان.

وأخذَ عليَّ وعلى عليِّ بن فضل العهود والمواثيق لولده، فلمَّا كان أَوانُ خروجنا قالَ لنا ميمون: هذا هو الوقت الذي كنَّا ننتظره فاخرُجا في هذا الموسم، ثم وجَّهنا إلى اليمن نتظاهر بالحجِّ وعَهِدَ إلينا، ثم خلا بي وأوصاني بالاستتار حتى أبلُغَ مُرادي.

فلمَّا خرج عليُّ بن فضل مع الحاجِّ هو والمنصور، وصارا في غُلافِقَة افترَقا، وقالَ كلٌّ منهما لصاحبه: أعلمني بأمرك وما يكون منك؛ فوصلَ المنصور إلى الجَنَد، وصاحبُ الأمر يومئذ جعفر بن إبراهيم المناخي، وخرجَ عليُّ بن فضل إلى ناحية جَيْشان، فأمَّا المنصور فإنَّ ميمونًا كان قد قالَ له: لا يظهَر أمرُك إلَّا من موضع يُقال له: عَدَنُ لاعَة؛ فإنَّه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك، وإنَّما دلَّه على ذلك الفلسفة».

وقال محمَّد علي الزعبي في كتابه "الدُّروز ظاهرهم وباطنهم" - وهو

يدافع بحماسٍ وعنف عن الدُّروز ويُطريهم في كتابه هذا[1] - (ص**٣٦-٤٠**): «أنوشتكين الدُّرزي قطبُ الجمعيَّة اليهوديَّة الخفيَّة. العفو المشبوه. أدعياء العروبة. الدرزي في عهد الحاكم. لصَّان يتشاجَران. الموحِّدون يقتلون الدُّرزي».

❀ ❀ ❀

قطب الجمعيَّة اليهوديَّة الخفيَّة

هو محمَّد بن إسماعيل الدُّرزيُّ، أحدُ أركان القوَّة الخفيَّة اليهوديَّة، التي لا همَّ لها إلَّا مناوشة المسيحيَّة والإسلام؛ تنفيذًا لمناهج اليهود المعلومة، هبطَ الدُّرزيُّ قطرَ الشام فاستعانَ بمعارضي العهد الفاطمي، وأسعرَ ثورة، فسلخَ شطرًا من هذا القُطر، وربطَه بمعاهدة دفاع مع القرامطة الذين غَزَوا بغداد ودمشق والقاهرة ومكَّة، وقتلوا بعض الحجَّاج عام **٣١٧**هـ.

العفو المشبوه:

أرسلَ الملك الفاطميُّ العزيز بالله صاحب قُطر الشام إذ ذاك قائدَه جوهرَ الصِّقِلِّي؛ لانتزاع الشام من براثن الدُّرزيِّ وحُلَفائه، ثم حضرَ بنفسه كنجدة؛ فقضى على الفتنة بعد صراع دامَ سبعة عشر شهرًا، وساقَ الدُّرزيَّ أسيرًا للقاهرة وهناك عفا عنه وأطلقَه عام **٣٦٨**هـ**!!**

وقد أثارَ هذا العفو كثيرًا من التساؤلات، ورسمَ الواعون حولَه شتَّى إشارات الاستفهام، وكتبَ الشريف أبو إسماعيل إبراهيم الرئيس للعزيز ما نصُّه: يا مولانا لقد استحقَّ هذا الكافر - أنوشتكين - كلَّ عذاب، والعجب من الإحسان إليه!

فاعتذرَ العزيز وبرَّرَ موقفه بقوله: عاهدتُّ الله لئن نصرني لأعفونَّ عنه.

---

(١) انظر ما تقدَّم (ص ٣٤٦). (الألوكة).

والذي نتحقَّقه أنَّ هذا العفو لم يكن إلَّا نتيجةً لسعي الهياكل الخفيَّة، إذ تحقَّقنا من ترجمة ابن كِلِّس أنَّ تلك الهياكل تعيش لخدمة الذين ينفِّذون مناهجها في الكيد للعرب والإسلام.

أدعياء العروبة:

عاشَ أنوشتكين الدُّرزيُّ في القاهرة ينشر في الهياكل آراءه اليهوديَّة، فلا عجبَ أن يردِّدَ صوته الشُّعوبيُّون وذوو العروبة المدخولة، لا سيَّما من إخوانه في القوَّة الخفِيَّة، وقد عُرفَ أنصاره باسم (دُرزيُّون) أو (دُروز) فرأى التاريخ إطلاقَ هذه الكلمة لأوَّل مرَّة أواخرَ القرن الرابع الهجري.

الدُّرزيُّ في عهد الحاكم:

اغتنمَ الدُّرزيُّ فرصةَ وفاة العزيز وطفولة الحاكم؛ فألقى على لسان تلميذه حسين بن حَيدرةَ الفَرْغانيِّ محاضرةً ترفع من شأن الحاكم وتكاد ترشِّحه لمقام الألوهيَّة، وما كادَ ينتهي المحاضر حتى أرداه شخصٌ يدعى الكَرْخيَّ قتيلًا عام ٤٠٩هـ.

وقد استجلى التحقيق الخفايا وأظهرَ الأسرار؛ فكان أوَّل المَدِينِين الدُّرزي وابن كِلِّس.

لصَّان يتشاجران:

تشاجرَ اللِّصَّان وظهرَ المسروق؛ فقال الدُّرزيُّ عن ابن كِلِّس: يشتغل لمصلحة الروم، وقال عنه ابن كِلِّس: يشتغل لجمعيَّة خفيَّة يُخشى خطرُها.

الموحِّدون يقتلون الدُّرزي:

تحقَّق الحاكم سوءَ نيَّة الدُّرزي؛ فقتلَه بسيف الموحِّدين، واستعانَ الحاكم بوزيره حمزة بن علي؛ ليُعيد أولئك المخدوعين بفتنة أنوشتكين إلى

جادَّة الصواب؛ فكتبَ حمزة رسائلَ كثيرة وأرسلَها لوادي التَّيم؛ حيث يحُلُّ بعض تلاميذ أنوشتكين، وخلاصة هذه الرسائل:

«لا خالق ولا معبود إلَّا الله، لا نبيَّ ولا رسول بعد سيِّدنا محمَّد ﷺ، القرآن كتاب معصوم معجِز، والإيمان به يقتضي القيامَ بالأركان والوقوفَ عند حدوده».

هذه حقيقة أنوشتكين الدُّرزي، ولا يضرُّنا بعد هذا تحقيقُ اشتقاق نسبته؛ إذ رآه بعضهم منسوبًا لمهنة الخِياطة (ترزي، درزي)، أو لبلدة (طيروز)، أو لأنَّه كان يتهاون بالصلاة فيقول: شُغلت بدَرسي فعُرفَ بدرسي؛ إذ مهما حامَ حوله من ألقاب فهو شخصٌ يتكلَّم العربيَّة، يُظهر الإسلام ويُضمر المجوسيَّة، ويسير بتوجيه الهياكل الخفيَّة.

وبسبب قتله وقتل ابن كِلِّس نشطَت الألسنة اليهوديَّة والمجوسيَّة؛ فألصق بعضُها بالحاكم المثالب والمعائب، وبعضُها منحَه مقام الألوهيَّة، والفريقان يهدفان لهدم العرش الفاطميِّ وعودة المسلمين لنواويس الجاهليَّة، هذا هو أنوشتكين الدُّرزي الذي ظلمَ التاريخ بعض إخواننا الموحِّدين، واشتقَّ لقبهم من كنيسة، وقد كانت كلمة أنوشتكين إذ ذاك معروفةً مطلقةً على عِدَّة شخصيَّات.

إنَّ الأدلَّة الثابتة والقرائن القطعيَّة تُدين محمَّد بن إسماعيل الدُّرزيَّ وحدَه في تمثيل ذاك الدَّور الخَطِر.

أجل؛ هذا هو محمَّد بن إسماعيل الدُّرزيُّ المشهور بأنوشتكين الدُّرزي، الذي أمرَ بقتله ومُلاحقة أتباعه الملك الفاطميُّ أبو عليٍّ منصور المعروف بالحاكم بأمر الله».

وفي كتاب "الدُّروز ظاهرهم وباطنهم" (ص٥٢، ٥٣) أيضًا:

«**الدال المجرمة:**

سبحان الله**!** كم يغيِّر تشابه الأسماء والألقاب من حقائق**!** لقد عاصرَ حمزة بن عليٍّ ربيبًا للحاكم يُدعى أنوشتكين الدُّرزيَّ بضم الدال، وكان هذا يؤيِّد حمزة في مطاردته أنوشتكين الدَّرزيَّ بفتح الدال.

ثم رأينا في عهد المستنصر حفيد الحاكم قائدًا يدعى أنونجور الدُّرزي بضمِّ الدال، وهذا من مؤيِّدي تلاميذ حمزة، وقد مرَّ خمسة قرون بعد حمزة، والناس يُدركون الفرقَ بين الدال المضمومة والمفتوحة، ويقصدون بالأولى النِّسبة لأنوشتكين وأنونجور المؤمنَين، وبالثانية النِّسبة لأنوشتكين المجوسيِّ القِرمِطيِّ اليهوديِّ الخفي، الذي نفَّذَ منهاج عبد الله بن سبأ بدهاء لم يَرَ له التاريخ مثيلًا.

أجل؛ خمسة قرون تنتهي في القرن العاشر الهجري ودخول السُّلطان سليم قُطرَ الشام والناس - إلَّا أقلَّهم - يدركون الفرق بين مدلولَي هذين الدالين، توارى في العصر التُّركيِّ من هذه الدِّيار مدارسها وعلماؤها ومحقِّقوها، وعاشَ الناس إمَّا جُهَّالًا عميانًا، أو يدركون حقائق الأمور ولا ينسبون إلَّا بما يوافق أهواء الدَّولة.

وفي ليل هذا الجهل وظُلمة الاستبداد رأينا قومًا جهِلوا الفَرقَ بين الدالَين، وقومًا تعمَّدوا الجهل فشرعوا ينسُبون الموحِّدين الإسماعيليِّين المسلمين تلاميذ حمزة لأنوشتكين الدُّرزي، بل انغمسَ بعض كُتَّاب أو موجِّهي تلك العصور المظلِمة في الجريمة المميتة؛ ألا وهي الظنُّ بأنَّ حمزة ابن عليٍّ نفسَه هو أنوشتكين الدَّرزي، أو هو من جمعيَّة القوَّة الخفيَّة (الماسون).

ولا ريبَ أنَّ العامَّة في كلِّ زمنٍ يظنُّون كلَّ ما قاله الكاتب معصومًا، لا

سيَّما إذا كان موظَّفًا؛ ولذا شرعوا منذ أوَّل العصر التركيِّ يُطلقون على الموحِّدين كلمة (دُروز)».

قال ابن كثير في "البداية والنِّهاية" (١٤/ ٨٣، ٨٤) في حوادث سنة ٧١٧هـ:

«**صِفة خروج المهديِّ الضالِّ بأرض جَبَلَة:**

في هذه السنة خرجت النُّصيريَّة عن الطاعة، وكان من بينهم رجلٌ سمَّوه محمَّد بن الحسن المهديَّ القائمَ بأمر الله، وتارةً يُدعى عليَّ بن أبي طالب فاطرَ السماوات والأرض، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا، وتارةً يدَّعي أنَّه محمَّد بن عبد الله صاحب البلاد.

وخرج يكفِّر المسلمين، وأنَّ النُّصيريَّة على الحق، واحتوى هذا الرجل على عقول كثيرٍ من كبار النُّصيريَّة الضُّلَّال، وعيَّنَ لكلِّ إنسان منهم تقدِمةَ ألف وبلادًا كثيرة ونِيابات، وحملوا على مدينة جَبَلَة، فدخلوها وقتلوا خلقًا من أهلها، وخرجوا منها يقولون: لا إله إلَّا علي، ولا حجابَ إلَّا محمَّد، ولا باب إلَّا سلمان، وسَبُّوا الشيخَين.

وصاحَ أهل البلد: وإسلاماه! واسُلطاناه! واأميراه! فلم يكن لهم يومئذٍ ناصر ولا منجِد، وجعلوا يبكون ويتضرَّعون إلى الله ﷻ، فجمعَ هذا الضالُّ تلك الأموال فقسَّمها على أصحابه وأتباعه؛ قبَّحهم الله أجمعين!

وقال: لم يبقَ للمسلمين ذكرٌ ولا دولة، ولو لم يبقَ معي سوى عشرةِ نفرٍ لمَلَكنا البلاد كلَّها، ونادى في تلك البلاد: إنَّ المُقاسمةَ بالعُشر لا غير؛ ليُرغَب فيه، وأمرَ أصحابَه بخراب المساجد واتِّخاذها خمَّارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين: قُل: لا إله إلَّا علي، واسجُد لإلهك المهديِّ الذي يُحيي ويُميت؛ حتى يحقِنَ دمَكَ ويكتبَ لك فَرَمان، وتجهَّزوا

وعملوا أمرًا عظيمًا جدًّا؛ فجُرِّدت إليهم العساكر، فهزموهم وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وجمًّا غفيرًا، وقُتلَ المهديُّ أضلُّهم».

وقال الأستاذ محمَّد عنان في كتابه "تاريخ الجمعيَّات السرِّية والحركات الهدَّامة" (ص٥٤، ٥٥): «هذا هو تاريخ الثورة على الإسلام، وهي ثورة أُشهرت عليه منذ نشأته؛ تارةً في الجهر وتارةً في الخفاء، غيرَ أنَّها كانت في جميع أطوارها ترمي إلى هدم تعاليم الإسلام الأولى، وتحريفها بما يُلائم مطامع الخارجين والدُّعاة؛ توصُّلًا إلى نَيل المُلك في النِّهاية.

وقد فازت هذه الثورة بغاياتها أيَّما فَوز؛ فمزَّقت وَحدةَ الإسلام منذ البداية، وشطرَت جبهتَه الموحَّدة إلى دُوَل عِدَّة، وسحقَت تعاليمه في كثيرٍ من العصور والدُّوَل، وأقامَت فوقَ أنقاض هذه التعاليم مجتمعاتٍ جديدة؛ تستتر مع ذلك بمبادئ الإسلام، وتشقُّ طريقَها إلى السُّلطان باسمه، وهي لا تكاد تحتفظ بشيء من أصوله وتعاليمه، بل من الصعب أن تُعتبرَ في عُرف المحافظين وجهابذة السُّنَّة مسلمة.

فقد كانت مبادئ ابن ميمون على ما رأينا مادِّيَّةً محضَة، عريقةً في الإنكار والإلحاد، تستند إلى تعاليم الوثنيَّة واليهوديَّة والمسيحيَّة - وبالأخصِّ إلى الفلسفة اليونانيَّة - أكثرَ ممَّا تستند إلى مبدأ من مبادئ الإسلام.

وهذه المبادئ المادِّيَّة التي ترمي - كما رأينا - إلى سحق جميع تعاليم الإسلام الدِّينيَّة والأخلاقيَّة هي عماد الثورة على الإسلام، وهي التي بُعِثَت بمجتمع القرامطة، وكانت مهدًا لقيام دار الحكمة».



ميثاقهم وما فيه من الضَّلالات

يقول مؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك":

«**الميثاق**:

حسبُنا أن ننقُلَ للقارئ صورةً حرفيَّةً عن ميثاق وليِّ الزمان، وهو كالفاتحة لدى المسلمين، و«أبانا الذي في السماوات» لدى المسيحيِّين؛ يحفظه كلُّ موحِّد وموحِّدة بهذا النص:

«توكَّلت على مولانا الحاكم الأحد الفَرد، الصَّمد المنزَّه عن الأزواج والعدد، أقرَّ فلان بن فلان إقرارًا أوجبَه على نفسه، وأشهدَ به على رُوحه، في صحَّة من عقله وجوازِ أمره، طائعًا غيرَ مكرهٍ ولا مجبور - كذا بالأصل - أنَّه قد تبرَّأ من جميع المذاهب والمقالات، والأديان والمعتقَدات، كلِّها على اختلافاتها، وأنَّه لا يعرف شيئًا غيرَ طاعة مولانا الحاكم - جلَّ ذِكرُه - والطاعة هي العبادة، وأنَّه لا يشرك في عبادته أحدًا مضى أو حضر أو يُنتظر، وأنَّه قد سلَّمَ رُوحَه وجسمَه ومالَه وولدَه وجميعَ ما يملك لمولانا الحاكم جلَّ ذِكرُه، ورضيَ جميع أحكامه له أو عليه، غيرَ معترض ولا منكر لشيء من أفعاله؛ ساءه ذلك أم سرَّه.

ومتى رجعَ عن دين مولانا الحاكم جلَّ ذِكرُه؛ الذي كتبَه على نفسه وأشهدَ به على رُوحه، أو أشارَ به أو خالفَ شيئًا من أوامره - كان بريئًا من الباري العليِّ ذكرُه.

ومَن أقرَّ أن ليس له في السماء إلهٌ معبود، ولا في الأرض إمامٌ موجود، إلَّا مولانا الحاكم جلَّ ذكره - كان من الموحِّدين الفائزين» انتهى.

ثم يتحدَّث مؤلِّف كتاب "أيُّها الدُّرزي، عودةً إلى عَرينك" عن الميثاق، ثم يقول مكمِّلًا حديثَه عنه: «ها هو ذا الميثاق المفضي لعبادة الحاكم الذي استغلَّ به حمزة جهودَ الباطنيَّة قرونًا، وقطفَ ما زرعته أجيالًا، وقد رأينا جميع الرسائل تحثُّ على التمسُّك بحروفه، وتذكِّر قُرَّاءَها بنصوصه، وتهدِّد الذين لا يحافظون عليه بعواقبَ كعواقبِ الذين لا يحفظون الأسرار:

١- ففي "رسالة الإعذار والإنذار" مثلًا: «أبعدَ كتبِ الميثاق، وتوحيدِ الخالق الرزَّاق، ترجعون إلى عبادة العبيد؟... فيا لها من سُنَّةٍ ما أغواها، ومن بصائرَ ما أعماها، ومن نفوسٍ عدِمت هُداها... فالجاحد بعد الإقرار، أشدُّ جهلًا من الحمار».

٢- وفي "رسالة مُناجاة وليِّ الحق": «وأنِسَ بك الموقنون بعَهدِك، والمؤمنون بميثاقك وعَقْدِك».

٣- وفي "رسالة الغَيبة": «أقررتُم بتوحيده، وأشهدتُّم على أنفسكم بالبراءة ممَّن دونَه في الميثاق، الشديد الوَثاق».

٤- وفي "مُناجاة وليِّ الحق": «وانصُرنا على أعدائك المارقين، الجاحدين الناكثين؛ الذين نكثوا عهدك، وجحَدوا ميثاقَك».



من "مذكِّرات كمال جنبلاط": وكان الدُّروز

- ١ -

أنا دُرزي، تتَّصل أَرُومَتُنا اللُّبنانيَّة بالمختارة، تلك القرية الشُّوفيَّة الصغيرة التي يقع فيها قصرُ عائلتنا، وغالبًا ما أسمَّى أنا هنا بسيِّد المختارة؛ حيث إنَّ البعض يضع في التسمية ظلالَ سخريةٍ كما لو كان ذلك يتناقض مع واقع كوني زعيمًا تقدُّميًّا، وأنا أقبلُ هذا النعت وأطَّرح النوايا، فلا بُدَّ للمرء من أن يكونَ سيِّدًا بالمعنى الحقيقيِّ للكلمة؛ ذلك أنَّ معنى كلِّ حياة هو أن يكونَ المرء سيِّد نفسِه.

والمختارة المتشبِّثة بصخورها هي مقرُّ بني عليٍّ، مراحل عبرَ مئتين وخمسين سنة من التاريخ، فقد حلَّ أجدادنا الذين هبطوا من شَمال سوريا أوَّلَ ما حلُّوا في مزرعة الشُّوف لاجئين في مغارة صغيرة.

حدث ذلك بُعَيدَ قيام أحد أجدادنا وهو الأمير جانبولاد - الاسم الكرديُّ لعائلتنا - بإنشاء إمارة كبيرة - أي: مملكة صغيرة - في شَمال سوريا؛ تشمل: حِمصَ وحَماةَ وحلبَ ودمشقَ وجزءًا من تركيا الأناضوليَّة، وقد أفلحَ في الحفاظ على استقلال إمارته بضع سنوات، وعقدَ عِدَّة معاهدات مع الفاتيكان ودُوقيَّة نوسكانا! وأسبانيا والدُّويلات المسيحيَّة التي كانت قائمةً آنذاك، متلقِّيًا في مقابل ذلك دعمًا سياسيًّا وعسكريًّا؛ كالمدافع، وبعض الأسلحة الأخرى.

ظلَّت المعاهدة التي عقدَها مع دُوقيَّة نوسكانا شهيرةً في تاريخ هذه المنطقة الصغيرة، كما كان يبدو على أوربَّا الاهتمام بقيام هذه الإمارة على حيِّزٍ من المكان طالما اكتسى أهميَّةً! استراتيجيَّة كبرى عبر التاريخ.

كان جدِّي علي جانبولاد أوَّلَ من منحَ مسيحيِّي سوريا في الشرق حَصانةً، وأولاهم ذاتَ الحقوق ونفسَ الحريَّات التي كانت لبقيَّة الرَّعايا العثمانيِّين، وكان يستقبل السُّفَراء في بَلاطه، كما سكَّ النقودَ باسمه، ولكنَّه عُزِلَ في النِّهاية بعد أن هزمَه جيشٌ تركيٌّ قوامُه (٣٠٠٠٠٠) جندي، يقوده الصَّدر الأعظم نفسُه.

وهكذا وجدَ نفسه لاجئًا في مزرعة الشُّوف مع عائلته الصغيرة، وأصبحَ أعزل مجرَّدًا من كلِّ شيء؛ ذلك أنَّه جرت مصادرة كافَّة أملاكنا في سوريا، ولم يبقَ لنا سوى مقرٍّ أسلافنا من العائلة الجانبولاديَّة.

غير أنَّ جدًّا آخر من أجدادنا هو رَباح جانبولاد عادَ فتزوَّجَ من فتاة ثريَّة من آل القاضي، كانت وحيدةَ ذويها؛ الذين كانوا دروزًا، ويسيطرون على كامل الصُّقع اجتماعيًّا ودينيًّا، وبعد وفاة والد تلك الفتاة أفضَت أيلولة ذلك كلِّه إلى يدي علي جانبولاد؛ حيث بِتنا نمتلك قليلًا من خيرات هذا البلد.

ثم إنَّ جدًّا آخر من أجدادنا هو الشيخ علي جانبولاد اكتسبَ بعد ذلك نفوذًا كبيرًا؛ فقد كان رجلاً حكيمًا، كما كان إلى ذلك (شيخَ مشايخ) وَفقًا للتسمية التي تُطلق على الرجل المقدَّم من رجال الدِّين الدُّروز؛ بمعنى: أنَّه كان رئيسَ المشايخ الأربعة الآخرين، ومن هنا جاءَ لقب شيخ عَقْلِ الدُّروز.

وقد حقَّق لنفسه بعضَ الشُّهرة؛ نتيجةً لعاداته الدُّرزيَّة الأصيلة وتُقاه وحكمته؛ الأمر الذي أتاحَ له أن يحظى بوزنٍ سياسيٍّ مُهِم؛ فقد كان أقربَ إلى أن يكونَ حكمًا بين أمراء تلك الحِقبة؛ أي: بين الأمراء الشِّهابيِّين، الذين لم يكونوا ينفكُّون عن الشِّجار والتناحُر فيما بينهم.

وكان يوفَّق في بعض الأحيان إلى أن يفرضَ السلام في وادي الشُّوف الكبير الذي لجأ الدُّروز إليه تدريجيًّا عبر التاريخ، فقد كان الرُّوَّاد الأوائل

قد استقرُّوا في وادي التَّيم؛ أي: في منطقة راشَيَّا حاصبَيَّا، وهو وادٍ كبير آخر يقع على سفح سلسلة جبال لبنان الشرقيَّة، ويشكِّل هذا الوادي استمرارًا لوادي البِقاع، وجدَ الدُّروز فيه المهدَ الحقيقيَّ الذي احتضنَ مذهبهم، ومن وادي التَّيم راحَ الدُّروز يتغلغلون باتِّجاه هذه المنطقة الشُّوفيَّة مُزيحين عنها الشِّيعة الذين كانوا قد سبقوهم إليها.

الدُّروز والحركة الحاسمة مع جنود إبراهيم باشا:

ثم إنَّ بعضًا آخر من أجدادنا جاؤوا واستقرُّوا في منطقة سنِّ الفيل القريبةِ من بيروت، منتشرين حتى المتن الأعلى ووادي حمانا الذي احتلُّوا كلا جانبَيه، إلى حدود منطقة كِسِروان التي تلي بِكفَيَّا وبيت مري، وقد عاشوا هناك بضعةَ عقود من السِّنين قبل أن ينتصرَ عليهم مماليك إبراهيم باشا والي مصر ويُثخن فيهم، كان ذلك في عام **١٥٨٥**م حيثُ لاقى نحوٌ من (**٦٠٠٠٠**) درزيٍّ حتفهم، إلَّا أنَّ عددًا آخر من الدُّروز اتَّخذ لنفسه في تلك الحِقبة ذاتها موطئ قدم في منطقة الغرب المحيطة بعاليه، وهكذا فقد راحوا يتغلغلون في الجبل في حوالي سنة ألف.

وقد بدأت عائلتنا بحكم لبنان في أيام الأمير فخر الدين، ثم راحت تزداد بعد ذلك قوةً على قوة، لكن متى تراها اعتنقت المذهب الدرزي؟ إنَّا لا نعرف لذلك أجلًا ثابتًا؛ ذلك أنَّ العقيدة الدُّرزية بالغة الوضوح بهذا الصدد، فمن المتعارف عليه أنه ليس لِمَن لا ينتمي إلى هذه النِّحلة الباطنية أن ينتحلها ويصير درزيًّا، ثم إن باب الدعوة لم يفتح إلا إبان خلافة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في حدود السنة ألف، ثم أُقْفِل باب الدعوة بعد ذلك.

وإذًا فلعلَّ أجدادنا كانوا قد سبقوا إلى المذهب الدُّرزي يوم كانوا لا

يزالون يعيشون في منطقة حلب، ومن شأن هذه الفرضيَّة أن تفسِّرَ وجود نحوٍ من (٦٠٠٠٠) درزيٍّ في هذه المنطقة من الأناضول في جنوبيِّ تركيا، ووجود (٢٠٠٠٠) درزيٍّ آخر في الشمال السوري (جبل علاء).

جدِّي كان يعطي النِّساء تعويذاتٍ تُساعدهن على الولادة:

وانطلاقًا من عهد الأمراء الشِّهابيِّين؛ أي: لثلاثمئة سنة خلَت بدأ الجنبلاطيُّون الخوضَ في غِمار السِّياسة اللُّبنانيَّة بصورة نَشِطة؛ إذ الواقع هو أنَّ هذا الأمر كان قد أصبحَ سُنَّة متَّبعة في العائلة، وإلى ذلك فقد كان بعضٌ من أبنائها أئمَّةً وأحبارًا - حرفيًّا بطاركة - من أحبار المذهب الدُّرزي، فقد اكتسبَ جدِّي الأعلى علي جنبلاط بنقاء سيرته شهرةً في التزهُّد الدِّيني؛ بحيث باتَ يُنسب إليه عددٌ من الكرامات؛ منها مثلًا: إعطاء الحوامل خِرقةً من قميصه تُساعدهنَّ في الوضع، فبِوسع كلِّ إنسان ذي نزاهة إزاء نفسه وإزاء ما يسمَّى بالله، أن ينجزَ آيةً أصيلةً تتوافق وحقيقته، وهذا ما يُطلق عليه عادةً اسم (المعجزة).

وإذًا فقد لعبَ أسلافنا دورًا كبيرًا إبَّان الحِقبة الشِّهابيَّة، بل الواقع هو أنَّهم هم الذين كانوا يحكمون لبنان حقيقةً إبَّانَ حكم الأمراء الشِّهابيِّين، على شاكلة ما كان الأمر بالنسبة لربشيليو في فرنسا، ومردُّ قناعتهم بهذا الدَّور هو أنَّ الإمارة تقتضي الانتماء إلى سلالة الأمراء الذين يحكمون لبنان، ولقد ضحِكَت لهم الأيَّام في بعض الأحيان، كما انقلبَت عليهم في أحايينَ أخرى عبرَ تاريخ هذا البلد الصغير.

وهكذا لعبَ الدُّروز عبر الجنبلاطيِّين وبعض العائلات الأخرى دورًا رئيسًا في تكوين ما يسمِّيه الأب يواكيم مبارك (استخلاص الفكرة اللُّبنانيَّة)؛ إذ الواقع هو أنَّ هذه الفكرة وهذا النُّزوع إلى الاستقلال إنَّما هو عمل

الدُّروز؛ باعتبار أنَّ هؤلاء كانوا يستطيعون أن يُبيحوا لأنفسهم باعتبارهم نِحلةً من النِّحَل الإسلاميَّة بعض الحرِّية إزاءَ الإسلام وإزاءَ الإمبراطوريَّة العثمانيَّة؛ الأمر الذي يمكِّنهم من تنظيم ضربٍ من الدَّولة الصغيرة المستقلَّة عن تركيا تلك الأيَّام، كما أنَّ كفاءاتهم القتاليَّة فرضَت احترامهم على الجميع، وإنَّما وضعَ أولى مَدامِيك لبنان السياسيِّ المستقلِّ بنو مَعْنٍ وبنو تَنُوخ، وهما عائلتان درزيَّتان حكمَتا لبنان كلتاهما منذ الألف الأوَّل للميلاد.

ولم تكن العائلات الدُّرزيَّة دائمة الاتِّفاق فيما بينها، إلَّا أنَّ المتنافسين كانوا يسرعون إلى التحالف بمجرد أن تطرأ أمورٌ تهدِّد مصير الدُّروز ومصير لبنان الذي كان في طَور التكوين، فإذ ذاك تصبح هذه الأُسَر كتلةً واحدة، وقد أباحوا وُلوجَ المَوارِنَة خاصَّة والمسيحيِّين عامَّة، إلى مناطق كِسِروان والمتن في شماليِّ جبل لبنان، وإلى منطقتَي عالية والشُّوف اللَّتين يشكِّل الدُّروز بنيتَهما السِّياسيَّة والقتاليَّة، وكان يَصِل ما بين هذه الإمارة نصفِ المستقلَّة وبين الإسلام السِّياسيِّ خضوعُها للباب العالي، وذلك في ذات الوقت الذي كانت تتمتَّع فيه باستقلالٍ ذاتيٍّ واسع، وكان من شأن هذا الاستقلال أنَّه كان يتَّسع أو ينحسر بحسَب المنحى الغائب، وبحسَب قوَّة أو وَهَن الإمبراطوريَّة العثمانيَّة، وبحسَب توازن القُوى في المنطقة.

وهكذا فقد لعبَ الدُّروز دَورًا مهمًّا في كلِّ ما كان من شأنه الحفاظُ على ضرب من ضروب الاستقلال، كما كانت وظيفتهم هي حمايةَ الساحل، والحفاظَ على مرافئ صَيْدا وصُور وبيروت من أيِّ هجوم خارجي.

كان المفروض قيام لبنان بغلَبة سياسيَّة دُرزيَّة ومحمَّديَّة:

ولقد كان ينبغي لهذه الفكرة السِّياسيَّة الدُّرزيَّة عن لبنان - أي: لبنان متعدِّد الطوائف بغلبة سياسيَّة دُرزيَّة ومحمَّديَّة - أن تكونَ في أساس ما سينشأ

لاحقًا، ويُطلق عليه بعد عام ١٩١٧م لبنان الكبير، كما كان ينبغي للبنان أن يقومَ على أساس ذلك المفهوم من الاستقلال الذاتيِّ الذي تمتَّعت به الإمارة العربيَّة عبر التاريخ، لكنَّ الأمور لم تجرِ على هذا المِنوال، بل جرى إنشاء نظام طائفيَّة سياسيَّة أحلَّ غَلَبَةً مارُونيَّة لا مبرِّر لها، بدلًا من إقامة دولة علمانيَّة، وقد كان بليَّةً كبرى وطامَّةً عظمى، والانتداب الفرنسيُّ مسؤول إلى حدٍّ بعيد عن هذا الزلل.

ثم إنَّ المَوارِنَة حسَّنوا الإدارة في الأمور الخاصَّة، وأساؤوها في الأمور العموميَّة؛ إذ تمتلكهم ذهنيَّةُ الطائفة والنِّحلة، والمصلحة والرِّبح.

أمَّا الدُّروز فإنَّهم لمَّا كانوا أرستقراطيَّة حربجيَّة فإنَّهم استدعَوا المَوارِنَة للعمل في أراضي منطقتهم الشاسعة؛ وبهذا أصبحَ المسيحيُّون يشكِّلون بصورة عامَّة اليدَ العاملة الزراعيَّة والمزارعة، وامتهنوا الحِرَف الصغيرة والتِّجارة، وإذًا فقد كانوا في تلك الفترة بروليتاريِّي لبنان الحقيقيِّين، وإن كانوا ينكرون اليوم تحدُّرهم هذا.

ولا يعود مردُّ هذا الوضع إلى عجز الدُّروز عن ممارسة الزراعة؛ بل إلى قلَّة عددهم التي ترتَّبت عن مجازر عام ١٥٨٥م، واضطلاعهم بدور يتجاوز أهميَّتهم العدديَّة بكثير، وإذًا فلم يكن ثمَّة ما يكفي من الدُّروز لزراعة كامل هذه الأرض اللبنانيَّة، أو جبل الدُّروز كما كان يتسمَّى في التاريخ.

ويُطلق الصهاينة على الدُّروز اسم (أقليَّة القرون الوسطى المقاتلة)؛ ذلك أنَّ تاريخهم كلَّه إنَّما هو عبارة عن حروبهم فيما بينهم أو صراعاتهم مع الشعوب الأخرى؛ لأجل الحفاظ على هذا المبدأ أو ذاك، أو لضمان التحالف مع هذا الوالي الذي يحكم دمشق ضدَّ ذاك الوالي الذي يحكم صَيْدا.

وقد لعبوا دور المشاة - المستنفَرين أبدًا - على هذا الساحل، ويعود السبب في أهميَّتهم السِّياسيَّة إلى وظيفتهم (الحربجيَّة)؛ فعندما كان يصيب هذه الوظيفة بعضُ التدهور، فإنَّ ذلك كان ينعكس على أهميَّتهم السِّياسيَّة.

وفي لبنان كان بنو جنبلاط بين أوائل من أنشؤوا أحزابًا سياسيَّة على مدى يشمل كافَّة المناطق من شمالها إلى جنوبها، وكان محازبوهم يُدعَون جنبلاطيين، وفي مواجهتهم كان هناك اليزبكيُّون، وهم حزب آخر ترأَّسه بنو عماد الذين كانوا يقطنون الباروك، وقبل الجنبلاطيِّين واليزبكيِّين كان هناك الأمراء الدُّروز من مَعْنِيِّين وتَنُوخِيِّين ومحازبوهم القيسيُّون واليمنيُّون.

وكان مردُّ هذه الحزبيَّة في تلك الفترة هو نوعٌ من التحالف الذي قامَ بين سادة المناطق، إلَّا أنَّ كافَّة اللبنانيِّين - سواء أكانوا مسيحيِّين أم سنَّة أم شيعة - كانوا متَّفقين على اعتبار هذه الأحزاب بمثابة التشكيلات السِّياسيَّة الشعبيَّة الأولى؛ وذلك بالنظر إلى أنَّها لم تكن تشمل الدُّروز وحدَهم؛ وإنَّما أبناء كافَّة الطوائف الأخرى أيضًا.

وكانت هذه الحركات تُرهِص وتمهِّد لنوع من عَلمَنة السِّياسة اللبنانيَّة، غير أنَّ هذا التمهيد توقَّفَ في أواسط القرن التاسع عشر؛ نتيجةً لظهور المَوارِنَة المفاجئ ظهورًا شوفينيًّا منكودًا داخل هذا المشروع الحكيم؛ ولهذا السبب فإنَّ المرء يجد بين الدُّروز أُناسًا ليبراليِّي العقليَّة، فخورين في الآن ذاته بطائفتهم وبميراثهم الدِّينيِّ والثقافيِّ والسِّياسي، دونَ أن يورثَهم ذلك الشُّوفينيَّة أو التعصُّب، فلقد طالما عُرفَ الدُّروز عبر التاريخ بعقليَّتهم اللِّيبراليَّة.

عودة إلى أحداث القرن الماضي، ما أشبهَ اليوم بالبارحة:

ثم جاءت أحداث السنوات الممتدَّة بين **١٨٤٢** و**١٨٦٠** وهي أحداثُ

تشبه إلى حدٍّ كبير أحداث هذه الأيَّام؛ إذ إنَّ ما حدثَ يومَها كان هجمةً شنَّها المَوارِنَة بقيادة الكهنوت؛ بغرض اكتساب امتيازات لم تكن لهم قبلَ ذلك، ولا سيَّما لجهة السُّلطة السِّياسيَّة، وقد انتهت تلك الأحداث عام ١٨٦٤ بتفتيت لبنان وتكوين مركز مارونيٍّ صغير يومَها، هو لبنان الصغير ذو الوجه المسيحي.

غير أنَّ هذا الصِّراع كان يرتدي في الآن نفسِه طابعًا اجتماعيًّا، فالمزارعون والغالبيَّة العظمى من الفلَّاحين المَوارِنَة كانوا يتطلَّعون إلى الانعِتاق من نِيرِ الدُّروز؛ ولهذا فإنَّ هذه الحروب كانت حروبًا دينيَّة واجتماعيَّة في آنٍ معًا، غير أنَّ سوء الحظِّ يشاء بكون الجانب الدِّينيِّ هو الذي غلبَ في النِّهاية، ومن هنا كان تقسيم البلاد.

ولقد شهِدَ عام ١٨٦٤ إثر التدخُّل العسكريِّ الفرنسيِّ لصالح الموارِنَة المغلوبين عسكريًّا تفتَّتَ الملكيَّة الكبرى الدُّرزيَّة؛ فقبل ذلك كان البِقاع كلُّه ملكًا لهم، ومعه قسم كبير من جنوب لبنان والمتن ومنطقة سهل بعبدا، بالإضافة إلى جزء كبير من بيروت التي لم تكن يومَها أكثر من مدينة صغيرة يتراوح تعدادُها بين (١٠٠٠٠) و(١٦٠٠٠) نسمة.

وبمواكبة هذا التفتُّت الذي لحِقَ بالمِلكيَّة الدُّرزيَّة الكبرى - أداةِ سيطرةِ الدُّروز - فإنَّ عام ١٨٦٤ شهِدَ كذلك اختفاء ما كان يسمَّى بإمارة لبنان التي كان الإقطاع السِّياسيُّ قاعدتها ودِعامتها الأساسيَّتين، وإذًا فإنَّ هذا الضرب من الثورة - أو بالأحرى من هذه العاميَّة الصغيرة - قد اتَّخذَ وجهًا طائفيًّا؛ للنظر إلى أنَّ الرؤساء السِّياسيِّين الموارِنَة دفعوه نحو هذا المنحدَر الذي لن يستطيعَ لبنان الخروج منه أبدًا.

وإذا كان من ميِّت قد ماتَ عام ١٨٦٤ فإنَّما هو البُنية الأساسيَّة للفكرة

اللبنانيَّة؛ أي: فكرة لبنان ذي نَزعَةٍ ليبراليَّةٍ ديناميَّة، ويتعاطى في كافَّة شؤون الشرق الأوسط، مخاصمًا هنا وهناك، حاضرًا في كافَّة الحروب، مشاركًا في كافَّة الطبخات السِّياسيَّة في المنطقة؛ فقد أضاعَ لبنان حيويَّة سياسته الخارجيَّة، كما خسِرَ في الآن ذاته بُنيتَه الداخليَّة التي تؤمِّن الحرِّية لكافَّة أبنائه، بعد أن حلَّت محلَّ ذلك كلِّه الفكرةُ الطائفيَّة المارونيَّة التحزُّبية الضيِّقة.

وأخلَت الإمارة المقاتلة مكانَها للُبنان صغير يكون ملاذًا مسيحيًّا للاجئين النفسانيِّين، وعِشنا نحن قوميًّا على هذه الفكرة المشوَّهة حتى يومنا هذا، ولقد نزلَ بنا الفرنسيُّون فلم يطبِّقوا مبادئ ثورة عام ١٧٨٩ الفرنسيَّة الكبرى في بلادنا، بل اكتفَوا بالحفاظ على توازنٍ كانوا هم أكثر من أسهمَ في إنشائه.

أمَّا الدُّروز فإنَّهم لم يحتاجوا يومًا إلى حماية، ومع ذلك فإنَّه كانت لقِسم منهم صلاتٌ جيِّدة مع الفرنسيِّين، فقد استندَ هؤلاء طَوال فترة انتدابهم على المَوارِنَة أوَّل الأمر، ثم على هذه الشريحة من الدُّروز التي لا بُدَّ لنا من الاعتراف بأنَّها كانت مهمَّة، وكان هدف هذا الدَّعم للدُّروز هو إحياء تحالف تاريخيٍّ يكون من شأنه إنشاءُ قاعدة سياسيَّة تستقرُّ الدَّولة اللُّبنانيَّة الجديدة عليها.

وهكذا فقد جرى بعث لبنان الكبير المنحدر من سنن وتقاليد قديمة، ومن إرادة الجنرال غورو والبطريك الحويك، وبعض زعامات مارونيَّة تلك الأيَّام من أمثال: إميل إدَّة، وبشارة الخُوري، وبرغم أنَّ لبنان الجديد هذا كان أكثرَ امتدادًا من الناحية الجغرافيَّة من سَلَفِه، إلَّا أنَّه ظلَّ مرتكزًا إلى هاجس الحفاظ بصورةٍ غير مباشرة على الموئِل والملاذِ المارونيِّ الذي كان يمثِّله لبنان الصغير، وإنَّما أمكنت المحافظة على هذا الموئِل الدِّينيِّ السِّياسيِّ

بفضل ضربٍ من التمييز في المشاركة في السُّلطة السِّياسيَّة - وخاصَّة في نظام التمثيل الوطني، وكانت تلك خطيئة الفرنسيِّين الذين لم يكونوا يتوخَّون سوى بقائهم على هذا الشاطئ.

إنَّ كافَّة أوجاعنا الحاليَّة نابعة عن هذه الطائفيَّة السِّياسيَّة، وأحداث هذه الأيَّام هي الجواب على أحداث سنوات ما بين **١٨٤٢** و**١٨٦٠**، ولكن في وجهة معاكسة؛ فما يجري اليومَ هو حملةٌ صليبيَّةٌ يشنُّها المسلمون قاطبةً والمسيحيُّون الوطنيُّون؛ من أجل عَلمَنَة الدَّولة اللُّبنانيَّة، وإلغاء الطائفيَّة السِّياسيَّة، وإنشاء دولة موحَّدة على أساس مدني؛ ولهذا السبب فإنَّ أحداث هذين العامين **١٩٧٥- ١٩٧٦** وهي الجواب على أحداث عام **١٨٥٩** تمثِّل بالنِّسبة إلينا ضربًا من ثورة **١٧٨٩**، ولكن على الطريقة اللُّبنانية؛ بحيث تمتزج فيها البطولة بالبشاعة.

والحقُّ هو أنَّ التقسيم الحاليَّ للطوائف السِّياسيَّة والدِّينيَّة اللُّبنانيَّة يذكِّر بالتقسيمات القديمة إلى ما كان يسمَّى بالطبقات في فرنسا أيَّام النِّظام القديم؛ فهناك الكهنوت، والأرستقراطيَّة، والعامَّة، فنحن حاليًّا إزاء تمرُّد العامَّة والبرجوازيَّة الصغيرة على البرجوازيَّة العُليا المارونيَّة الحاكمة.



من "مذكِّرات كمال جنبلاط"

- ٢ -

الرُّوح الدُّرزيَّة تنتقل بعد الموت إلى جسدِ درزيٍّ آخر، وهكذا إلى آخر الزمان، وإنَّما صُنعت الموجوداتُ جميعُها من الطبيعة الإلهيَّة، إذا جازَ لنا تسميةُ الأشياء على هذا النحو؛ ذلك أنَّ الإلهيَّ ليس موجودًا إلَّا على صعيد عقلنا، وفي عَلاقة وتناقض مع ما هو إلهيٌّ أو ماديٌّ أو غير ذلك.

غير أنَّ الواقع هو أنَّ كلَّ كائن إنَّما يتكوَّن فيزيقيًّا ونفسانيًّا من هذا القوام، أو من هذا الجوهر الإلهي، وعندما حقَّقَ شري أتماتندا أو رامانا ماهاشيري الحقيقةَ فإنَّ جسمها حقَّقها هو الآخر كما حقَّق جوهره في آنٍ معًا؛ ذلك أنَّه لم يبقَ لهما جسم، فجسمُها يتلاشى؛ فلا حضورَ له إلَّا إزاء حواسِّنا التي تُعطيه صورة، وإن كان هو يتعالى على كلِّ صورة؛ لأنَّه حقيقةٌ محضة، وإذًا فإنَّ جسمَها أيضًا يتألَّق في هذا الوعي للكائن.

إنَّ ذلك يعصى على التعبير مرَّة أخرى، لكنَّ هذه الأمور كانت تتراءى بوضوح في ذلك اليوم لدى شري أتماتندا في مطار القاهرة؛ فحتى الأُناس العاديُّون أخذَهم الفضول إزاء حضوره، وإن لم يَنَل منهم ذلك؛ لأنَّ إشعاعه يؤثِّر في الكافَّة للمادَّة نفسِها، فهناك اللاواعون أو كبار النِّيام في الحياة (أو أهل الكهف)، والناس جميعًا نيام، ولا تُلازِم اليقظة إلَّا قلَّة؛ ولهذا فإنَّ المرء يستيقظ ويصحو إلى ذاته الحقيقيَّة لدى رؤيته الحكيم، وبالتالي فإنَّه يصير يَقِظًا في الحكيم، وهذه اليقظة هي التي تُعطي الحكماء هذا المرأى المتألِّق.

إذا جلسَ الحكيم تحتَ شجرة وكانت الشجرة يابسة أزهرَت:

وتقول إحدى السِّيَر الصادقة من سِيَر القدِّيسين: إنَّه إذا جلسَ الحكيم

تحتَ شجرة، وكانت الشجرة على وَشْك اليباس الكامل والموت - فإنَّ الشجرة تُعاوِد الإزهار، وبزهوٍ للمرَّة الأخيرة؛ بذا نفهم إلى أيِّ مدًى يمكن للناس أن تحبَّ الحكيم منذ البداية، حتى ولو حدثَ بعد ذلك أن طواه في ذاكراتهم النِّسيان.

وليس لدينا كنيسة ولا مسجد بالمعنى المعروف للكلمة، بل لدينا (المجلس)؛ أي: الموضع الذي يجتمع فيه الأجاويد كلَّ مساء خميس ليصلُّوا معًا، غير أنَّ المجلس بالنِّسبة إلى الدُّروز ليس موضعًا مخصَّصًا للعبادة على وجه الحَصر، كما أنَّ الذهاب إليه ليس إلزاميًّا، فبِوُسع الطالبين الصلاة في منازلهم، وبوُسع الدُّرزيِّ أن يذهبَ إلى المجلس أو يتخلَّفَ عن الذَّهاب إليه؛ إنَّه حر.

وهناك بخلاف ذلك (الخَلوة)؛ وهي ضربٌ من الرَّهبانيَّة، يعتزل المتعبِّد فيها العالم ليقرأ أو ليتأمَّل، ولدينا قريبًا من هنا في الشُّوف خَلوةُ القطالب، وهي أبعد بقليل من عين قني، ويَفِدُ إليها - بخلاف جماعتنا - طالبو جبل الدُّروز؛ إنْ في زيارة عابرة، أو للاستقرار والعيش فيها حياة النُّسَّاك (السيمناسن)، وهؤلاء الوافدون هم في العادة أُناسٌ بُسَطاء سليمو الطَّوِيَّة ويطمحون إلى القداسة.

وتتوافق عقليَّة الدُّروز اللِّيبراليَّة هذه مع تطوُّر مختلِف المجتمعات المعاصرة؛ حيث يبدو أنَّ الطقوس والشعائر باتت هملًا فيها مهجورًا، فنحن لا يربط فيما بيننا رابط الدِّين، بل عَلاقتُنا الاجتماعيَّة وعاداتُنا وثقافتُنا، فهذا الرابط هو ما يميِّزنا عن غير الدُّروز، إنَّه رباط متحدي وأخلاقي، وهو أقرب إلى القوميَّة أو إلى الوطنيَّة - حتى ولو كانت غامضةً فضفاضة - منه إلى التعصُّب الدِّينيِّ والطائفيَّة الدِّينيَّة.

والدُّرزيُّ لا يختلط على أحد، فكينونته الاجتماعيَّة هي شأنُ ملامحه تجعل هُويَّته واضحة، والدُّروز يَقِظون نَشِطون، ولكنَّهم يتصرَّفون في الآن ذاته في المجتمع بكثيرٍ من الكرامة والأدب، وهم مهذَّبون ويستخدمون كلماتٍ خاصَّة لترجمة انفعالاتهم وتفسير أفكارهم، وينطِقون العربيَّة بأفضلَ ممَّا يفعل الآخرون، ولا سيَّما المسيحيُّون الذين لا يلفظون الحروف الصوامت؛ الأمر الذي ينُمُّ عن جذورهم العربيَّة الأصيلة، وذلك باستثناء بعض العائلات التي وفدَت من المغرب أو من الأناضول.

ثم إنَّهم أكثر تكتُّمًا ورَزانةً من الآخرين، وهم على الرغم من شدَّة استقلاليَّتهم يتحسَّسون بالمسألة الاجتماعيَّة والعائليَّة والمتَّحديَّة بأعمق وأحدَّ ممَّا يفعل الآخرون، وحتى وجوههم تختلف؛ فلو كان هناك درزيٌّ بين عشرين رجلًا لأمكنَ التعرُّف عليه مباشرةً؛ ذلك أنَّ التاريخ لم يَنَلْ من هذا العِرق؛ باعتبار أنَّ العُرف حظرَ على الدُّروز الزواجَ من غيرهم أو الزواج إليهم، ولم تشِذَّ عن ذلك إلَّا النُّدرة.

عليم الله، والله يقدرنا على مكافأتك:

وتترصَّع لغة الدُّروز بالأمثال وصِيَغ المجاملة، بعبارات باتَت وَقفًا عليهم، وقد جمعَ الموفَد الفرنسيُّ إلى جبل لبنان أيَّام الانتداب وهو السيِّد بارت هذه العبارات في مصنَّف؛ فمن بعضها مثلًا قولهم: (الله يقدرنا على مكافأتك)، أو قولهم: (عليم الله)؛ أي: إنَّ الله يَسبُر القلوب ويعلم صدقَ القول وما يخفى، وقولهم: (الله يرحم بيَّك أو أمك) أو قولهم: (كيفك على الفضل).

وما يزال الدُّروز يحافظون على حسن الشرف، ولا ينسَون خدمة أُسدِيَت إليهم، ومن هنا كان إطلاق اسم (بني معروف) عليهم؛ أي: أولئك

الذين يذكرون الصَّنيع الطيِّب، فهم أهلٌ لأن يذكروك بصنيعك معهم حتى بعد مرور عشر سنوات أو ثلاثين سنة عليه.

والشخصيَّة الدُّرزيَّة؛ الكبيرة لا تبالي بالحياة الخارجيَّة ولا تحفَل بها؛ فالمظاهر هي المظاهر، وقد قِيلَ عن الأميرَين الكبيرَين فخر الدِّين الأوَّل والثاني: إنَّهما وُلِدَا دُرزيَّين، وعاشا مسيحيَّين، وماتا مسلمين.

إلَّا أنَّ هذا الحال ليس حالي؛ صحيحٌ أنِّي أعرف الإنجيل خيرًا من غالبيَّة رهبان النَّصارى وأستشهد به كثيرًا، إلَّا أنَّ ذلك لا يعني أنَّني أستطيع أن أعتزمَ الانتماء - ولو للحظةٍ واحدة - إلى هذه الفرقة المسيحيَّة أو تلك؛ فأنا أمقُت الانتماء إلى جماعة مقفَلة، سواءٌ أكانت دينيَّة أم غير ذلك، وأنا أعتقد أنَّ الإنسان من أَرُومَةِ الله، وعليه أن يسعى وراءَ ماهيَّة الحقيقة عبر شتَّى الدِّيانات، ولكن بأن يتجاوزَها جميعها.

وهذه الطريقة هي طريقة أنموذجيَّة في التفكير لدى الدُّروز؛ فهم غير متزمِّتين ولا يتمسَّكون بالشكليَّات، بل إنَّهم ليبراليُّو الذِّهن برآء من كلِّ نظرة تبشيريَّة، فلا جدوى إذًا في أن تعرضَ على أيٍّ كان أن يصبحَ درزيًّا؛ فكلُّ إنسان يظلُّ على ما هو عليه.

أمَّا الرُّوح الدُّرزيَّة فإنَّها تنتقل بعد الموت وتتقمَّص في جسدِ درزي، ثم في جسدِ درزيٍّ آخر، وهكذا دَواليك إلى آخر الزمان، غير أنَّ الدُّرزيَّ ليس اسمًا وقفًا على مَن نُسمِّيهم الدُّروز؛ أي: على هذه النِّحلة الموجودة في لبنان وفي جبل العرب بسوريا وفي إسرائيل، أو في تركيا، أو حتى في شمال باكستان؛ بل الدُّرزيُّ هو كلُّ توحيدي؛ أي: كلُّ من يعتقد بوَحدة أديان العالم كافَّة، وكائنًا ما كانت طقوسها وشعائرها؛ أي: إنَّه اسم ينصرف إلى مسيحيِّين وبوذيِّين ومسلمين وهندوكيِّين؛ أي: ما يُشبه وضع

جماعة وردة الصَّليب، أو الرُّوز كروا؛ الذين يجدون مشايعين لهم وتابعين في شتَّى الأديان وعلى كلِّ حال، فهم يدَّعون أنَّهم دروز الغرب.

والحقُّ أنَّ ثمَّة تماثلًا كبيرًا بين معتقدهم ومعتقدنا؛ فإجلالهم لفيثاغورس، واعتقادهم بتقمُّص الأرواح هما نقطتان جوهريَّتان تقرِّب فيما بيننا وبينهم، على الرغم من أنَّ مفهوم الدُّروز للتقمُّص مختلفٌ عن مفهومهم؛ إذ نعتقد نحن أنَّ الرُّوح تستقرُّ بعد الموت مباشرة في طفل قيدِ الولادة، وأنَّها تلِج إلى الجسد عبر النفس، والجنين لا يعيش في أحشاء أمِّه إلَّا حيوانيًّا، ولا تستقرُّ الروح فيه إلَّا متى بدأ التنفُّس، وعلى العكس من ذلك فإنَّ جماعة الرُّوز كروا يعتقدون أنَّ الرُّوح تستطيع أن تظلَّ لفترة من الزمان في حالة يَرَقانِيَّة أو أَثِيرِيَّة قبلَ أن تعبُرَ من جسم إلى جسم آخر، وأنَّ ثمَّة ضربًا من حال الكُمُون يقف بين حالَي الموت والولادة الجديدة.

وبالمناسبة فقد صادَفت شابًّا مسيحيًّا خارقًا من جنوب لبنان، وكنت أجده عندما أتطلَّع إليه يستغرق في التفكير ساعات طويلة؛ شأنَ من توارى عن بصيرة نفسه، وذات يوم جاء إليَّ يقول: «اسمَع، لقد قرَّرت الموت؛ فأنا إنسان تُلاحقني حياتي السابقة، وعندما أستيقظ كلَّ صباح أقضي ساعة أو ساعتين في إقناع نفسي بأنِّي أعيش الآن حياةً أخرى غيرَ تلك التي عشتها سابقًا، لقد أنهكتني هذه الحياة السابقة التي تُلاحقني بكافَّة هذه الصُّور التي يختلط بعضُها ببعض»؛ كان يتذكَّر حياته في ميونيخ منذ ما ينوفُ عن القرن بقليل، وعندما ذهبَ إلى هناك فإنَّه عثرَ على منزله وقبره وكافَّة ما كان مألوفًا لديه.

يبقى بعد ذلك أنَّ الدُّرزيَّة الحقيقيَّة هي الحكمة العِرفانيَّة (الغُنُوصِيَّة) في اليونان ومصر وفارس والإسلام في آنٍ معًا، إنَّها وَفقًا للكلمة التي أوجدَها

روير (بقعة) أو (موقع) مختلف الدِّيانات، هذه الدِّيانات التي تُصبح باطلةً إذا أُخذت منفردةً منفصلةً عن بعضها بعضًا.

دروز إسرائيل ليسوا خَدَمًا للدَّولة اليهوديَّة:

ومن بين مشاكلنا كدروز هناك مشكلةُ وجود جماعة درزيَّة في إسرائيل، وهؤلاء الدُّروز ليسوا كما يحكي البعض خدمًا أوفياء للدَّولة اليهوديَّة، ولكنَّ الدُّرزيَّ من الحكمة بحيثُ إنَّه لا يتخلَّى عن أرضه متى جاء المحتلُّ.

والواقع هو أنَّه شديد الارتباط بأرضه وبمرابع طائفته، ثم لماذا الهرب؟ فخيرٌ للمرء أن يبقى على أن يتركَ موضعَه للآخرين، وهذا هو المبدأ الذي طبَّقه الدُّروز عام **١٩٤٧** و**١٩٤٨**م عندَما حاولَ الإسرائيليُّون طرد العرب، فالدُّروز عقلانيُّون حقًّا؛ ذلك أنَّ (الحسَّ اليوناني) يغلِب عليهم، وهو الذي جعلَهم (يستقرُّون) أنَّ لديهم الحسَّ بالزمان، ويعلمون أنَّه سيأتي يوم يتغيَّر فيه كلُّ هذا؛ لأنَّه لا ثباتَ لشيء تحت الشمس.

إنَّ فكرهم يذهب إلى البعيد، وباختصارٍ فإنَّهم يملكون فضيلة الأمل؛ ذلك أنَّ ما يبرِّر الدرزيَّ حقيقةً أمام ناظرَي نفسِه إنَّما هو تفاؤله الوطيد الذي يُبديه في بحثه الأبدي، وبهذا المعنى فإنَّ الدُّروز هيراقليطيُّون، فهم يرون أنَّه ما من فرح إلَّا وهو مختلِط بالغمِّ والعَناء، وما من هبوط إلَّا وراءه صعود، وما من موجةٍ تنحطُّ إلى القَرارة إلَّا ودسر موجة أخرى يستعدُّ للوثوب، وليس ثمَّة من موت بالمعنى الحقيقيِّ للكلمة؛ لأنَّ الميِّت لا يفعل سوى أن يبدِّلَ لباسَه الجُثماني، فتبديل الأجسام كتبديل القمصان، أو كما جاء في "كتاب الحكمة": «ولا تخافوا من تمزيق أقمِصَتكم»؛ أي: ولا تخافوا من تمزُّق جسدكم، وجاءَ فيه أيضًا: «ولا تخشى عدوَّك؛ فإنَّ خشيتك له تُعطيه سُلطانًا عليك».

وإذًا فإنَّ الدُّروز بقُوا هناك وتدبَّروا أمورهم؛ بحيث لا يستولي القوم على الكثير من أراضيهم، وبحيث يتمكَّنون من تحمُّل هذه الحياة المشتركة مع الإسرائيليِّين، وأعتقد شخصيًّا أنَّه لو أنَّ الآخرين قلَّدوا الدُّروز بدلًا من الهرب، إذًا لما كان هناك مشكلة إسرائيل؛ لأنَّهم ما كانوا سيتركون هذا الفراغ الذي يبلغ حجمه (١٢٠٠٠٠٠) إنسان.

وتأمَّل معي في إسرائيل يقطُنها (١٦٠٠٠٠٠) عربيٍّ درزيٍّ ومسيحيٍّ وسنِّي، إذًا لما كان الإسرائيليُّون سيتمكَّنون بادئًا من استجلاب الكثير من اليهود من الخارج، كما أنَّ الفلسطينيِّين كانوا سيشاركون بسهولة وعلى مستوى واحد في اقتصاد إسرائيل؛ وبالتالي في السُّلطة السِّياسيَّة؛ كانوا سيشاركون في الحكومة ويكوِّنون أقلِّيةً قويَّةً فعَّالة في البرلمان؛ أي: ما يوازي أغلبيَّةً صغيرة؛ ذلك أنَّ اليهود منقسمون فيما بينهم ولم يكونوا قادرين - فيما أعلم - على تشكيل حكومة أغلبيَّة حقيقيَّة من دون اللُّجوء إلى تحالفات غير متجانسة، وعلى الرغم من الهجرة الجماعيَّة فإنَّ الوطنيِّين الدُّروز قاموا بواجبهم في إسرائيل، فقد قاوَموا استيطان اليهود سياسيًّا وعسكريًّا، وشاركوا في مختلِف ثَوْرات فلسطين.

وقد شاركَ كثيرٌ من الدُّروز في تلك المعارك، فما من قريةٍ من قُرى الشُّوف إلَّا وقد خسِرَت ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو عشرة قتلى من بين أولئك الذين قاتَلوا في فلسطين، كما أنَّ كثيرين من الدُّروز معتَقَلُون في إسرائيل بسبب أفكارهم الوطنيَّة، وثمَّة كثير من الشُّعراء الفلسطينيِّين - بل من أشهرهم - هم من الدُّروز؛ كسميح القاسم مثلًا.

وإذًا فإنَّ الدُّروز قاموا بواجبهم بتعقُّل ربَّما كان أوفى من تعقُّل الآخرين، بانتظار أن يبينَ متى وكيف سيكون منقلَبُ الأمور؟ فهم يعلمون

أنَّه لا جدوى من الهجوم على طواحين الهواء، وأنا أعلم تمامًا أنَّ خصومنا يرمون بعضَ الدُّروز بالتعاون مع الجيش الإسرائيلي، لكنَّ هذا البعض جرى تجنيده بالقوَّة، وقد طلبت غالبيَّة الدُّروز - ولا سيَّما منذ عام **١٩٦٧**م - بأن تُعفَى من الخِدمة العسكريَّة.

وعلى أيِّ حال فمنذ ذلك الحين وهناك حالة توتُّر تسود بين الإسرائيليِّين والدُّروز؛ تعود بصورة رئيسة إلى وضع الإسرائيليِّين يدهم على ثلث الممتلكات الدُّرزيَّة بحجَّة أنَّها أراضٍ جبليَّة، وقد بلغَ الأمر بهم أنَّهم صادروا نصف الأراضي في بعض القرى، ولا سيَّما أكثرها خصوبة، إنَّ شقيق شيخ العقل مسجون هناك الآن؛ بسبب الاحتجاجات التي واجهَ بها الدُّروز بعض الإجراءات الإسرائيليَّة الجائرة على نحو خاص.

وأعتقد أنَّ الدُّروز بدؤوا يحسُّون بنبَضات القوميَّة العربيَّة التي بدأت توجِّه ضرَبات جادَّة، فلقد كانوا أبدًا أقليَّة من دون أن يستحوذَ عليهم حِسُّ الأقليَّات، بخلاف الموارنة؛ الأقليَّة التي يستولي عليها حِسُّ الأقليَّات، ومنذ ما يَنوف عن القرن وهم يشاركون دائمًا وأبدًا في الدَّعوة إلى القوميَّة العربيَّة كأكثر دُعاتها حماسًا؛ فالتحقوا بالجمعيَّات الأولى التي تأسَّست للدِّفاع عن العروبة والحرِّية السِّياسيَّة، لا؛ بل إنَّ بعضًا من هذه الجمعيَّات كان يقودها دروزٌ بارزون؛ كالأمير محمَّد أرسلان رئيس لجنة التحرُّر الشهيرة.

كما شارك دروزٌ كثيرون بالثورة ضدَّ تركيا إلى جانب الشريفَين حسين وفيصل، وكان لهم نصيبهم في كافَّة الثَّوْرات، متأهِّبين دائمًا للاستجابة للنِّداء التاريخي.

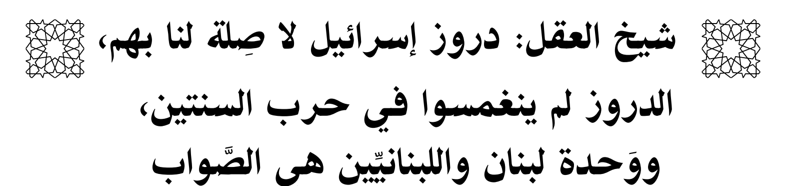
وثمَّة أمر غريب حقًّا؛ ففي العام **١٩٢٥**م قاتلوا ضدَّ الفرنسيِّين طَوال

سنتين، ولا ريبَ في أنَّ السُّوريِّين مدينون للدُّروز ولبعض الرُّؤساء الوطنيِّين الآخرين بنَيلهم الاستقلال؛ فقد كان الدُّروز أكثرَ القوم بذلًا لدَمِهم.

للأسف فنحن لا نتَّصل بالثلاثين ألف درزيٍّ في إسرائيل:

وللأسف، فإنَّا لم نعُد نتَّصل بالثلاثين ألفَ درزيٍّ في إسرائيل منذ زمن بعيد، أمَّا في الماضي - أي: عندما كانت فلسطين حرَّة - فإنَّهم كثيرًا ما كانوا يفِدون إلى المختارة، إنَّهم بعيدون عنَّا الآن، ولكنَّ لديهم رئيسًا روحيًّا رفيعًا يقودهم، وهو ما يزال على الرغم من سِنيه الثمانين أمثولةً في الحكمة والتعقُّل؛ ذلك - والحقُّ أحقُّ أن يُقال - أنَّ التعقُّل هو أحد السِّمات العميقة في الطِّباع الدُّرزيَّة، فهو ما يميِّز الدُّرزيَّ عن سواه، فالدُّرزيُّ لا يطلق كلماتِه جِزافًا وهو يَقِظٌ أبدًا؛ إذ لا بُدَّ من ملاحظة الجوار لسَبرِ ما يُقال، وتقدير ما ينبغي أن يُقال، وقياس ما نستطيع أن نقول.





شيخ العقل: دروز إسرائيل لا صِلة لنا بهم، الدروز لم ينغمسوا في حرب السنتين، ووَحدة لبنان واللبنانيِّين هي الصَّواب

أجابَ شيخ العقل على أسئلة كثيرة، ولكن على طريقة (مفهوم، ومعلوم، وأنت سيِّد العارفين)! وفي حكمة ودبلوماسيَّة سماحة الشيخ الجليل الذي تحدَّث عن الحوار والوفاق، والصِّيغة الدُّستوريَّة، والتوحيد والتقسيم، وإلى ما هنالك من مواضيعَ ضاغطة.

وسألتُ الشيخ الجليل أن يُقارن بين (طوشة) عام ١٨٦٨ وحرب السنتين القَذِرة، فقال سماحة شيخ عقل الطائفة الدُّرزيَّة الشيخ محمَّد أبو شقرا: «حركة سنة الستِّين تمَّت بتأثير المداخلات الدوليَّة، وتُشبه إلى حدٍّ كبير أحداث السنتين في لبنان، ولكن في ذاك الحين - أي: سنة الستِّين - كان اللبنانيُّون أحرصَ ممَّا هم عليه اليوم على وطنهم، وعلى تقاليدهم، وعلى أخلاقهم، فلم ينفلِتوا دونَ رادع كما انفلتوا... وحتى الآن لا يعلم أحدٌ ما إذا كنَّا قد انتهينا أم لا؟ أمرٌ محيِّر حقًّا ومؤسِف جدًّا.

- أتعني أنَّ الحرب لم تنتهِ بعد، وأنَّ جولة ما تنتظر لبنان؟

ويرفع سماحته حاجبَيه باستغراب متحفِّظًا ويقول: أنا قلت حتى الآن لا يعلم أحد فيما إذا كنَّا حقًّا انتهينا أم لا، أمر محيِّر.

- غدًا عندما يسجِّل التاريخ حرب السنتين، باعتقادكم كيف سيسجِّل موقف الدُّروز؟

يرتفع صوت الشيخ وتخرج الكلمات من فمِه بإيقاعات محدَّدة: الدُّروز كطائفة لم ينغمسوا في هذه الأحداث، وبعضهم مَن كان ينتمي إلى سياسات

وحزبيَّات مختلفة، إلَّا أنَّنا لا نعتبره تدخُّلًا للطائفة.

«في الباب معالي وزير الداخليَّة، مولانا»؛ قالها أحد الموظَّفين للشيخ محمَّد الذي قُلنا له قبل أن يلتفتَ إلينا: نحن أصحاب موعد سماحة الشيخ وسننتظر.

قال سماحته: في الغرفة المجاورة، (تكونوا شربتوا قهوتكم).

وبعد ساعة خرج الوزير سلمان، وقد شيَّعه سماحة الشيخ حتى المدخل الخارجيِّ من بيت الطائفة.

وعُدنا إلى الأسئلة، كما عادَ الشيخ إلى دبلوماسيَّته.

- كيف رضاكم على الوزير سلمان؟

وزير نشيط، نتمنَّى له التوفيق في مهمَّته، أنا شخصيًّا ممتَنٌّ وأدعو له بالنجاح (قالها بعفوية).

- وسألت سماحته: أين أصبحت الزَّعامة الدُّرزيَّة على الصعيد المدنيِّ بعد كمال جنبلاط؟

ويردُّ الشيخ بعد أن يحاولَ إخفاء تعبير معيَّن: كما تعلمون، لقد حلَّ نجلُه وليد جنبلاط محلَّه.

- نعود إلى شكِّكم في الوضع أو انتهاء الحرب عندما قُلتم: لا يعلم أحدٌ فيما إذا كنَّا قد انتهينا أم لا؟

- يقولون: إنَّ تنفيذ المرحلة الثالثة من اتِّفاق القاهرة سيكون المدخلَ الوحيدَ إلى الحلِّ السِّياسيِّ في لبنان، والبعض يربط هذا الاتِّفاق بمؤتمر جنيف، نحن نتمنَّى أن تُحلَّ القضيَّة اللُّبنانيَّة دون أن تكون معلَّقة بغيرها من القضايا.

- أليس لديكم - أسوة بالغير - صيغةٌ معيَّنة للحوار أو الوفاق أو..؟

إنَّ ما يسمُّونه الحوار والصِّيغ الكثيرة المختلفة، وتعديل الدُّستور وصيغة لبنان المستقبل... كلَّ ذلك لا يفيد شيئًا، إذا لم تكن هناك نوايا حسنة ترعى الاتِّفاقات وتنفِّذ النُّصوص، إنَّ كلَّ ما نقوله عن لبنان المستقبل نحصره بهذا المختصر، نريد لبنان المستقبل في إطار الإيمان بالله تعالى وبالوطن، على أن تشملَ العدالة والمساواة كلَّ لبنان وأبناء لبنان.

- وسألته عن إمكانيَّة التنسيق بين كلٍّ من لبنان وسوريا والأردُنِّ والدَّولة الفلسطينيَّة - إذا أُنشئت - بشكل يوحِّد بين هذه البلاد؟

فقال: هذا أمر يدرُسه أصحاب الاختصاص، ولا نريد أن يكونَ لنا فيه رأي.

- عودة إلى الشُّوف، هل توجِسون خِيفةً على الشُّوف؟ هل أنتم مطمئنُّون إلى وضعه؟

قوَّات الرَّدع العربيَّة في الوقت الحاضر ضرورة مُلِحَّة؛ لأنَّها أوقفَت النَّزف وساعدت كثيرًا على تثبيت الهدوء والاستقرار في لبنان، ونرجو بل نتفاءل في أن تتحسَّنَ الأوضاع، وتنتهي إلى نتيجة أحسن، والله تعالى مُجيب الدُّعاء.

- والحديث عن تقسيم لبنان سماحةَ الشيخ؟

كلُّ الفُرقاء يرفضون التقسيم، ونحن نقول بعدم التقسيم، ومع القائلين والمطالبين بوَحدة اللُّبنانيِّين، التي أصبحت هي المطلوبة، وهذا هو الصواب.

- وسألتُه عن رأيه باللامركزيَّتين السِّياسيَّة والإدرايَّة؟

أجابَ بعد أن رفعَ راحتَيه إلى أعلى: (مش فارقة معي)، وأضاف: المهمُّ عندَنا أن يعُمَّ العدل، ويسهل على المواطنين كلُّ أمر يهمُّهم،

وهناك رئيس مسؤول وحكومة مسؤولة؛ وأظنُّهم سيدرُسون الأصحَّ ويقرِّرونه.

- والوثيقة الدُّستوريَّة ما رأيُك فيها، طالما شيخَنا (مش فارقة معك اللامركزيَّة واللامركزيَّتين)؟

في الوثيقة الدُّستوريَّة نِقاطٌ كثيرة نؤيِّدها؛ لأنَّه سبقَ واطَّلعنا عليها، وأقريناها في قمَّة عرمون بحضور الوزير السوري عبد الحليم خدَّام، وهذه الوثيقة تعتبر اليومَ اقتراحًا واردًا مع غيره من الاقتراحات؛ للارتكاز عليها لوضع الحلول المناسبة.



حركات ومذاهب هدَّامة

طائفة الدُّروز

سُمُّوا بالدُّروز نسبةً لأحد واضعي مذهبهم؛ وهو محمَّد ابن إسماعيل الطهرانيُّ الدُّرزي، ويلقَّب بأنوشتكين أو نوشتكين، وهو ثالث ثلاثة دُعاة اشتركوا في وضع أصول هذا المذهب، وهم: الحسن الفَرْغاني المعروف بالأخرم، وحمزة بن عليِّ بن أحمد، والدُّرزي السالف الذِّكر.

ولم يذكر التاريخ شيئًا عنهم قبلَ ظهور دعوتهم للمذهب الجديد، إلَّا أنَّهم كانوا من حاشية الحاكم بأمر الله الفاطميِّ الذين لم يُفارقوه، وبخاصَّة حمزة بن عليٍّ الذي تأثَّر به الحاكم، وربَّما كان هو الذي أوحى إليه بكلِّ ما قامَ به من أعمال وتصرُّفات شاذَّة، وخلال وجود حمزة بالقصر كان يطَّلع على كتب الدَّعوة الفاطميَّة؛ فأفادته في تلوين عقليَّته، وتوجيه فكره إلى ما يُرضي طموحَه ويحقِّق آماله، وفي سنة ٤٠٨هـ لقَّبه الحاكم بالإمام وأطلقَه يُذيع المذهب الجديد؛ ولذلك جُعلت تلك السنة مبدأ تقويم حمزة، وبالتالي مبدأ تقويم الدُّروز.

وقد نشبَ خلافٌ بين دُرزي وبين حمزة، اللذين عَمِلا معًا في رسم خُطط الدَّعوة قبل إظهارها؛ وذلك لأنَّ الدُّرزيَّ أرادَ أن يستأثرَ بالألقاب وبالرِّئاسة وبإمامة المذهب الجديد؛ فأسرعَ بالكشف عنه، ولم يستمع إلى نصائح حمزة بالتريُّث وعدم الخروج على طاعته.

أمَّا الداعي الثالث وهو الحسن بن حيدرة الفَرْغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع - فلم يذكر المؤرِّخون عنه شيئًا سوى اسمه، ثم ذكروا أنَّه قُتل

بعد أيَّام قليلة من ظهور الدَّعوة الجديدة، وكان الأخرم هو الذي يقود حركة الدِّعاية للمذهب الجديد، وهو الذي كان يبعث الرِّقاع والكتب إلى الناس يدعوهم فيها إلى العقيدة الجديدة، وكان يطلب من العلماء وكبار الدُّعاة الذين يراسلهم أجوبةً على رقاعه؛ فكتبَ الداعي الإسماعيليُّ أحمد الكِرمانيُّ "الرِّسالة الواعظة" في الردِّ عليه؛ وكان الأخرم قد كتبَ إليه يقول: إنَّ الشريعة والتنزيل والتأويل خرافات وحشوٌ وقشورٌ، ولا تتعلَّق بها نجاة، وإنَّ الإله المعبود هو الحاكم بأمر الله... إلخ، وهي نفس الآراء التي دعا إليها حمزة، وآمنَ بها، والتي اشتملت عليها كتب الدُّروز المقدَّسة.

وقد انقسمَ الدُّعاة والمؤمنون بالمذهب الجديد بعد إعلان الدُّرزيِّ الدَّعوة إلى فريقين: فريق الدُّرزي، وفريق حمزة.

وقامَ الدُّرزيُّ سنة ٤٠٨هـ بتظاهرة استفزازيَّة لمشاعر الجماهير؛ إذ توجَّه ومعه نحو خمسمئة من أتباعه إلى قصر الحاكم بأمر الله؛ فهاجمتهم جموعُ الناس فقُتِل مَن قتل من أتباعه وفرَّ الباقون، واختلفَت الأقوال وتضاربَت عن الدُّرزيِّ وعمَّا جرى له؛ فقِيلَ بأنَّه قُتلَ مع مَن قُتلَ من أتباعه، وقيل: إنَّه فرَّ إلى وادي التَّيم في بلاد الشام، وظلَّ يدعو أهلَ الجبال إلى مذهبه؛ ولذلك عُرفَ أهل هذه المنطقة الذين اعتنقوا دعوتَه بالدُّروز.

ويُقال: إنَّ الحاكم هو الذي نصحَ الدُّرزيَّ بالرحيل إلى هذه المنطقة في الشام، وأعانَه بالمال اللازم لذلك.

وبعد اختفاء الدُّرزيِّ والأخرم صارَ أمر الدَّعوة الجديدة إلى حمزة بن علي؛ فلقَّبَ نفسه بهادي المستجيبين، وإمام الزمان، وقائم الزمان... إلى آخر ما هنالك من ألقاب، ثم أخذَ يكتب الرَّسائل التي أودعَها مبادئ مذهبه ويبعثها إلى المخالفين؛ إلى أن كَثُرَ مؤيِّدوه وأتباعه، ثم أخذَ حمزة ينظِّم

دعوته، ويعيِّن الدُّعاة في الأقاليم، مقتبِسًا نفس النِّظام الذي تعلَّمه عندما كان إسماعيليًّا، فاستطاعَ بواسطتهم نشرَ مذهبه في معظم البُلدان التابِعة للدَّولة الفاطميَّة آنذاك، وبخاصَّة في بلاد الشام.

وعندما قُتِلَ الحاكم بأمر الله بجوار جبل المقطَّم، أعلنَ حمزة أنَّ الحاكم صعِدَ إلى السماء، وأنَّه سينزل آخر الزمان، ثم ادَّعى الإمامة، وأعلنَ أنَّه سيغيب أيضًا بعد أن أعلنَ غَيبةَ الحاكم، ولكنَّه سيعود ثانية بعد فترة وجيزة.

وبالفعل استترَ حمزة في مصر مدَّة ثلاث سنوات كتبَ خلالها رسائل كثيرة، ولمَّا وجدَ أنَّ دعوته قد بلغَت الأوجَ في بلاد الشام، رأى من الضرورة أن يتوجَّهَ إلى وادي التَّيم بصُحبة دُعاته: أبي عبد الله محمَّد بن وهب القرشي، وأبي إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي، وأن يُلقي بأعباء الدَّعوة في مصر على الداعي بهاء الدِّين أبي الحسن عليِّ بن أحمد السموقي المعروف بالضيف؛ باعتباره لسانَ الدَّعوة، وأحدَ دُعاتها الكبار، واستمرَّ بهاء الدِّين بنشر الدَّعوة وتوجيه رسائله إلى الملوك والأمراء؛ يدعوهم فيها إلى الدُّخول في مذهبه، كما كتبَ إلى الذين ارتدُّوا عن المذهب بعد أن كانوا من دُعاته البارزين - أمثال: معاذ بن محمَّد، وطاهر ابن تميم - رسالةً أسماها "التنبيه والتأنيب"، كما وجَّهَ رسالةً أخرى أسماها "الحقائق، والإنذار والتأديب لجميع الخلائق" إلى أتباعه في لبنان، وإقليم حَوران، ووادي التَّيم، يندِّد فيها ببعض الأفكار التي انتشرت بفعل المرتدِّين عن المذهب بعد وفاة حمزة، والتي اعتبرَها مخالِفَةً لتعاليم قائم الزمان، واتَّهم الدُّعاة الذين يروِّجون لتلك الأفكار بأنَّهم دجَّالون مخادعون.

ولمَّا شعرَ بهاء الدِّين باضطراب الأحوال، بعد أن كثُرت الآراء الدخيلة

على المذهب - اعتزلَ الدَّعوة بعد أن أقفلَ باب الاجتهاد؛ حرصًا على الأصول والأحكام التي وضعَها بالاشتراك مع التميميِّ وحمزة.

ومنذ ذلك الوقت اقتصرَ الدُّروز على شرح كتب ورسائل دُعاتهم، دونَ أن يحاولوا إدخال تعديل عليها، بل امتنعوا عن التبشير بمذهبهم وعقيدتهم، وأغلقوا بابَ الانتساب لهذا المذهب.

عقيدة الدروز:

يعتقد الدُّروز بألوهيَّة الحاكم بأمر الله، وأنَّ حمزة بن عليٍّ نبيُّه، ويقولون: إنَّنا لا نشكُّ بأنَّ الحاكم بشرٌ في الأعيُن المجرَّدة، وعاشَ بين الناس كما يعيش البشر، ولكنَّه إلهٌ معبود اتَّخذَ لنفسه صورةً إنسيَّة، مثلما يتَّخذ الإنسان ثيابَه فيرتديها، ثم ينزِعها ويرتدي غيرَها، والثياب ليست من جنس مَن يرتديها ولا تُشبهه في شيء، وكذلك الإله المعبود ليس من جنس الصورة التي اتَّخذها ولا هي شبيهة به؛ وممَّا يؤيِّد اعتقاد الدُّروز بألوهيَّة الحاكم، ما جاءَ في "رسالة الغَيبة"، والتي بعثَ بها دُعاة القاهرة إلى أتباعهم بالشام بعد شهور من مقتل الحاكم، ونصُّه:

«أظهرَ لنا ناسوتَ صورته تأنيسًا للصُّور، فحارَ فيها الفِكر حينَ فكَّر، وعجزَت العقول عن إدراك أفعالها، واعترفَت بالعجز والتقصير في معلومها، فبتقدير أحكامه مَنَّ على خلقه بوجود صورته من جنس صُورهم، فخاطبتهم الصورة بالمألوف من أسمائهم، فأنِسَت العقول إلى ظاهر صورته، واستدرجَتهم إلى معرفته بلطيف حكمته، امتنانًا منه على خلقه... إلخ».

ويؤيِّد ذلك أيضًا - أي: قول الدُّروز بألوهيَّة الحاكم - ما جاءَ في "ميثاق وليِّ الزمان"؛ وهو الميثاق الذي وضعَه حمزة بن علي، ويؤخَذ على كلِّ مستجيبٍ للمذهب الدُّرزي، ونصُّه:

«توكَّلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصَّمد، المنزَّه عن الأزواج والعَدد، يقرُّ فلان بن فلان أنَّه قد تبرَّأ من جميع المذاهب والمقالات، والأديان والاعتقادات، على أصنافها واختلافها، وأنَّه لا يعرف شيئًا غيرَ طاعة مولانا الحاكم - جلَّ ذِكرُه - وأنَّ الحاكم بأمره إلهٌ واحد، أتباعه له موحِّدون وقد اختفى، وحين يظهر آخرَ الزمان سيعيِّن أتباعَه أمراء وسلاطين، يحكمون البشر، وسيعذِّب غير أهل مِلَّته عذابًا أليمًا».

واتَّخذَ الدُّروز لأنفسهم فرائضَ أطلقوا عليها الفرائض التوحيديَّة؛ وهي: معرفة الباري (الحاكم بأمر الله)، ومعرفة الإمام قائم الزمان (وهو حمزة بن علي)، ووجوب طاعته طاعة تامَّة، ثمَّ معرفة الحدود بأسمائهم وألقابهم ومراتبهم ووجوب طاعتهم، فإذا اعترفَ الدُّرزيُّ بهذه الفرائض التوحيديَّة أصبحَ موحِّدًا، وليس عليه أن يقومَ بتكاليفِ أيَّة فريضة من الفرائض.

وقد كانَ للمسيحيَّة تأثير واضح على كتابات دُعاتهم، وخصوصًا بهاء الدِّين؛ إذ جاءَ في رسالة له بعنوان: "الرِّسالة المسيحيَّة، وأم القلائد النُّسكيَّة" ما نصُّه:

«إنَّ كلَّ ما وردَ في الإنجيل من الاضطهاد والتعذيب وغير ذلك إنَّما يُراد به اضطهادُ حمزة لأعداء مذهبه، وإنَّ حمزة هو الذي علَّم الإنجيل، والإنجيل مبنيٌّ على حكمة إلهيَّة رمزيَّة، معناها: الدِّين التوحيدي»، ثم يذهب إلى أنَّ جميع الألقاب التي لُقِّب بها المسيح في الإنجيل هي ألقاب حمزة؛ فهو رُوح القُدس، وابن الله، وأنَّه هو الذي أرسل متَّى، ومرقص، ولوقا، ويوحنَّا؛ لتعليم الناس الإنجيل...

وأنَّه الغريب؛ لأنَّه غريب عن الدِّيار التي ظهرَ فيها، ولأنَّه غريب الأعمال والأفعال، وأنَّه المسيح الحقيقي، أمَّا المسيح الذي صلبَه اليهود

فهو ابن يوسف النجَّار.

ويعتقد الدُّروز أيضًا بالتناسخ والتقمُّص؛ أي: بانتقال النفس من جسمٍ بشريٍّ إلى جسمٍ بشريٍّ آخر؛ باعتبار أنَّ النفس لديهم لا تموت، بل يموت قميصُها وهو الجسم، ويصيبه البِلَى فتنتقل النفس إلى قميص آخر.

وقد تكون النفس صالحةً في دَور، بينما تكون خاطئةً في دَور آخر، فإن رجحَت حسناتُها كانَ لها الثواب؛ فتنتقل من درجة دُنيا إلى درجة أعلى في الدِّين، وإن رجحَت سيِّئاتها كانَ لها العقاب؛ فتنتقل من درجة عُليا إلى درجة دونَها من درجات الدِّين، ويزداد صاحبها عمًى في قلبه، في دينه ودنياه؛ إذًا فلا بعثَ ولا حسابَ ولا عقابَ، ولا جنَّة ولا نار.

وينقسِم الدُّروز من الناحية الدِّينيَّة إلى طبقتَين:

طبقة العُقَّال: وهم الذين يعرفون أسرار عقيدتهم.

وطبقة الجُهَّال: الذين ليس لهم أيُّ حقٍّ في معرفة أيِّ شيءٍ من أسرار دينهم.

ويجتمع العُقَّال في أماكن عبادتهم التي تعرف بالخَلَوات مساءَ كلِّ يوم جمعة؛ لسماع ما يُتلى عليهم من كتبهم المقدَّسة، والتَّشاوُر في أمور الدِّين والطائفة، ولا يُسمح للجهَّال بحضور هذه الجلسات إلَّا في يوم عيدهم، وهو يوافق عيد الأضحى عند المسلمين، وإذا حازَ أيُّ فرد من طبقة الجُهَّال ثقةَ شيوخ العقل سمحوا له بالانتقال إلى طبقة العُقَّال، بعد امتحان عسير شاق، يقوم على ترويض النفس وكبح جماح شهواتها.

وللدُّروز رؤساء دينيُّون في كلِّ مكان يقيمون فيه، وعلى رأسهم جميعًا شيخٌ يلقَّب بشيخ العصر، ويتولَّى منصبه بالانتخاب، أو بالاتِّفاق بين كبار

رجال الطائفة.

ولشيخ العصر أعوانٌ في كلِّ قرية أو مدينة يلقَّب بشيخ العقل، ويختلف توزيعهم للميراث عن توزيع المسلمين له؛ فالمرأة عندَهم لا ترِث من دار أبيها شيئًا، والأملاك الموروثة عن الأجداد ملكٌ لكلِّ أفراد الأسرة جميعها بالتساوي، ولا يُحرم واحد منها.

وإذا طلَّق الدرزيُّ امرأته فإنَّها لا تعود إليه بحال من الأحوال، ولا يجوز له أن يجمعَ بين زوجتين، فإن ماتت زوجته أو طلَّقها جازَ له أن يتزوَّج غيرها . . . إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي يخالفون فيها جماعة المسلمين، وقد قرأت مؤخَّرًا في كتاب "لسان الحال، في المواعظ والأمثال" لمؤلِّفه: محمَّد بن أحمد الخلف، مفتي الفاو من نواحي البصرة:

«إنَّ من الدُّروز من يعبد الفَرْج، ويردِّدون أثناء عبادتهم: يا أبا مسعود، خرجنا منك وإليك نعود، ثم يسجدون عليه»، وذكرَ أيضًا أنَّهم يقولون بحلِّ جماع البنات؛ قائلين بأنَّ كلَّ زارع له باكورة زرعه، ومحتجِّين بأنَّ آدم تزوَّج حواء، وهي مخلوقة منه.

ولكنِّي لم أجِد ذلك فيما اطَّلعت عليه ممَّا كتبوا أو كُتبَ عنهم بغير الكتاب السالف الذِّكر.

وبقيَت كلمة أخيرة، لا بُدَّ من ذكرها؛ وهي أنَّ الدُّروز في كلِّ زمان ومكان لا يتَّخذون موقفًا سياسيًّا موحَّدًا؛ بل ينقسمون إلى فرقتين - كوجهين لعُملة واحدة - فرقة تؤيِّد النِّظام وأُخرى تعارضه، إن وُجدت هناك معارضة؛ ليقومَ المؤيِّدون للسُّلطة بحماية مَن في صفوف المعارضة، والعكس صحيح.

وثانيًا: في هزيمة عام ١٩٦٧م كان قائد إحدى الجبهات العربيَّة درزيًّا،

في حين كان أخوه قائدًا لإحدى فِرَقِ العدوِّ اليهوديِّ في تلك الجبهة!

وثالثًا: وقوف فريق من الدُّروز مع بقيَّة الأحزاب الانتهازيَّة إلى جانب المسلمين والثورة الفلسطينيَّة لم يكن إلَّا لمحاولة فرض الوصاية عليها، وتحريفها عن صحيح أهدافها والاحتماء بمظلَّتها، وتحقيق مآربهم الحزبيَّة والشخصيَّة عن طريقها وبسيفها، ولتنفير المسلمين من مساندتها المساندة الفعَّالة ومدِّ يد العون لها.

ورابعًا وأخيرًا: لقد اشتركَ الدُّروز - وما زالوا يشتركون - في ذبح المسلمين في المناطق المحتلَّة؛ فسلاح الحدود وهو أقوى فِرقَة في جيش اليهود يتكوَّن غالبيَّة أفراده من الدُّروز، ولهم الحقُّ في الانخراط في صفوف جيش اليهود كأيِّ يهوديٍّ زَنِيم، وهم الذين يتولَّون تعذيب الأهالي والمجاهدين من أبناء فلسطين في أقبية المخابرات وزنازين السجون، عَلِمَ ذلك من عَلِمَه وجَهِلَه مَن جَهِلَه، وفوق كلِّ ذي علم عليم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



المحتويات

الموضوع	الصفحة



آثار الشيخ زيد الفياض

تمتازُ بالجمع بين العلم الشرعيِّ الموثوق والثقافة الإسلاميَّة الأصيلة، مصوغةً بأسلوب سهل ومشرق، يُقنع العقلَ ويُلامس الوجدان.. كيف لا وصاحبُها فارسٌ من فرسان الميدان؟!

إنه الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض رحمه الله؛ نمطٌ فذٌّ بين علماء عصره، جمعَ بين التحصيل الشرعيِّ المتين والاطِّلاع على ما يروجُ في زمنه من أفكار وثقافة طارئة، فامتاز ببصيرة نافذة ناقدة لما يدورُ حوله من حوادث، وما يُلمَّع من فكر دخيل وفلسفات ومذاهبَ وافدة! فانتضى قلمَه بجَراءة، وبذل وُكدَه في كشف كلِّ ما يتهدَّد أمَّة الإسلام بصراحة، فغدت كتاباتُه وثائقَ تاريخيَّة مدوَّنة بيد خبير ثقة مقتدر.

وما خلَّفه الشيخ من تراث علميٍّ وفكريٍّ نافع، يتوزَّع بين كتب طُبعت ونَفِدَت، ومقالات نُشرت في الصحف قديمًا ولم تُجمَع، ومُسوَّدات بحوثٍ وكتب عاجلته المنيَّة قبل تحريرها وإخراجها.

ويُسعدنا في دار الأوائل للنشر أن نميطَ اللثامَ عن هذا التراث الرصين بتقديمه لأبناء عصرنا لينتفعوا بما فيه من علم ونصح وغَيرة. هذا ولم نألُ جهدًا في التصحيح والتحرير والعناية. ونسأله سبحانه التوفيقَ والقَبول، وأن يجعلَ هذا العِلمَ النافعَ في صحيفة صاحبه وناشره.



توزيع مؤسسة الجريسي - الرياض - هاتف ٤٠٢٢٥٦٤